كتاب

﴿ مسموم الاسنة والسهام ﴾

« في الرد على من شوشوا الأفكار بدعوى تنوير الافهام »
(أصاب بها صدور سفهاء المبشرين (محمد الجنبيهي المسكين)

﴿ وبذيله السؤال العجيب . في الرد على أهل الصليب ﴾
لناظمه الراجي شفاعة خير البريه « أحمد علي المليجي
الشهير بالكتبية الازهريه

ذروني بالعتاب وبالملام * اغاني صدع افئدة اللئام
فعباد الصليب وقد اطالوا * قبيح القول في خير الانام
أساؤنا فجئناهم سراعاً * بمسموم الاسنة والسهام

﴿ مبيعه بمكتبة ملتزمه ﴾
«حضرة الشيخ احمد علي المليجي الكتبي قريباً من الجامع الازهر بمصر»
(حقوق الطبع محفوظة للمنشئ والملتزم المذكورين)

(طبع بمطبعة الاصلاح بشارع درب الجماميز بمصر)

مقدمة الكتاب

لقد عاش المسيحيون والمسلمون دهراً طويلا من عهد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حتى الآن والكل تكتنفهم حيطة الأمن وكلاءة حفظ السلام متى كانوا في حوزة مليك واحد متحابين لا يقلقل قلوبهم عن الوفاق في الأمن والراحة وحفظ الجوار اختلافهم في الدين الى أن ظهرت في هذا الزمن الشرذمة الضالة من كل ملة واعتدى بعض افرادها من أهل اللسانة والجدل على الاديان والمتدينين وأثاروا الفتن وأهاجوا نيران الحقد والحسد في قلوب الأمم بالتداخل بين كل أمتين متفقتين وبين المتدينين حتى غرسوا أصول العداوة والبغضاء في قلوب العامة والخاصة وجعلوا التمدن الواسطة العظمى لهم في افساد الاعتقادات . والتباين في الارادات والمرادات . حتى علا في الناس صوت الاعتدا وصالت سيوف البغي وكان البادىء بذلك أسافل المسيحيين فنهضوا على الدين الاسلامي نهضة الاحمق المعجول يحاولون استئصال أصوله بكل مافي قدرتهم ولكن الله سبحانه وتعالى جعل بينه وبينهم سدا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً كل ذلك والمسلمون سكوت لا ينطقون رجاء خزي الزائغين وارتداعهم عن الطغيان والبغي حتى طال تطاولهم واستطالت ألسنتهم

وأصبحوا لا خجلين ولا خائفين وكان من تفننهم في الضلال والاضلال أن جاؤا بتضايلات سموها كتباً بعضها كاللقيط الذي لا يعرف له أب والبعض وضعوا عليه أسماء يجهل المسلمون مسمياتها وما كانت الا خدعة ليقع المسلمون في أعراضهم فيكون ذلك سبباً للتخاصم فلما طال على المسلمين الأمد قام الاستاذ الجليل المعروف بالفضل والمعروف خادم الدين . وتابع العلماء العاملين . حضرة الشيخ « أحمد المليجي » الكتبي الشهير فيما بين افراد تلك الشرذمة ناصحاً فما قبلوا نصحه ولما توغلوا في طغيانهم سألهم سؤالا عجيباً فما أجابوه الا بالطعن والسب في خاتم النبيين الذي تعالى وتقدس مجده عن السب والطعن وكان قد دعاني الى الرد عليهم واذا بكتاب جاءنا منهم موسوماً باسم تنوير الافهام معزواً لاسم لا نعرف مسماه وانا لنتبرأ الى مسمى هذا الاسم من كل خطأ أو غلط أو زجر أو توبيخ تأتي به قرائن الأحوال فانا لا نقصد بذلك الا من نقلت عنهم تلك الاباطيل والقوم الذين يسبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطعنون في كتاب الله ودينه القويم ولذلك نقول والله يقول الحق ويهدي السبيل



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله واصحابه وارزقنا ببركته نصراً على الملحدين وتأييدا . ولقد قال القائل

الليالي من الزمان حبالى ٭ مثقلات يلدن كل عجيبة

واقول

اذ عبيد الصليب عابوا رسولا ٭ ذا كتاب ازال كل مريبه
خاصمونا سفاهة في حمانا ٭ واستطالوا وانها لمصيبه
يا آله العباد ياخير قاض ٭ لايحابي من استحق العقوبه
ايد الحق يامهيمن وامنح ٭ كل باغ من العقاب نصيبه

وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين

ايها الناس ألا هل من متعجب يتعجب من هذا العجب . الا هل من ساخط على كل ذي وقاحة يسيء الادب . الا هل من زاجر يزجر كلاب المجزرة ليذودهم عن عرش الطهارة وقد حاولوا ان يدنسوه بأفواههم الملوثة (وماربك بغافل عما يعمل الظالمون) انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار

(ثم اقول)

يقولون ان العلم نور لأهله ٭ ولكنهم لم يعلموا ماهو العلم
وما العلم الا أن يرى المرؤ نفسه ٭ على حالها اذ كل حر لها خصم

وأن يفقه الرشد الذي في اتباعه ٭ نجاة أولي الالباب ان هلك القوم
وذو الجهل من يرضي بأحكام نفسه ٭ وبينهما مهما أرادت به سلم
وذو العقل من أضحى الرشاد شعاره ٭ وان خالفته سامها ماهو السم
وهل من رشاد غير ماتم نوره ٭ ببعثة من لم يرد أخلاقه اليتم
فقل لأناس قد أطاشت عقولهم ٭ عقار غرور مزجها الزور والظلم
دعوايا نسا ابليس دعواكمو التي ٭ اليها على بطلانها ينتهي الاثم
وكفوا أذاكم واقلعوا عن شروركم ٭ والا يصبكم من أكنتنا سهم
فما عاقنا ياقوم الا احتقاركم ٭ وانكمو عمى وآذانكم صم
اذا قيل جل الله قلتم مع ابنه ٭ مقيم وفي يوم الميعاد له الحكم
وجئتم بدعوى العلم تؤذون ربكم ٭ وكم تنطحوا نطحاً كأنكم البهم
وما كل من آخا اللسانة عالم ٭ ولا كل سباب لأهل الحجا خصم
وسيان ان كان السفيه محقرا ٭ لدى العقلاء المدح من فيه والذم

اعلم وفقني الله واياك أيها المسلم السليم القلب والذوق أن هذه الحياة طريق يعبرها الانسان الى دار القرار وهي باعتبار اختلاف أحوال السائرين بها لها غايتان متقابلتان اذ الانسان لاينفك عن أحد وصفين اما أن يكون سعيدا أو شقياً ولا معنى للسعادة الا حسن الخلق والانسلاك في سلك المتقين الذين يخافون الانحراف عن سبيل الاستقامة التي نهايتها القرب من الله في مكان التكريم والرضوان . ولا معنى للشقاء الا اتباع الهوى وراء الشيطان في طريق الغرور والافتتان . التي غايتها البعد والهوان والطرد والحرمان

فأما الطريق الاولى فقد نصب الله لها أعلاماً وحدد لها حدودا وشرع لها آداباً سماها ديناً وأرسل لعباده رسلا لارشاد من اجتباهم الى

تلك المعالم وتعليمهم الوقوف عند تلك الحدود ليتأدبوا بتلك الآداب التي لا يصفو لعبد القرب من سيده الا اذا تحقق بها وأما طريق الشقاء فانها واسعة الفضاء . كثيرة الشعب والأودية يسلكها الغبي والنبيه والأحمق والشرير وكل ذي خلق سيئ ذميم وترى أكثر سالكيها النساء وجهلة الشبان ومناحيس الشيوخ ولا يتوغل فيها الا كل زنديق من أهل الوقاحة والفجور وكل من كان هذا وصفه لا مجال له في طريق السعادة لانها ضيقة المجال لا تسع الا الظرفاء المتأدبين الذين اذا مروا باللغو مروا كراما وقد قال الله تبارك وتعالي في كتابه العزيز (وقليل من عبادي الشكور) وأما الفريق الثاني فهم المشار اليهم بقوله تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها) الى آخر الآية الشريفة فلذلك لا ترى الغالب من الناس في هذا الزمن الا عبادا لاهوائهم وأسراء لشهواتهم وقد ركبوا مركب الغرور في بحار الافتتان . فاشتدت بهم عواصف المحن وأحاط بهم موج الملاهي من كل مكان وانها لظلمات زيغية بعضها فوق بعض لا ينجو من مهالكها الا من أسلم وجهه لله وعمل صالحا ونادى ربه في تلك الظلمات لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ولقد أصبح أشرار الفلاسفة متسابقين الى هدم قواعد الدين القويم وأمسي سفهاء المبشرين وراءهم من اللاحقين (ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) فطوبي لعبد أدركته في هذا الزمن عناية الحي القيوم واكتنفته الرعاية الصمدانية والتجأ الى حصن (لا اله الا الله محمد رسول الله) قائلا يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فليعلم أولوا الألباب من أهل هذا الزمن ان الضال في أودية الجهالة عن معالم هذا الدين القويم الذي أشار اليه الحق سبحانه وتعالى بقوله (ان الدين عند الله الاسلام) لا يهتدي اليها الآن الا اذا جاهد شيطانه وأجهد نفسه فى قطع عشر عقبات سنذكرها ان شاء الله سبحانه وتعالى تذكرة لأولي الألباب وارشادا للعامة من المؤمنين الذين اضطربت قلوبهم وقلقل ثبات يقينهم انتشار القوم الذين سعوا في البلاد . وأكثروا فيها الفساد . فعسى ان يصب عليهم ربك سوط عذاب (ان ربك لبالمرصاد) وما سميناها بعقبات الا لانها الآن هي مجال الشك الذي أدخله دخلاء الدين أهل الضلال في عقائد القوم الذين ارتابت قلوبهم من العوام ومن شبان المدارس وسفهاء طلبة العلم الذين زحزحهم زخرف القول من أهل الاسانة والجدل عن مراكز اليقين الصحيح فأصبحوا لأنفسهم وأهليهم ظالمين بما يلقونه اليهم من السفسطة الزيغية وصاروا أعوانا لسفهاء المسيحيين على نشر أعلام الكفر وتقوية دعائم الزندقة فلذلك بينا لمن يشاء الله ان يهديه تلك العقبات لكيلا يقع في شرك المحتالين فتزل به القدم الى مصارعهم التي أهلكهم الله بها من حيث لا يشعرون

(العقبة الاولى)

ماهو الدين الاسلامي هل هو الحضارة والتمدن كما زعم المبطلون أو هو أمر وراء ذلك (الثانية) هل الاحاطة بما جاء به القرآن من القصص علما شرط في صحة الدين وصدق الايمان فيكون الجهل به كفرا لانها من قواعد الدين أم لا (الثالثة) هل الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو دين عيسى وموسى وابراهيم وباقي النبيين أم غيره (الرابعة) هل جميع الانبياء والمرسلين جاؤا مبشرين ومنذرين بما بعد الموت من العقاب

والثواب بعد الحساب أم منهم من خالف وصادق الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما نحن بمبعوثين وان كانوا متفقين في البعث والنشور فهل اتفقوا في وصف ما بشروا به أو اختلفوا (الخامسة) هل الاخلاق الكمالية التي جاءت بها الرسل متناقضة أو متشابهة وهل من نبي حرم على أمته التخلق بآداب من كان قبله من الرسل أم لا

(السادسة) هل ورود الانباء التي جاء بها القرآن عن الانبياء وأممهم وعن أعمال القيامة مضعفاً لقوة البراهين الدالة على صدق القرآن وصحة نسبته الى الله لان منها ما كان مسطرا في كتب الجاهلية قبل نزول القرآن أم لا يكون مضعفاً لقوة تلك البراهين (السابعة) هل كان في زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أقوام يفقهون ويعقلون ويميزون الحق من الباطل أو كانوا بلهاً لا يعقلون شيئاً وان كان منهم العقلاء فهل وقعت منهم معاوضة في صدق الرسالة لشدة ريب خالط قلوبهم حتى تبينوا صدقها أم لم يكن ذلك (الثامنة) ماهي الاسباب الحاملة لسفهاء الفلاسفة من كل ملة على هدم قواعد الاديان مع دعواهم الحكمة وكمال العقل وعلمهم بأن كل دين من الاديان الصحيحة والباطلة لا يخلو من عبادات اتخذها رؤساء الاديان حواجز بين السفهاء وبين شهواتهم فيكون الدين الباطل أخف ضررا من لا دين

(التاسعة) اذا تحققنا ان الرسل قد سلكوا مسلكاً دينياً وتبين أن عظماء الفلاسفة خالفوهم الى مسلك آخر وكان مسلك الانبياء شرعياً ومسلك الفلاسفة عقلياً فمن من الفريقين تجب متابعته ومن هو الاكمل حالا . والاحسن مقالا . والاقوم أعمالا (العاشرة) ماسبب انتشار

المسيحيين الآن باسم مبشرين هل هو عن أمر سماوي أم عمل خيري ديني أم لغاية مقصودة واذا كان لغاية مقصودة فهل لها من ثمرة مأمولة أم لا ثمرة لها

ومتى أدرك المتدين الفوز من تلك العقبات من طريق الهداية الربانية وتبين الحق من الباطل نجا من ورطات الشبه وظلمات الزيغ وانكشفت له غوامض المشكلات وسلم من خدعة نساء ابليس اللاتي لا يلدن الا كفرا ونفاقا وكلما غالبه الباطل تمثل بقول صاحب يوسف اذ قال (انه من كيدكن ان كيدكن عظيم) (العقبة الأولى) ماهو الدين الاسلامي وعن ذلك نقول

ان الدين الذي سماه الله الاسلام واصطفاه لعباده الصالحين وارشدهم إلى التحقق بحقيقته ما هو الا آداب كمالية موصلة الى فضائل روحية من تجمل بها ارتقى الى العالم العلوي بروحه واطلع على أسرار الملكوت وشاهد ما انطوت عليه بشريته من عجائب القدس وانفتح سمعه وبصره لدقائق الحكم ورقائق الاشارات التي أودعها الله مصنوعاته ليستدل بها السالكون . ويهتدي اليها المسترشدون . ولا قدرة لمخلوق ما على التجمل بتلك اللطائف الا اذا تحقق بحقائق هاتيك الآداب اذ لا سبيل الى التحقق بها الا بعلم مخصوص وعمل مخصوص وحال مخصوص وما جاءت الرسل الا للارشاد الى معالم هذه الثلاثة وبيانها وتوصيل المنقطعين اليها لأن الشواغل الدنيوية التي خلق الانسان محتاجاً الى تعاطيها لا تترك في قلبه مجالا لغيرها ولا تمكنه من الالتفات لسواها من الشؤون الغيبية فلذلك أرسل الله الرسل لتخليص من اصطفاهم من عباده من أوحال تلك الشواغل

بما اشرنا اليه من العلم المخصوص والعمل المخصوص والحال المخصوص وقد أطلقوا على هذه الثلاثة اسم الدين من باب اطلاق السبب على المسبب لانها هي السبب الاقوى لكل سالك الى ربه في التحقق بتلك الآداب الموصلة الى تلك اللطائف وبقدر حسن آداب المتأدبين بها تكون مكانتهم في القرب من الله اذ منهم الخيار. ومنهم الأبرار. ومنهم المقربون وليس التقرب بالعلم كما زعم سفهاء الفلاسفة ولا بالعمل كما يدعي من لاعقل له ولا بالحال كما يظن أرباب الرياضات ولكن الادب هو ميدان الوصلة ومنهج القرب اذ العلم بلا أدب هو والجهل في الضرر سواء وعمل بغير أدب مجلبة المقت والغضب وحال بلا أدب أشبه شيء بحال المنافقين من شياطين الانس ولقد مثل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (الناس هلكى الا العالمون والعالمون هلكى الا العاملون والعاملون هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم)

بيان ذلك ان ضجيع الجهل هو والاموات سواء لانه اعمى وقد قال الله القدوس تبارك وتعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) وليس مرادنا بالجهل هنا الجهل بالحرف والصنائع ولكننا نريد الجهل بالدين الذي هو الآداب ومقدماتها ومن علم ماهو الدين ولم يعمل كان علمه حجة عليه لانه لاعذر بعد البيان. ولا عصيان مع الايمان ومن فقد العمل بعد العلم فقد اساء الادب. واستوجب الغضب. لأنه كالبهيمة التي اذا امرت لا تأتمر واذا نهيت لاتنتهي

واما من علم وعمل وكان فاقد الادب فهذا هو الذي لاشبيه له الا متناول الفسيخ على شره وجوع كلما اكثر شربا ازداد عطشا لان

دواعي الظمأ خبيثة لايزول الا بزوالها فكذلك فاقد الادب في اعماله كلما اكثر في العمل ازداد من الله بعدا لانه لا باعث له على العمل الا اغراض هي من اسباب الطرد والحرمان كما سيأتي بيانه ومن كان هذا حاله كان عمله وعلمه وبالا عليه ونكالا وكان الله بعباده خبيرا بصيرا وما كان عمله وبالا عليه الا لانه وضع الاشياء في غير مواضعها ودنس العمل الطاهر بخباثة النية فأصبح من الظالمين

ومن كان عالما عاملا وكان ذا حال طاهر من النجاسات القلبية ولكنه غير مؤدب كان كالمرأة التي تتجمل بأنواع الزينة حليا وحللا حتى اذا جاءها زوجها وجدها عابسة الوجه ذات ملال واعراض

(مثال العلم بلا عمل ولا حال ولا أدب)

علم الفلاسفة من كل ملة اذ هم قوم علموا كل ما جاءت به الرسل ولكنهم تناولوا تلك المعلومات بحال حال فيه بينهم وبين الأدب حائل الغرور والطيش فاستنكفوا واستكبروا عن متابعة ذوي الرشاد والارشاد وغلبتهم أهواؤهم فحكموا عقولهم في الشرائع لفقدهم مزايا الادب فجاؤا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض وما جزاء من يفعل ذلك الا خزي في الحياة الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ومن كان هذا حالهم يزعمون الامر بالمعروف وما عرفوه. وينهون عن المنكر وقد ارتكبوه ويدعون أن كل الذنوب كبائر وهم يأتون بالكبائر ويستصغرونها وما ذلك الا لقلة الأدب وفقد الحياء ويحسبون أنهم يحسنون صنعا

فلذلك تراهم يزدرون العلماء. ويغتابون الاموات منهم والاحياء. ويسبون الاتقياء. ويتكبرون على الضعفاء. ويخالطون السفهاء. ويمقتون الاولياء

وبتكاسلون عن أداء الفرائض ثم يزعمون أن الذنوب لا صغائر فيها بل كلها كبائر فليت شعري ماهي الوجهة لهم في ارتكاب تلك الكبائر التي منشؤها الاعجاب بالنفس والتباهي والجهل بالآداب الدينيـة ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ومن أسوأ حالا ممن أضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه والله على كل شيء قدير

ومثال العلم والعمل بلا أدب حال بعض علماء النقوش وأمثالهم من المتدينين الذين يعملون عمل الاتقياء ولكنهم يؤثرون الدنيا على الآخرة ويتباهون بأعمالهم ويظنون انهم أكمل الناس أحوالا . وأصلحهم أعمالا . وان الناس في احتياج الى علمهم ولكنهم أحوج الناس الى معرفة آداب العبودية لأن من لم يتبع أثر النبي صلى الله عليه وسلم في العلم والعمل والحال ربما أحاطت به غوائل المكر والاستدراج وهو غافل ولذلك قال أحد رجال الطريق العارفين بالله وكان من الظرفاء من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصراً على الكبائر من حيث لا يشعر اذ من الناس من يرى نفسه فوق غيره بكثير ويظن أنه جاء بأعمال لم يسبقه اليها سابق وما ذلك الا لأنه راض عن نفسه جاهل بدسائسها وربما كان من الذين أشار الله اليهم بقوله (وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وهذه هي نهاية الغرور والافتتان (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

ومثل من جمع بين العلم والعمل والحال وفقد الادب كمثل المتعبدين من أهل الكتاب يهوداً كانوا أو نصارى لانهم تمسكوا بما لم يأمرهم الله بالتمسك به وأطاعوا الشياطين واتبعوا أهواءهم فمنهم من آمن بالله وكفر بأنبيائه كاليهود اذ كفروا بعيسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم (فضربت

عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله) ومنهم من أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وكفروا برسله فلعنوا كما لعن الذين من قبلهم مع طول الرياضات وكثرة التعبد والتحقق بأحوال العابدين ولكنهم حرموا مزايا الادب وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل الذي لا ينجو من الخزي الا من سالكه اذ لا يجوز لعبد أن يخالف أمر ربه وينقاد الى هوى نفسه ولو أن هؤلاء الطوائف رزقوا شيئاً من الادب لعلموا أن ملاك الدين هو الادب واتباع الاوامر الالهية لذاتها لا لعيسى ولا لموسى فلما اتبعوا أهواءهم لحكم سابقة الازل عليهم بالشقاء لمناسبة قوابلهم واستعداداتهم عموا عن الهدى وصموا عن داعي الرشاد وتوهموا الضلال حقاً وسيريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار

فمن كان من ذوي البصائر وتحقق الحق من خلال هذا البيان علم علم اليقين أن الدين الذي ارتضاه الله لعباده ماهو الا الآداب الكمالية التي جاء بها القرآن وتخلق بها رسول الله والله يقول الحق ويهدي السبيل

وأما الحضارة والتمدن فما هما من الدين في شيء بل هما والدين الحق على طرفي نقيض الا اذا جمع الله الدنيا والآخرة لمن يشاء من عباده ورزقه العناية والتأييد وكان الله على كل شيء مقتدرا ولا تكون حضارة ذلك الرجل الذي يجمع الله له بين الدنيا والآخرة وتمدنه كحضارة الامم وتمدنها المعلوم الآن الذي كان سبباً قوياً لايقاع الفتن بين الدول واراقة الدماء في الممالك بغير حق ووسيلة لقهر الضعفاء . واذلال الامراء . وضياع الدين وهدم قواعده ونزعه من قلوب ضعفاء الايمان وذريعة لازدراء عباد الله الصالحين وما كان له من ثمرة في كل أمة مغلوبة الا تعالي الاسافل على

الأعالي ورفع أعلام الاسانة وقوة شوكة الجدل وكثرة الشح والمشاحنات وانتشار الفتن وموت المروءة وصولة الباطل على الحق وظهور أهل الزيغ على أفاضل الاتقياء المحققين الى مالا يحصى من الرذائل وكان الله بعباده خبيرا بصيرا .

وهذه هي أول عقبة من العشرة التي يجب على كل مسلم يرجو لنفسه النجاة من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة أن يجهد نفسه في مجاهدة شيطان الجهل وجنود الزيغ وزعماء الزندقة حتى يقطعها ومتى قطعها ثبت في قلبه ايمانه وسهلت له سبل المفاز لانه متى علم علم اليقين أن الدين الاسلامي من عهد آدم الى انقراض الدنيا ماهو الا آداب كمالية سنذكر منها مايلهمنا الله ذكره بعد قليل تحقق حق اليقين أن مازعمه المبطلون من أن مصادر الدين الاسلامي هي خرافات قوم جهلاء الى آخر ما زعموا ما هو الا سفسطة أوباش منشؤها حقد وحسد وباعثها الجهل بحقائق الدين السماوي ولو أنهم كانوا عقلاء ما نادوا على أنفسهم بالجهل واستحبوا العمى على الهدى وقد قال الله تعالى مشيراً لاسلافهم (عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون) وقال في موضع آخر (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) (الثانية) هل العلم بالقصص الواردة في القرآن بأنباء الامم الماضية ورسلهم هو من قواعد الدين وأصوله أم لا وعن ذلك نقول ان كل دين من الاديان التي سمعنا بها باطلة كانت او صحيحة ما كان لها مصدر الا اعتقاد في معبود أجمعت أمة من الامم على عبادته والركون اليه عند اشتداد الكروب ولكن الاديان الصحيحة ما كان لها من منشأ الا رسالة الرسل الذين بعثهم الله تعالى ليدعوا

الناس الى عبادته وكل رسول جاء الى أمة من الامم وتعاصت عليه يعاملهم الله سبحانه وتعالى بأن يخوفهم مما وقع للامم قبلهم عند الطغيان والتعاصي على الرسل ولم تكن الحكمة في الاتيان بتلك الأنباء الا التخويف والانذار لتكون عبرة وتذكارا لذوي البصائر وهكذا كانت أنباء التوراة والانجيل والفرقان العظيم وان كثيراً من اهل الكتاب لمن لا معرفة له بتلك الانباء وكذلك كثيرون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا عناية لهم بحفظ أنباء الامم ولم يكن الجهل بذلك قادحاً في صحة ايمانهم لان العلم بها ليس من قواعد الدين وليس الدين سرد انباء ونقل اخبار وحفظ وقائع ولكنه عبادة لمعبود . وأدب بين يدي اله مقصود . بطريق مخصوص تأتي بها الرسل لأممها وما ورد أن رسولا من الرسل قال لقومه لا تتخلقوا بآداب من جاء قبلي من الرسل وما كان بينهم من خلاف الا في المعاملات التي هي تابعة لاحوال الامم وأما العبادات فهي متقاربة الاتحاد غير أن منها الكامل والاكمل وأما الآداب التي هي رأس الدين وهيولاه فلا خلاف فيها ولكنها تكاملت في هذا النبي الاخير فما كان لسفيه جهول ان يقول أن تقرير العبادات والمعاملات في الشريعة التي جاء بها القرآن لا اصل لها الا عوائد الامم الجاهلية ولا أن يدعي أن تخلق بعض الامم التي لا رسول لها ببعض ما جاء به القرآن من قبل نزوله قادح في صحة نسبته الى الله لان هذه الدعوى لا تصدر الا عن جهل بالحقائق اذ تعاقب الرسل والانبياء في الامم السابقة هو الذي اوجد بعض محاسن الاخلاق في أهل الفترة وما كان الله ليحرم خلقاً حسناً على أمة متدينة بسبب تخلق أمة جاهلة بذلك الخلق ولا ليكتم الأنباء التي يتعظ بها المتعظون لالمام بعض المؤرخين

بها وتسطيرها في كتبهم فلو أن الذين ادعوا هذه الدعوى الباطلة عقلوا للدين معنى لما زعموا أن مصادره أنباء وخرافات اخترعها المتقدمون من اهل الجهل لانه ما من نبأ ورد به القرآن الا وهو مسطر في التوراة والانجيل وما لم يكن فيهما من الانباء ما جاء به الا جبريل وقد أقام الله سبحانه وتعالى على صدق كتابه وصحة نسبته اليه البراهين التي أقنعت كل معاند وسنذكر بعضها عند ذكر الفصول التي فصلها الملحدون والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (الثالثة) هل الدين الاسلامي هو الذي كان عليه موسى وعيسى أم غيره فنقول . ان من المعلوم أن المسيح عليه السلام ما جاء بآداب تخالف الآداب التي جاء بها موسى وموسى لم يأت بآداب تخالف آداب من قبله ولقد جاء الانجيل قائلا أن عيسى سيجلس على كرسي داود ولم يكن لداود كرسي الا الخلافة التي لا تصح لمخلوق الا اذا تخلق بالآداب التي سنبين حقائقها فيما يأتي وانها هي الدين كما ذكرنا من قبل ولقد علمتم يا اهل القرآن بما ورد في كتابكم وعلم اهل الكتاب بما هو مسطر في التوراة والانجيل الآن أن جميع انبياء بني اسرائيل هم من اولاد اسحاق ولد ابراهيم عليهما السلام ولا يجوز عقلا أن الولد يخالف اباه في دينه ولو خالفه لهلك ان كان الأب على الحق وما جاءنا من نبأ صادق يفيد مخالفة بعضهم لبعض بل الذي وردت به الانباء الصادقة الصحيحة هو ان دين الاسلام هو دين محمد صلى الله عليه وسلم ودين موسى وعيسى وابراهيم وجميع النبيين فلو أن قوم موسى عقلوا ما هو الدين وما مراد الله من ارسال الرسل لآمنوا بعيسى ومن بعده ولو أن قوم عيسى آمنوا برسالته وتحققوا امره على ما هو عليه وعلموا مراد الله من ارساله لما سموه الهاً او

ابن اله ولما جحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لان الله سبحانه وتعالى ما ارسل الرسل متعاقبة الا لارشاد من اجتباهم من خلقه الى معالم الدين التي هجرها سفهاء الامم بعد موت انبيائهم وقسوة قلوبهم لطول الامد كما ورد ذلك في القرآن الحكيم ألا ترى ان جميع الكتب السماوية مشحونة بما يفيد ان دين الله واحد وانه هو الاعتراف بالعبودية . والاقرار بالربوبية والاستسلام لاحكام الالوهية ظاهرة كانت او باطنة وما مدح الله نبياً ولا رسولا ولا امة بوصف اكمل من وصف الاستسلام له والتخلق بآداب شرائعه وما امر نبيه الا بالاستقامة على هذه الخطة التي كان عليها النبيون اذ لا طريق للفلاح غيرها وما مدح الله ابراهيم عليه السلام الا لانه كان حنيفاً مسلما اذ كان اكمل مظهر ظهرت فيه روح الدين الاسلامي عند ما قال له جبريل وهو بين مخاليب المنايا وفي انياب المهالك ألك حاجة فحكم عليه حاله الذي كان عليه ان لا يتخطى حدود المعرفة والادب فأجابه بقوله اما اليك فلا وأما منه فعلمه بحالي يغني عن سؤالي وهذا الحال اشرف حال يتخلق به العبد مع سيده الذي بيده ملكوت كل شيء فلذلك امر الله نبيه بالاقتداء به لتكون امته على اكمل حال كانت عليه الرسل ومن الأدلة على صحة ما ذكرنا قوله تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) ثم قال في موضع آخر (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) ثم في موضع آخر جاء بما حكاه عن يعقوب بقوله (ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم

واسمعيل واسحق الهاً واحدا ونحن له مسلمون) فلو أنه كان للانبياء ديناً غير دين الاسلام لما كان منهم ما ذكرناه ولو أن للاديان أصولا غير الرسالة الالهية التي تنادي بها الرسل على عباده باستعمال آداب العبودية لما تواصوا بها هؤلاء الانبياء فمن ذلك يعلم المتبصر أن أصول الدين الاسلامي ما هي الا دعوة الحق التي جاء بها النبيون وما تعاقبوا الا لتذكير الامم بها عند التناسي كما قال الله تبارك وتعالى مخاطباً لاهل الكتاب (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير)

اذاً فكل من يدعي أن للدين الاسلامي أصولا غير الاوامر الالهية فهو كافر جهول ما فقه من الآداب شيئاً ولا تحقق الا بما كان عليه المشركون في عهد النبوة الذين وصفهم الله بقوله (ان هم الا كالانعام بل هم اضل)

(العقبة الرابعة) هل جميع الانبياء جاؤا مبشرين ومنذرين بما بعد الموت أم منهم من لم يأت بذلك وهل اتفقوا في تلك الانباء الغيبية أم اختلفوا وعن ذلك نقول

انما الناس في اعتقاد أمر الآخرة ينقسمون الى قسمين ليس إلا لان كل غاية تابعة لبدايتها فالفريق الذي يعتقد أنه مخلوق لخالق قادر أوجده من العدم لا ينكر امر الآخرة لقوة ما اقامه الله من البراهين القاطعة على قدرته على ذلك ولكنما تتفاوت قوة يقينهم . بتفاوت صدق ايمانهم . وسلامة قلوبهم وكمال آدابهم وسعة معرفتهم بربهم

والفريق الذي لا يعتقد أنه مخلوق لخالق بل يظن انه وجد بطبعه ويزعم ان الحياة ما هي الا ارحام تدفع . وقبور تبلع . هذا هو الذي ينكر

الحياة بعد الموت . ولولا ان الله سبحانه وتعالى ارسل رسله بالهدى ودين الحق لكان الناس امة واحدة في هذا الاعتقاد وما جاؤا مبشرين ومنذرين الا بما بعد الموت اذ التبشير والانذار لا يقعان الا على غائب لم يكن الذي أنذر به او بشر محيطاً به علما ولقد جعل الله للدنيا أبناء وجعل فيهم الميل اليها تبعاً لقوابلهم واستعداداتهم الازلية في مبدإ النظام التكويني وجعل منهم رؤساء ومرؤسين لحفظ روابط الامن ودفع الاعتداء كما يكون ذلك في الامم التي اشار الله تبارك وتعالى اليها بقوله (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم) فلو ان سائلا سأل اهل الالمام والخبرة بأحوال الوحوش او الطير كالنحل مثلا عن شؤنهم الأمنية لأخبره بما يدهش الفكر ولقد سمى الله سبحانه وتعالى رؤساء النوع الانساني ملوكاً ورعاة وتسمى احكامهم احكاماً سياسية

وجعل للآخرة أبناء وجعل لهم رؤساء وسماهم رسلا وحجر عليهم تجاوز الحدود التي قررها لهم ونهاهم عن متابعة الهوى وأمرهم باستعمال الآداب الكمالية التي سنذكر شيئاً منها بعد تمام هذا البيان وسماها ديناً كما سبق ايضاحه وأمر أولئك الرؤساء أن ينشروا أنباء الآخرة ويبلغوا ما علموه منها لأبناء الدنيا والآخرة لتكون له الحجة البالغة على كل من بلغته الدعوى لكيلا يكون للطائع فضل في طاعته ولا للعاصي عذر في معصيته وانها لحكمة بالغة لا يعقلها الا العالمون الذين بشرهم الله بقوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم)

فمن فقه معنى ما ذكرناه علم علم اليقين أن الانبياء عليهم الصلاة

والسلام ما جاؤا الا مبشرين ومنذرين بأمر الآخرة وما منهم من رسول الا ونادى في قومه بأنبائها اما مجملة أو مفصلة وما من سامع كان كامل العقل الا وصدق بتلك الأنباء وأثر في حاله تصديقها ثم تداولتها ألسنة فصحاء الأمم الذين لا دين لهم فكانت عندهم أخبارا تحتمل الصدق والكذب وليس الخبر كالعيان لأن الرسل ما أخبروا الا بما شاهدوه من طريق الكشف الرباني الذي أشار الى مبدئه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (فوجدت برد أنامله بين كتفي فعلمت علوم الاولين والآخرين)

اذاً فمن الجهل المهلك أن يقال ان مصدر تلك الانباء هي خرافات بعض المتكلمين من فصحاء الأمم الجاهلة لانه لا قدرة لانسان مهما وصلت درجته من الفصاحة واللسانة أن يتكلم بأمر غيبي لا تسعه الدنيا ولا تتعلق به علائق الحياة الدنيوة حسية كانت أو معنوية الا اذا أخبره به مخبر ممن لهم علم بأنباء الملكوت اذ لو كان للعقول مجال في الشؤن الغيبية لما كذب بها الفلاسفة الذين يزعمون أن دائرة العقول لا تسع سواهم فليعلم المسترشد أن أكمل رحمة رحم الله بها عباده هي الوقوف على حقيقة أمر الآخرة اما من طريق المكاشفة بالعلم النوري كما وقع للانبياء والاولياء واما من طريق شرح الصدور بالتصديق واليقين كما عليه عامة المؤمنين وما زعم الزاعمون المبطلون ما زعموه من قولهم ان القرآن استنبط تلك الانباء من تلك الخرافات الا لظلمة قلوبهم وحجبها بما طبع عليها عن ادراك ما أدركه أولوا الأنوار. وأهل الاسرار (والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

(العقبة الخامسة)

هل الاخلاق الكمالية التي جاءت بها الرسل متناقضة أو متشابهة وهل حرم كل رسول على أمته التخلق بآداب من كان قبله من الرسل أم أباحها لهم وعن ذلك نقول

ان الباحث عن هذه الحقيقة لا يصل الى العلم بها الا اذا علم ماهي الآداب الكمالية وانا وان لم نكن من أهل تلك الآداب ولكن ربما التحق السامع الواعي. بالمطالع والداعى. فلذلك نقول

الآداب. الكمالية التي علمها الله سبحانه وتعالى لرسله وأنبيائه وأمر الصالحين من عباده أن يتخلقوا بها لا قدرة لنا على حصرها الآن ولكن ربما توصل الباحث عنها الى معرفتها بمعرفة مصادرها من الانسان اذ جميع شؤنه في معاملة الخلق والخالق لا مصدر لها منه الا ثلاثة أشياء وهي العلم والحال والعمل ويشمل لفظ العمل القول وهذه الثلاثة هي مظاهر الآداب الكمالية. ومصادر الاخلاق البهيمية. وكلاهما يكون عليه الجزاء يوم القيامة في النشأة الاخرى من ثواب أو عقاب وما جاءت الرسل الا لبيان الطيب والخبيث منها وما أنزلت الكتب الا لنهي الانسان عن ارتكاب القبيح من تلك الاخلاق وبأمره بالاتيان بمحاسن الآداب منها ولا يكون الانسان انسانا كاملا الا اذا تحقق بمحاسن تلك الآداب الكمالية حتى يؤدي الأمانة على وجهها وهي التي أشار اليها الحق سبحانه وتعالى بقوله (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) ولقد عرفناها في كتابنا المسمى (بنشر الاسرار البشرية من طوايا الاخلاق

المحمدية) بأنها هي اعطا كل ذي حق حقه من الحقوق التي أوجبها الله على
الانسان لذاته المقدس ولرتبة الألوهية ولمرتبة الربوبية ولجميع المخلوقات
على اختلاف طبقاتها ولنفس الانسان وهذا العمل لاقدرة لمخلوق على القيام
به الا بارشاد الله سبحانه وتعالى وتوفيقه مع اقتفاء آثار الرسل قدماً
بقدم لانهم هم العلماء الادباء الذين علمهم العليم الخبير وأدبهم

فأما الحقوق الواجبة لله سبحانه وتعالى فقد يسهل الوصول الى معرفتها
على أولي الالباب اذا تدبروا القرآن من طريق انه كان خلقاً لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وعرفوا حقائق أسماء الله الحسنى التي أشار اليها النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله ان لله سبحانه وتعالى تسعة وتسعين اسما من
أحصاها دخل الجنة ولقد جاءت تلك الاسماء الجليلة باعتبارات ثلاث
فباعتبار انه سبحانه وتعالى أحدي الذات وردت الاسماء الكمالية وباعتبار
انه الاله الاعظم وردت الاسماء الجلالية وباعتبار انه الرب الرحيم وردت
الاسماء الجمالية فمن نور الله قلبه وألقي عليه فهم حقائق هذه الاسماء تمكن
من أداء مايجب عليه لربه ومن لم يكن كذلك كان قيامه بذلك الواجب
في حكم المحال

وأما حقوق الخلق والنفس فما احصاها كاتب . ولا احاط بها في خطبة
من الخطب مخاطب . لا من الرسل ولا من الانبياء ولا من ورثتهم ولكن كل
مرشد منهم كان يذكر منها ما يستدعيه حال المسترشد ولقد جمعها الله سبحانه
وتعالى لهذه الأمة في جوامع الكلم التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم في
كتابه العزيز وفي أحاديث رسوله الذي كان لا ينطق عن الهوى وفي
أعماله وأحواله ويشير الى الواجب الضروري منها على كل مسلم قوله صلى الله

عليه وسلم (الايمان بضع وسبعون شعبة أدناها اماطة الاذى عن الطريق
وأعلاها لا اله الا الله) فالمؤمن الحق الخبير بدينه يعلم ان مابين الأعلى
والأدنى من الأعداد ماهو الا ماذكره الله سبحانه وتعالى بقوله (وما
آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ويعلم ان من المأمور به
ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية ومنه ماهو واجب موسع فيه وما
هو واجب مضيق ومن المنهي عنه ماهو نهي حظر وتحريم وما هو نهي
كراهة فالعمل بذلك كله هو الايمان ثم من وراء ذلك آداب كثيرة
منها مانقل عن سيد الأمة بل سيد الرسل وعن ورثته من طريق الوصية
ومنها مانقل عنهم من طريق الحال والعمل وسنذكر طرفاً من ذلك في
المقام المناسب لذكره من هذا الكتاب عند تيسير الله سبحانه وتعالى
وتسهيله

وما كانت تلك الآداب قاصرة على هذه الأمة ورسولها ولكنها
كانت في كل أمة تابعت أي رسول من الرسل غير أن هذا الرسول
استكمل كل الآداب لانه خاتم الرسل وأدومهم ديناً لانه لم ينسخه
ناسخ من بعده

فمن كان ذا بصيرة نيرة وفكر ثاقب وتأمل فيما ذكرناه بعين المطلع
البصير يعلم علم اليقين ان مصادر الدين الاسلامي الذي تدينت به جميع
الرسل ماهي الا آيات الله سبحانه وتعالى وتعليماته وما من نبي تكامل
دينه وجمع أطراف الآداب وأكنافها الا هذا النبي الكريم فمن ذلك
يتحقق أولوا الالباب أن مازعمه الزائغون من أن أصول الدين خرافات أخبار
وعوائد جهلاء اشرار ماهو الا ضلال مهلك وسفه بين وجهالة منشؤها غباوة

وتعصب قوم عادين . وبغي أسافل طاغين . اذ كل عاقل يعلم علم اليقين أن جميع الرسل كانوا في الدعوة الى الله تعالى على وتيرة واحدة وهي التي أمر الله نبيه ان يدعو أهل الكتاب لها بقوله (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) وهذا هو الدين لان من تخلق بذلك كما ينبغي فقد تحقق بمعنى لا اله الا الله التي من تحقق بمعناها فقد جمع شتات الاداب الكمالية التي لا يتم للانسان وصف العبودية الا اذا تكاملها وما كان لنبي من الانبياء أن ينهى أمته عن التخلق بتلك الاداب لان النهي عن ذلك من عمل الشياطين ولنذكر شيئاً من تلك الاداب ليقف المطالعون لها على حقيقة الدين وأصوله ويخجل المفسد الضال الذي افترى على الله الكذب وأتى من الحماقة والسفه وسوء الادب بما لم يأت به ابليس (وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون) فنقول

أما شعب الايمان التي أشار اليها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف فأعلاها شهادة أن لا اله الا الله كما قال رسول الله . ومنها الشهادة بالرسالة وهي وأشهد أن محمداً رسول الله . ومنها الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد عند الحاجة اليه والوضوء والغسل من الجنابة والغسل يوم الجمعة والصبر والشكر والورع والحياء والامانة والنصيحة وطاعة أولي الامر الا فيما يغضب الله والذكر وكف الأذى ونصرة المظلوم وترك الظلم وترك الاحتقار والازدراء وترك الغيبة وترك التجسس والاستئذان عند دخول البيوت وغض البصر عن المحرمات وسماع الأحسن من القول واتباعه والاعتبار عند رؤية ما يتذكر به أولوا الالباب منظوراً كان او مسموعا

والدفع بالتي هي أحسن وترك الجهر بالسوء من القول الا من ظلم والكلمة الطيبة وحفظ الفرج وحفظ اللسان والتوبة من الذنوب الصغائر والكبائر والتوكل على الله في كل ما يحتاج اليه الانسان من عمل او ترك لانه هو الملهم المسخر الميسر في جميع الاحوال فمن استعان به في كل أحواله فقد أعطى القوس باريها ومن ادعى الاستقلال في أي حال من أحواله فقد جاء بظلم عظيم وباء بغضب من الله ومنها الخشوع ولا يعلم حقيقته الا العلماء الذين تحققوا بآداب العبودية وذاقوا من أحوالهم حلاوة الاتصاف بأوصاف الممكن الاربع وهي العجز والذل والضعف والافتقار ومن لم يتحقق بتلك الاوصاف فلا قدرة له على الخشوع . ومنها ترك اللغو من الحديث قولاً وسماعاً لانه نبذة من الجنون وتأباه الاخلاق الكريمة . ومنها الاشتغال بما يعني وترك ما لا يعني وحفظ العهود والوفاء بالعقود والتعاون على البر والتقوى وترك التعاون على الاثم والعدوان ومعصية الرسول . ومنها التقوى وهي التي أمر الله بها في قوله (واتقوا الله حق تقاته) وليس لها معنى الا أن يرى الانسان ربه نصب عينيه بالمعنى التي أشار الله اليها بقوله (وهو معكم أينما كنتم) وبمعنى قوله (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وقوله (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) فمن تحقق بذلك كان تقيا ومن زعم التقوى بغير هذا التحقق فهو مدع كاذب ومنها بر الوالدين والقنوت لله والصدق وترك الكذب وما هو الا اختلاق ما لم يخلقه الله ولم يأمر به . ومنها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس المعروف ما عرفه سفهاء الفلاسفة ولكن المعروف ما وصف الله به المؤمنين في أوائل سورة المؤمنين وفي آخر سورة الفرقان

وفي كثير من آيات القرآن وما قلنا ذلك الا تحذيرا للأمة من متابعة القوم الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فتراهم مغتابين متكبرين معجبين متفاخرين تاركين للفرائض الدينية ويأمرون بشيء من المعروف كاتباع الحق في الاحكام وعدم الارتشاء ويحثون على مجارات أهل الدنيا في طلبها والتكالب عليها ويظنون بذلك أنهم آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر والله يشهد انهم لكاذبون. ومنها اصلاح ذات البين وترك افساد ذات البين وخفض الجناح للمؤمنين واللين وترك العقوق. ومنها الدعاء والرحمة بالخلق أعداء كانوا أو أحباء هواما كانوا او طيورا او انعاما ويشمل لفظ الخلق كل ذي روح تتأذى وتتلذذ وتوقير الكبير ورحمة الصغير والقيام بحدود الله وترك دعوى الجاهلية ألا وهي الافتخار بالجاه أو المال او العلم او العمل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال (دعوها فانها منتنة). ومنها التودد الى عباد الله الصالحين بل وجميع من لا يضرك صحبته في دينك من الخلق ومنها الحب في الله والبغض في الله والحلم والتؤدة أي التأني في الامور قولا او عملا اقداما او احجاما حتى يتبين المتأني حقيقة امره. ومنها العفاف والبذاذة وما هي الا التجمل بمحاسن الاحوال ظاهرا وباطنا وترك التدابر والتحاسد والتباغض والتشاحن. ومنها ترك شهادة الزور وترك قول الزور وترك الهمز واللمز ومنها حضور الجماعة وافشاء السلام على من تعرف ومن لا تعرف والتهادي لقوله صلى الله عليه وسلم (تهادوا تحابوا) وحسن الخلق وصيانة السر والنكاح والانكاح وحب الفال وحب آل البيت وترك التطاير وحب النساء بالحال التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حب شره وشهوة وحب الطيب وحب الانصار وتعظيم شعائر

الاسلام وتعظيم حرمات الله وترك الغش وترك حمل السلاح او الآلة الضاربة على المؤمن وتجهيز الميت والصلاة على الجنازة وعيادة المرضى وان تحب لأخيك المؤمن ما تحب لنفسك وأن يكون الله ورسوله أحب اليك من كل محبوب وان تكره ان تكون كافرا من عباد الآلهة الباطلة او تكون يهوديا او نصرانيا وان تؤمن بجميع الرسل وما جاؤا به مما لم يلحقه تغيير ولا تبديل وان تؤمن بالملائكة وأن تميط الاذى عن الطريق ولقد أجمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه لعلمه أن من تأدب بما ذكرناه لا يفوته البحث عن باقي الآداب في الكتاب والسنة واعمال الجماعة من السلف الصالح ولقد اشار الى شيء من آداب الاحوال الامام ابن العربي محيي الدين في بعض وصاياه اذ قال ان من الآداب ان تعامل من تصحبه او يصحبك بما تعطيه رتبته ومنزلته فتعامل الله سبحانه وتعالى بالوفاء بما عاهدته عليه من الاقرار بالربوبية وليس الاقرار بالربوبية هو مجرد الاعتراف باللسان ولكنه ملاحظة جميع النعم التي يسديها اليك ليلا ونهارا وظعنا وقرارا وحركة وسكونا حتى مد البصر بعد الغمض وتردد الانفاس الى غير ذلك من النعم فيشيعها العاقل بالشكر ويتلقاها ببشاشة التذكار. وهشاشة الرضا والافتقار. هذا هو معنى الوفاء بعهود الربوبية وعامل آيات الله بالنظر فيها لقوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) ومن لم تذكره آيات الله كان في حوزة الذين أشار الله اليهم بقوله (وكم من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) وعامل ما تدركه الحواس منك بالاعتبار وعامل الانبياء بالاقتداء بهم وعامل الملائكة بالطهارة البدنية والذكر لانهم يحبون ذلك وعامل الشيطان. من انس وجان

بالمخالفة وكل من تهاون بالفرائض الدينية فهو شيطان الانس مهما بلغت درجته من العلم والجاه وعامل الحفظة بحسن ماتملي عليهم من القول والعمل لقوله تعالى (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) وعامل من هو اكبر منك بالتوقير ومن هو اصغر منك بالرحمة ومن هو كفوء لك بالانصاف والتجاوز عن الزلات والايثار على نفسك عند الحاجة وبأن تطالب نفسك بحقه عليك وبأن تترك حقك عليه لقوله تعالى (ولا تنسوا الفضل بينكم) وعامل العلماء بالتعظيم وان لم يكونوا عاملين اكراماً لوصف العلم الا ان يكونوا كفارا مضلين ضالين عن سبيل الهدى وسنة السلف الصالح كما نراه من اهل الزيغ والزندقة في هذا الزمن وعامل السفهاء بالحلم وعامل الجهال بالسياسة وعامل الاشرار ببسط الوجه لقوله صلي الله عليه وسلم (انا لنبش في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم)وعامل الحيوانات بالنظر فيما يحتاجون اليه لانهم خرس وقد سخرهم الله لك واوكل امرهم اليك وعامل الاشجار والاحجار بعدم الفضول اي لا تتغوط الا في محل التغوط وهي الاماكن التي ليست معدة لمرور المارين وعامل الارض بالصلاة عليها فان صلاة المؤمن على الارض وذكره فيها صدقة عليها وانها لتشهد له يوم القيامة وعامل الموتى بالدعاء لهم وذكر محاسنهم والكف عن مساويهم وهذا مخالف لمذهب الفلاسفة الذين يسبون اموات العلماء العاملين . والفقهاء المحدثين . ويختلقون لهم عيوبا يذكرونها ليزدريهم ناقص العقل والدين ولا يقصدون بذلك الا صرف القلوب عن معتقداتها الدينية لعلمهم ان العوام متى انصرفت قلوبهم عن اعتقاد صدق السلف الصالح وحسن اعمالهم يضعف ايمانهم وتميل قلوبهم الى الفلسفة فيكونون اشد كفرا

ونفاقاً من باقي الامم الذين لادين لهم ولا يحيق المكر السيء الا باهله والله عزيز ذو انتقام وعامل الصوفية اهل الكشف والشهود بالتسليم لانك ان انتقدتهم أو اعترضتهم مع جهلك بما هم عليه فقد أنكرت على قدرة الله سبحانه وتعالى كمال اقتدارها لانك لو أحطت بشؤن الله القادر في خلقه علما لقاربت ان يكون لك حق في الالوهية وتعالت حكمة الله وقدرته أن يحيط الانسان بدقائق صنعها علماً وليس من الادب انكار مالا يسعه العقل بعد قوله تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) وقوله (يختص برحمته من يشاء) وقوله في قصة موسي عليه السلام وفتاه (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً) فالاولى للعبد مهما وصلت رتبته من التعالي وبلغ ما بلغ من العلم أن لا ينكر على قدرة الله مالا يسعه عقله والا التحق بالفلاسفة وهلك كما هلكوا لانهم أعداء أحباب الله ومن عادى حبيبك فقد عاداك وعامل الاخوان في الله بالنظر في أحوالهم وتفقد حركاتكم وسكناتهم ان كنت ممن لهم قدرة على قضاء حوائج اخوانهم أو على اسداء النصائح لهم وعامل الاولاد بالاحسان وعامل الزوجة بحسن الخلق وعامل أهل البيت بالمودة وعامل الصلاة بالحضور لقوله صلى الله عليه وسلم (ليس للمرء من صلاته الا ماحضر منها)وعامل الصوم بالتنزه عن الذنوب لأن الصوم جنة أي وقاية من الاعمال المقربة الى النار والجنة بضم الجيم لهذا لم تق من تدرع بها فلاخير فيها . وعامل مناسك الدين بذكر الله والتعظيم ولا معنى لتعظيم العبد ربه الا الخشية والرهبة والحيا . وعامل الزكاة والصدقة بسرعة الاداء وعامل التوحيد بالاخلاص ولا معنى للاخلاص الا ان ترى الله قبل كل شي وتري

الاشياء كما هي في أصلها معدومة مفقودة لانك لو تأملت أعظم عظيم من الناس لوجدته متصفاً بكل أوصافك مقهورا لمن أنت مقهور له محتاجاً لما تحتاج اليه من أكل وبراز ونوم وغير ذلك ومن كانت هذه أوصافه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعاً وهكذا يكون اخلاص الموحدين وما عدا ذلك هو من الشرك الخفي الذى استعاذ منه أولوا الالباب وعامل الأسماء الالهية بما تعطيه حقيقة كل اسم والى ذلك الاشارة بقول النبي صلى الله عليه وسلم (تخلقوا بأخلاق الله) فالاسماء الكمالية اذا تخلقت بها تلزمك أن تترفع عن كل ما يشينك من دناءة الاخلاق ومن الظلم ومن كل مافيه نقص كما قال الشاذلي رضى الله تعالى عنه في دعائه ياألله يامالك ياوهاب هب لنا من نعماك. ماعلمت لنا فيه رضاك. واكسنا كسوة تقينا بها من الفتن في جميع عطاياك. وقدسنا عن كل وصف يوجب نقصاً مما استأثرت به في علمك عمن سواك. يريد من سر أسمائك التي استأثرت به في علم الغيب ولم يعلمه أحد غيرك والاسماء الجلالية اذا تخلقت بها تلزمك أن تكون غيورا على انتهاك جميع المحارم وعلامة ذلك أن تكون غيورا على نفسك أن تقع في ما يغضب الله كما تكون غيورا على غيرك والاسماء الجمالية يلزمك التخلق بها ان تكون بالمؤمنين رؤفاً رحيما من طريق الوراثة المحمدية حتى تعم رحمتك جميع المخلوقات كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى (عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) وقوله (ان تحرص على هداهم فان الله يهدي من يشاء) وقوله (فلا تحزن عليهم) اذ لولا انه كان كله رحمة لما وقع منه ذلك على أعدائه الذين آذوه ولكن الطبع غالب على التطبع. وعامل الدنيا بالرغبة عنها اتباعاً لقوله تعالي

(وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور) وقوله (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) وقوله (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح) وقوله (انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر) الى آخر الآية الشريفة ولقوله صلى الله عليه وسلم (الدنيا جيفة وطلابها كلاب) وعامل الآخرة بالرغبة فيها والعمل لها لان الرسل قد أجمعوا على أن الدنيا والآخرة ضرتان متباعدتان وبقدر مايقرب المرء من احداهما يبعد عن الاخرى وعامل النساء بالحذر من فتنتهن. وعامل المال بقرضه لربك لقوله تعالى (وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم) وعامل النار بالتقوى والخوف منها ومن العمل الذي يقرب لها وعامل الجنة بالرغبة فيها ومحبة الاعمال الموصلة اليها وعامل أولياءك بما يزيد في ولائهم أقارباً كانوا او اصدقاء وعامل الاعداء بما يكف عنك أذاهم وعامل قارئ القرآن بالانصات له وعامل القرآن بتدبر معناه ان كنت قارئاً او سامعاً وعامل الحديث النبوي بالبحث عن صحيحه وسقيمه وعرضه على الاصول فما وافقها فخذ به وان لم يصح الطريق اليه فان الاصل يعضده واذا ناقض الاصول فلا تأخذ به وان صح طريقه مالم تعلم أن له وجهاً فان طريق الآحاد لا تفيد الا غلبة الظن وعليك بالسنة المتواترة وكتاب الله فانهما خير مصحوب ولا تتبع في الاخذ بكتاب الله والفهم عنه الا الاتقياء الامناء واياك والمأولين من الفلاسفة الذين يأولونه ليضلوا الناس عن سبيل الله (والله لا يحب المعتدين) واياك والخوض فيما شجر بين الصحابة وعامل بيتك بالصلاة فيه وعامل مجلسك بذكر الله وبالاستغفار عند مفارقته وعامل الجاني عليك بالصفح

لقوله تعالى (وان تعفوا اقرب للتقوى) وعامل بصرك بالغض عن محارم الله وسمعك بالاستماع لاحسن القول ولسانك بالصمت عن سيء القول وان كان حقاً وعامل مافرط من الذنوب بالخوف وعامل الحسنات برجاء القبول والثواب وعامل الدعاء بالاضطرار وعامل نداء الحق بالتلبية لما زادك اليه من عمل او ترك بمعنى انه اذا اعترضك أمر من أمور البر مثل اغاثة ملهوف او اطعام جائع او ازالة منكر او جاء وقت الصلاة او اي عمل من الاعمال التي اوجبها الله تعالى على عباده فاعلم أن الله يناديك اليها فلبه واسرع الى امضائها وان اعترضك أمر منهي عنه فاعلم ان الله يناديك ان لا تفعل فتجنبه وهذا هو حال من فتح الله أسماعهم وأبصارهم من المؤمنين وان من وراء هذه الآداب لآداباً قد تحقق بها اصفياء الله في احوالهم ويعلمها الطالب الراغب من مطالعة كتب أهل التحقيق الذين تمكنوا من الحقائق الدينية قشوراً وألباباً واقتفوا آثار النبوة علماً وعملا وحالا ومن طالع تلك المؤلفات ووقف على ما كان عليه ارباب المجاهدات علم مزايا الرجال واستعظم مواهب الكبير المتعال

ثم من الآداب ماهو مسطر في الكتب الدينية من مؤلفات الواعظين واستنباطات الأئمة المجتهدين . وما كانت هذه الآداب التي ذكرناها وما لم نذكرها مما علمناه منها وما لم نعلمه الا مستنبطة من كتاب الله وأحاديث رسول الله واعماله واحواله وما كان ذلك كله الا تأديباً من الله وتعليما لنبيه بعد أن صفاه وصافاه . واختاره واجتباه . وانزل عليه الوحي وهذا هو الدين الاسلامي فأي جاهل او مفتون او احمق او كافر او ماكر او زنديق او مجنون يسوغ له ان يتصور ان الدين الذي لا يكمل لمتدين

به الا اذا تكامل تلك الآداب أن مصادره خرافات أو عوائد أمم جاهلية ان هذا لهو الضلال البعيد

(العقبة السادسة)

هل ورود الانباء . التي جاء بها القرآن عن الانبياء . وعن أممهم وعما يكون بعد الموت يجوز أن يكون مضعفاً لقوة براهين القرآن وصحة نسبته الى الله بسبب أن تلك الانباء اوردها اليهود قبل البعثة في كتبهم أم لا يكون مضعفاً لها وعن هذا نقول

قيل ان رجلين التقيا في قرية من القرى أحدهما شيطان من شياطين التبشير والآخر من مؤمني العوام فأخذ ذلك الشيطان يسب النبي صلى الله عليه وسلم ويخوض في آيات الله التي أنزلها على رسوله قائلا ان جميع القصص التي تزعمونها قرآناً منزلا قد كانت مسطرة في كتب اليهود قبل نزول القرآن فقال له المسلم العامي وهل تلك القصص واقعية أم مكذوبة فقال منها ما هو صحيح ومنها ماهو مكذوب فقال هل وردت في الكتب المنزلة مثل الانجيل والتوراة أم لا قال ان منها ماهو وارد في الأناجيل فقال له لماذا أيها الشيطان كان ورودها في الانجيل اذا كانت مسطرة في كتب قديمة قبل ظهور الانجيل أليس ذلك قادحاً في صحة الانجيل كما زعمت أنه قادح في صدق القرآن ثم قال له أيها الشيطان ألم تكن وقائع الأمم مع أنبيائهم مشهودة لاقوام كثيرة في أعصارهم وتناقلتها الأجيال حتى جاء بها الانجيل والقرآن فهل من آية في الانجيل او في القرآن دالة على أن تلك الوقائع لم يطلع عليها مخلوق الا الرسل حتى تكون تلك الأنباء حجة لك على القرآن أنه ليس بمنزل

فقال ذلك الشيطان أليس القرآن هو أساس دينكم وهو أصله الثابت عندكم . قال المسلم نعم . قال الشيطان أو لم يكن القرآن قصصاً كله . فقال له المسلم كذبت ان أول آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ بسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم) هذا هو مبدأ الوحي السماوي وأما الفرائض فكان مبدؤها الاسرى وليس برهان صدق التنزيل هو ورود تلك الانباء فيه ولكن برهانه هو الاعجاز الذي ذكره الله سبحانه وتعالى بقوله لنبيه (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) وقال في آية أخرى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ثم مما يؤيد قوة هذه البراهين ورود هذه الانباء في الكتب السماوية وفي كتب المؤرخين ولكنها لم تكن كما وردت في القرآن بذلك الاعجاز وتلك البلاغة وليس القرآن قاصرا على أنباء الرسل وأممهم بل هو حكم كله وهدى ورحمة وبيان وشفاء لصدور المؤمنين وماجاء الحق سبحانه وتعالى فيه بأنباء الرسل الا تثبيتاً لفؤاد نبيه وتذكاراً للمؤمنين فلو أن ورود تلك الانباء كان قادحاً في القرآن فبالأولى يكون مكذباً للاناجيل التي نرى أن أسلوب القصص فيها لا يتجاوز أساليب العوام فى قصصهم بل من فصحاء العوام من يتحاشى بعض الالفاظ التي وردت في الاناجيل فخسأ ذلك الشيطان المريد ولذلك جئنا بهذه المحاورة لتكون مفازة للباحث في هذه العقبة ثم عزمنا على بيان تلك التحريفات الواردة في ألفاظ الاناجيل بعد الفراغ من ذكر هذه العقبات تصديقاً لما ذكره ذلك المؤمن الذي

أنطقه الله بالحق بغير سابقة اطلاع ولا تعلم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

(العقبة السابعة)

هل كان في زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أقوام يفقهون ويعقلون ويميزون الحق من الباطل او كانوا بلهاً لا يعقلون شيئاً وان كان منهم العقلاء فهل وقعت منهم معارضة في صدق الرسالة وخالطهم الشك حتي تبينوا صدقها أم لم يكن ذلك وعن هذا نقول

لقد أجمعت الامم على أن العرب أفصح الناس منطقاً وأسماهم همماً وأوسعهم في المعارف نطاقاً واشدهم عن الانقياد اباء واقوى الامم لدى المقاومة دفاعاً ثم اجمعوا على ان قريشاً هم اشرف العرب حسباً ونسباً وارفعهم لدى التفاخر رتبا . وما بعث محمد صلى الله عليه وسلم الا في عصر كان لقريش فيه الصيت الشائع . والجاه الواسع . لأن واقعة الفيل أرهبت قلوب الامم من قريش . ولقد تربي محمد صلى الله عليه وسلم فيما بينهم يتيماً لا شوكة له ولا صولة غير أنه كان على خلق عظيم من عهد التمييز الى أن صار نبياً يدعى بينهم الصادق الامين وكم من نزاع بينهم كان فيه هو الحكم العدل وكان حكمه مرضياً قبل نبوته فلما أسري به ليلا أصبح يحدث الناس ويبلغهم رسالة ربه فطلبوا منه الأدلة والبراهين علي صدقه فجاءهم بما به صدقوه ولكن قوة الاباء في نفوس الاقوياء . منهم دافعتهم عن الانقياد له لان قوة تمسك المتدينين بعبادة آلهتهم تمنعهم عن طاعة من يخالف ما يعتقدونه الا بعد جهد جهيد فلذلك كان الاباء من البعض ولكن الحق ما زال يعلو ولا يعلى عليه بكثير من الآيات وبشائر النصر والفتح المبين حتي آمن منهم من كانت له سابقة سعادة أزلية ولقد جاءت

آيات القرآن مبينة لما وقع من اسلاف هؤلاء السفهاء وآبائهم من الجدل والمعارضة ومدافعة الحق بالباطل ثم اوضحت البراهين والدلالات التي صدتهم عن تلك المعارضة ولولا ان الله سبحانه وتعالى جعل في الناس سعداء واشقياء وسبقت كلمته على فريق منهم بالعذاب لآمن من في الارض كلهم جميعا وما كان امتناع المشركين عن الايمان بهذا النبي الكريم بعد ما شاهدوه من الآيات الا كامتناع اليهود عن متابعة عيسى عليه السلام بعد ما انزل المائدة واحيي الموتى باذن الله وكامتناع فرعون وملائه عن الايمان بموسى بعد ماجاءهم بتسع آيات بينات وما كان كفر هؤلاء السفهاء الآن وانكارهم رسالة صاحب هذه الشريعة العظمى الا تعصباً ومتابعة لأشرار اسلافهم لتحكم الغرور والطيش في افئدتهم ولولا ذلك لآمنوا اذ من المعلوم ان القوم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم كانوا هم اوفر الناس عقلا واكملهم أخلاقاً واحسنهم عملا في الجاهلية والاسلام اذ كان من شرف اخلاق عمر بن الخطاب انه مازني في الجاهلية ولا في الاسلام الى غير ذلك من مكارم الاخلاق المعروفة في القوم الذين تابعوا هذا النبي الكريم فلو انهم رأوا فيه عيوباً او ارتابوا في امره لما تبعوه وكذلك باقي الطوائف الذين اتبعوه في ذلك الزمن من ملوك وامراء . وضعفاء واقوياء ما تبعوه الا من بعد ما تبين لهم الحق كما تشهد بذلك الأنباء الصادقة وسيأتي بيان شرفه وعظم جاهه وعلو منزلته على الرسل والله على ما أقول وكيل

(العقبة الثامنة)

ما هي الاسباب الحاملة لسفهاء الفلاسفة من كل دين على هدم قواعد الاديان مع دعواهم الحكمة وكمال العقل ومع علمهم ان الاديان

هي كالحاجز بين المتدينين على اختلاف طبقاتهم وبين شهواتهم فيكون الدين الباطل اخف ضررا من لادين وفي ذلك نقول والله يقول الحق ويهدي السبيل

لقد خلق الله الانسان على الصورة كما ورد في بعض الكتب السماوية والاحاديث النبوية . وسخر له ما في السموات وما في الارض واعطاه قوة الفكر وهيأه بباقي القوى لتنفيذ ما اراده به ومنه حالا ومآلا ولكن الله سبحانه وتعالى تعرف لبعض واحتجب عن بعض بحكم سابقة التقدير الازلي فلذلك اختلفت منهم المشارب والمآرب فمن كان منهم من اهل التعرف توجهت افكاره الى معرفة ربه وشهده في نفسه وفي غيره واستبشر برسالته فرحاً وهش لمتابعة رسوله ليفوز برضوانه فما فاتته الدقائق من تلك المتابعة وما تخير لنفسه عملا ولا حالا الا ما كانت عليه الرسل لعلمه انهم ما تلقوا علومهم الا عن الله فتيقن ان الخير كله في متابعتهم فسار وراءهم قدماً بقدم

وأما الفريق الآخر وهم المحجوبون فقد تشعبوا شعباً كل وراء ما احتجب به فمنهم من احتجب بالملاهي من الشهوات البهيمية وهؤلاء هم أخس الخلائق طباعاً وأخفضهم منزلة كما تراه في حال المتهتكين في محبة النساء وشرب الخمور وملازمة القهاوي ومواطن الملاهي ومنهم من احتجب بالتكالب على الدنيا فلم تتوجه افكاره الا الى جمع الاموال والكد في تحصيل متاعها القليل ومنهم من احتجب بالجاه ونفوذ الكلمة ولولا ماهو عليه من العجز والافتقار الحقيقي لادعي الالوهية . ومنهم من احتجب بسعة الاطلاع ومطالعة الفنون الرياضية وانطلق فكره سارحاً في ميادين المعلومات سابحاً في بحارها المظلمة حتى تعمق في عميق موجها المتلاطم فأركبه

الشيطان مركب الغرور حتى غلب على عقله الافتتان بنفسه. وتمكن منه الاحتجاب بحسه. فظن ان له نصيبا من ذلك الملك المسخر له وتوهم أن له الحق في التصرف فيه فانتصب لاصلاح ما ظنه فاسدا من شؤون الخلائق الذين يرونه ارفع منهم منزلة لجهلهم بشأنه وشؤون أنفسهم وكان من امره أن جعله الله سبحانه وتعالى بوا اي صورة مخوفة يظنها الاغبياء ضارة نافعة لكي يخوف الله به من لايخاف ولا يستحي من ربه ليصرف قلوبهم الغافلة عنه وذلك بأنهم قوم لا يفقهون

وهذا هو حال الفلاسفة فتراهم لشدة طغيانهم عموا عن متابعة الرسل مع علمهم بأنهم على الحق ولكنهم توهموا انهم لا يزيدون عنهم في سعة العقل درجة بل ظنوا انهم في درجة العقل سواء فألزمهم سوء الادب ان يتخذوا للناس مسلكا غير مسالك الرسل تكون سببا لاصلاح ما فسد من احوالهم ظنا منهم ان لكل زمن حكماء وانهم هم حكماء ازمانهم فتعالى بهم الطيش الى درجة توهموها فوق درجة النبوة وغرهم انقياد ضعفاء القلوب وانتماء السفهاء اليهم فما تفطنوا الى أن حكمة الله فوق كل حكمة وأن تدبيره اكمل تدبير وأنه هو المشرع وانه كان بعباده خبيرا بصيرا فلذلك ازدروا الآداب الشرعية وانتحلوا للناس طريقا غيرها فهلكوا وهلك من تابعهم وهم لا يشعرون

ألا ترى الناس الآن اعتنقوا الدنيا وهجروا الآخرة متابعين لسفهاء الفلاسفة من كل دين إذ قاموا خطباء فيما بينهم مرغبين في الدنيا ومنكرين أمر الآخرة ظانين ان مراد الله من هذا الوجود ما هو الا التقدم والغلبة وكمال الاستعدادات المحاربة وسفك الدماء الي غير ذلك مما تسارع

اليه الامم الآن وما ذلك الا ثمرة الطغيان والطيش والله على كل شيء قدير فطوبى لعبد شاهد دخان هذه الفتن المهلكة فاحتمى من لهيب نيرانها بالالتجاء الى ما تحفظ به السلف الصالح وتتبع آثارهم بالنظر في أخبارهم وتفقد مؤلفاتهم حتى يتبين له الحق قبل أن تهوى به الاهواء من جهنم في مكان سحيق

ألا يرى المسلم المتبصر في أمره الذي تعز عليه نفسه أن يسلمها الى أولئك الشياطين أن شياطين المبشرين الآن ليس لهم مستند يستندون اليه في اغوائهم ولا ركن يركنون اليه في جدلهم الا ما عليه الفلاسفة الآن من ازدراء الدين. واعابة الأئمة المجتهدين. وانها لفتنة عظمى وطامة كبرى ومحنة عامة لا ملجأ منها ولا منجا الا سعة رحمة الله ولطفه بعباده وهو التواب الرحيم

(العقبة التاسعة)

اذا تحققنا أن الرسل قد سلكوا مسلكاً دينيا وتبين أن عظماء الفلاسفة خالفوهم الى مسلك آخر وكان مسلك الانبياء شرعيا ومسلك الفلاسفة عقليا فمن من الفريقين تجب متابعته ومن هو الاكمل حالا والأحسن مقالا. والأقوم أعمالا. فنقول

ان المتأمل البصير الذي له نصيب من العقل اذا تأمل في أحوال الأمة وأعمالها من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الآن بعين الناقد البصير يعلم الفرق بين خيار القرون وبين الفلاسفة ويعلم السبب الفارق بينهم بأدنى تأمل ويتحقق حق اليقين أنه لو سرت المتابعة على حقيقتها في التابعين وتابع التابعين وراء النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الى الآن لكان الكل خيارا

ولقد أجمعت جميع الامم من فلاسفة وغير فلاسفة أن محمدا وأصحابه هم خير الامم وأكملهم حالا . وأشرفهم أعمالا . ثم كل عاقل يعلم علم اليقين أن السبب القوي في وجود المخالفة بين التابعين في كل قرن ماهو الا اتباع الهوى ولا يكون اتباع الهوى الا من دعوى العقل التي عليها الفلاسفة في كل زمن . وان الفرق بين أخلاق الفلاسفة وبين أخلاق الرسل لواضح كوضوح الفرق بين أعمال هؤلاء وهؤلاء وبين أحوالهم اذ أحوال الرسل أحوال تسليم وتفويض وأعمالهم تابعة لاحوالهم . وأما أحوال الفلاسفة فأحوال استبداد ودعوى استقلال بالرأى ثم ان أعمالهم تابعة لاحوالهم . فالفرق بين الطائفتين كالفرق بين العبد المستسلم لسيده المنقاد لاوامره وبين العبد اللئيم الذي لا يعمل الا ماطوعت له نفسه عمله وليست متابعة احدى الطائفتين طوع اختيار المتخيرين ولكنما هي وراء الاستعدادات الازلية . والقوابل الفطرية . كما كانت عليه الناس في أيام الرسل فمن دعته العناية الازلية وساعدته سابقة استعداده على سلوك سبيل السعادة انشرح صدره لمتابعة الرسل في كمال الآداب وأداء الفرائض ومن حقت عليه كلمة العذاب افتتن بما افتتن به أئمة الضلال والزيغ وأخذ بفكره عن الآداب الدينية جانبا وأحاط به الغرور حتى اذا جاءته آيات ربه القرآنية أولها الى مايلائم حاله كما قال الله تبارك وتعالى (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) واذا اعترضته آيات الاعتبار أعرض عنها فلا تصغى أذنه الا الى مغويه من تلك الطائفة الخبيثة التي هي أضر خلق الله على عباد الله نسأل الله السلامة والحفظ من الغرور والدعوى وسوء الافتتان انه كان توابا حكيما

فليتجنب المسلم العاقل مواقف الزلل وليتجمل المؤمنون بصالح العمل ومن أراد النجاة فليتحفظ من ورطات الغرور وليتجنب زخرف القول فانه مامن مصيبة أضر على العالم وعلى من يقتدي به من زخرفة القول المخالف لسنة السلف الصالح سيما اذا جاء على صحة قوله بدليل قرائن الاحوال الحاضرة اذ كل سامع كان يجهل أمرا ثم طرق آذانه ذلك الامر بكلام مزخرف لا يدافعه عن تصديقه مدافع الا اذا تلا عليه ماهو خير منه تال ممن يكونون فوق المتكلم الاول درجة في أعين الناس ولقد اصبحت طائفة الفلاسفة في هذا الزمن أعظم الطوائف في أعين الناظرين وما ذلك الا لسببين الواحد منهما أن الوقت وقت فتنة وضلال عن الدين وانهماك في الدنيا واقبال عليها وكل مقبل على الدنيا لا يعظم في عينه الا من كان ذا بسطة في المال والجاه . الثاني أن النفوس الامارة لا تميل الا الى مايلائم أغراضها والقلوب لا تقبل الا على ما كانت بينها وبينه مناسبة فلا يميل المغرور الا الى أهل الغرور ولا ينتمي سليم القلب الا الى أهل التقوى وقليل ماهم في هذا الزمن ولذلك ترى الدين كأنه صار غريبا كما بدئ تصديقا لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

(العقبة العاشرة)

ماسبب انتشار المسيحيين الآن باسم مبشرين هل هو عن أمر سماوى . أم هو عمل خيري ديني أم لغاية مقصوده . واذا كان لغاية مقصودة فهل لها من ثمرة مأمولة ام لا ثمرة لها

ونقول لقد امتدت آماق البصائر وتطاولت اعناق الافكار . الى معرفة اسباب هذا الانتشار . الذي اصبح اشبه شيء بالطاعون البقري والحمى

الدجاجية واختلفت فيه الاقوال فمن قائل انه امر دولي سياسي يقصد به كسر شوكة الدين الاسلامي واضعاف الحمية الدينية التي كان عليها المسلمون في محبة دينهم ليسهل تذليلهم واذلالهم على من اراد ذلك بهم عند الحاجة وهذا امر بعيد عن دائرة التصديق لان الدول لاتعلق لها بأمر الديانات الا ان يقال ان بعض الافراد من زعماء الاصلاح الموظفين ميالون لذلك ميلا طبيعيا بعد الايقان بأنه امر غير مجمع عليه

ومن قائل ان احدى الدول نظرت الى رؤساء الاديان بعين الاحتقار وتحاملت عليهم فما وجدوا ملجأ الا الديار المصرية لظنهم انها هي الآن مواطن المحقرين الأذلاء . ومن قائل انها شرذمة قليلة كانوا فقراء وتظاهروا بدعوى التدين بين بسطاء المسيحيين الاغنياء . فأمدوهم بالاموال فاتخذوا ماتظاهروا به حرفة تجارية وتغالوا في ذلك حتى كان من امرهم ما كان واثبتوا في قلوب المسيحيين ان خوضهم في عرض محمد صلى الله عليه وسلم وفي كتاب الله العزيز هو من قبيل الانتصار للمسيح عليه السلام فاقبلوا على معاونتهم واكثروا لهم من العطاء ماتركهم يجولون في الاقطار لهذا الغرض كما يجول المجنون في الفضاء الذي لازاجر له فيه . الى كثير من الاقوال ولسنا ممن تتطاول افكارهم الى البحث في ذلك ولكننا نقول للمسلم الذي يميل الى الوقوف على الحقائق القول الحق الذي يراه أرباب البصائر مما يجب اعتقاده عند ترادف الفتن والله يقول الحق ويهدي السبيل

قال الله تعالى في كتابه العزيز (وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) ولفظ شيء يشمل كل شيء من عالم الخلق

والأمر وقال في آية أخرى (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون) يريد في الحال والمآل والى هذا المعنى أشار النبي صلى الله عليه وسلم بما معناه (خزائن الخير والشر بيد الله مفاتيحها الرجال فطوبى لمن جعله الله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر وويل لمن جعله الله مغلاقاً للخير مفتاحاً للشر) وان الخير والشر أو الهدى والضلال ليتداولان بحكم الاقدار الالهية في الازمان كما تتداول الايام بالدول فالزمن الذي يريد الله فيه غلبة الخير على الشر تكثر خياره . وتتأيد أنصاره . والزمن الذي يريد الله فيه غلبة الشر على الخير تكثر أشراره لان من سنة الله في خلقه ايقاف المسببات على اسبابها ومن تأمل في وقائع هذا الزمن وانتشار الفتن فيه وانقلاب أحوال الامة من ايمان ثابت ويقين صادق وحياء من الله وخوف منه ورغبة في الجنة وخوف من النار وتمسك بالدين واداء للفرائض وتودد في الله ومحبة وميل الى الطاعة وبغض في المعاصي الى مانراه الآن من الفسق والفجور وشدة الجرأة والاقدام على الاعمال القبيحة وفقد الحياء والخوف وانتشار القبائح وفحش القول السيء من كل صغير وكبير وتكذيب ماجاءت به الرسل من الوعد بالجنة والوعيد بالنار وفساد الاعتقادات والميل الى الشبه الزيغية المضلة وقوة شوكة الفلسفة والجدل وانتشار المضلين الضالين في أقطار الارض وكل ذلك قدكان في زمن لا يتجاوز العشر سنين علم علم اليقين ان مراد الله من خلقه ماهم عليه الآن من سوء الحال . ونسيان المآل . والتكالب على الدنيا وهجر الدين ليكون لجهنم منهم اوفر نصيب ولذلك ترى أن البيت من بيوت المسلمين الآن ربما مضى عليه أيام عديدة لا تسمع فيه من يقول لا آله الا الله ولا ترى فيه مصليا وربما

أجمعت العائلة برمتها على هجر المناسك الدينية حتى لا يكون بينهم وبين أهل الكفر فارق بل ربما كان الكافر المتمسك بعبادة صنمه فوقهم في أداء ما يعتقد وجوبه عليه ومن تحقق الامر كما ذكرنا وتيقن ان الاقدار الالهية هي القاضية بما نراه وراء الارادة العلية التي كما اوجدت الجنة وجعلت لها أهلاً كذلك خلقت النار وعينت لها ما يكفيها اذا قالت يوم القيامة هل من مزيد علم علم اليقين أن هذا السير السريع والانتقال . الذي كان على عجل من حال الى حال . كما ذكرنا هو عمل مقدر الاقدار . لا عمل الاغيار . ولولا ذلك لما اتفقت أغراض الفلاسفة وطوايا المبشرين على ايقاع الريب والشك في قلوب العوام بما ألقوه اليهم مشافهة وعلى ألسنة الصحف الزيغية المنتشرة من تقبيح أعمال المتمسكين بدينهم بدعوى أن الكتاب والسنة ما اوجبا ذلك بل ربما مقتاه حتى انتقل العوام من تذكار للدين ومحبة الى نسيان وملال وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون

وأما غاية أعمال المبشرين ومن عاونوهم فما هي الا خفض أعلام الدين المحمدي وأما ثمرة ذلك المأمولة لهم فما هي الا توسعة نطاق ثروتهم واطفاء ما كان في قلوبهم قبل هذه البدعة من حرارة الفقر المدقع وان هذه الفتن لا بد لها من نهاية يعود وبالها على اهل المكر السيء كما قال الله تبارك وتعالى (ولا يحيق المكر السيء الا بأهله) وان الباطل لا يعلو على الحق وان تطاول به الزمن وماشادّ الدين أحد الا غلبه كما أخبر الصادق الامين وكما قال الله سبحانه وتعالى (ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين) ومتى اشتد الكرب هان وكلما تعالى الباطل دنى انحطاطه وان الذين ظهروا الآن بمظاهر الزيغ سيطويهم الخفاء تحت نعال المصائب اذ هم كبغال مسخرين

لأحمال ثقيلة حتى اذا بلغت محلها حشرت البغال في اسطبل الدواب وانه لاسطبل ليس لها فيه طعام الا من زقوم كما قال الله جل شأنه (لا يسمن ولا يغني من جوع) والله بما يعملون محيط

فعلى كل عاقل ألقيت تلك العقبات أمامه أن يتبصر فيما ذكرناه ويتدبره بفكر سليم وقلب حاضر ونية صالحة حتى اذا ثبت في حافظة تصوره هذا البيان البين لا يعمل فيه سحر الساحرين . ولا مكر الماكرين ولا تزحزحه عن دينه القويم خدعة مخادع ولا شبهة مبتدع . والحق أحق أن يتبع . والله لا يهدي كيد الخائنين

ثم نقول انه لما ألقت الينا تقلبات الايام وحوادث الليالي أقوال اهل الزيغ التي جمعها صاحب (تنوير الافهام في مصادر الاسلام) اعرضناها على كثير من العقلاء فأعرضوا عنها مقتاً وازدراء وقالوا انها أحاديث أحداث غير مميزين ولقد اضحكهم حال ذلك الكتاب عندما علموا عنوانه وقالوا ان بين الاسم ومسماه تضاد وتناقض وما كان لمؤلف عاقل أن يؤلف بينهما اذ المطلع البصير لا يرتاب في أن ما جاء به أولئك المبطلون ماهو الا تشويش افهام . وتمويه اوهام . فالتمسنا لذلك المؤلف عذراً لأنه ما كان الا ناقلا جاهلا بما هو الدين فلهذا ما وجهنا اليه ملاما بل كل ما كان وما يكون منا من عتب او سب لا نقصد به الا من نقل عنهم ذلك الناقل لأنه لو علم أنها خمر ما حملها الى أحبائه واخوانه ولا تعرض للعنة الله حيث يلعن الله الحامل والمحمول والمحمولة اليه كما ورد في حديث الخمرة

ثم لما كان كل مطلع على هذا الكتاب يعلم علماً بديهياً أن المقصود منه ماهو الا تشويش افكار عوام المسلمين الذين يجهلون آداب الدين وأصوله

ألجأنا حب الخير وصدق الايمان والتعاون على البر والتقوى ان نأخذ بأيدي جهلة العوام من ورطات هذه السيئة التي يراها العلماء في اعينهم هزءاً مضحكا ويراها الجاهل جدلا مسكتا فصار من الواجب المحتم واللازم الضروري ان ننكش من نكش. ونلكش من لكش. ونصرع المصارع. وننزع المنازع. ولهم في الآخرة عذاب مهين

الكلام الآن على الدين لا من حيث هو امر سماوي موصل الى سعادة ابدية كما سبق بيانه ولكننا الآن في ميدان الجدال نتكلم عليه من طريق انه حضارة وتمدن كما زعم الفلاسفة وسفهاء الزائغين لأنهم لا يعلمون الا ظاهرا من القول ولا يعتقدون الا طريق الاعتدال في المصالح الدنيوية ولقد عاب اصحاب هذا الكتاب دين الامة المحمدية. لزعمهم ان مصادره ليست سماوية. ولكنها خرافات اخبار كما زعموا فصار من الواجب الآن على كل مسلم وكل مسيحي بل وكل يهودي ان يبحث عن مصادر الديانات الثلاث ومواردها وما جاءت به وما عليه المتدينون منها حتى اذا ما تحقق الحق في واحد منها تدين به متى علم ان الله سبحانه وتعالى قد ارتضاه لعباده ثم بعد ان تبين الحق نتكلم ان شاء الله تعالى عن الرسالة المحمدية من حيث انها سماوية وانما هي لباب دين الله وملاك امره وحقيقة حاله فلنبدأ بدين موسى عليه السلام فنقول

قام موسى عليه السلام يقاوم قوما من آل فرعون قبل أن يرسله الله اليهم مقتا لما كانوا عليه من أحوال التوحش والاستبداد وبغضا لفرعون الذي كان يدعي ماليس له فيه من حق وما كان ذلك المقت والبغض طاعة لأمر الله ولكنها فطرته التي كان عليها لان من سنة الله

في خلقه أن يهيأ لما يريد امضاءه من الاعمال المقدر وقوعها في كل زمن استعدادات وقوابل فيمن يريد اظهارها على أيديهم وأن يجعلها موارد أفكار قوم قبل ظهورها فلذلك أوجد الله في قلب موسى وقلوب شيعته بغض فرعون وملائه كما أحدث في قلوب قوم من قريش بغض الاصنام وسآمة عبادتها قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بقليل كما ذكره صاحب تنوير الافهام وسيأتي بيانه فلما ائتمر القوم بموسى ليقتلوه خرج من بينهم خائفا يترقب ولا يجهل متدين عناية الله به في زمن الطفولية اذ رباه في حجر عدوه على علم منه ثم في زمن الرجولية اذ آواه وزوجه ابنة شعيب بلا سابقة تعارف ولما آن أوان بعثته تعرف له الحق تبارك وتعالى في صورة حاجته ليلا اذ كان يحتاج لامرأته قبسا عند وضعها الحمل في حال السفر فأراه الله جل شأنه وتقدست أسماؤه من الشجرة نارا فلما أتاها نودي ياموسى انني أنا الله ولم يكن هناك عليها شاهد ثم أرسله الى فرعون وملائه بآيات بينات فكذبوه وقاموا في وجهه مجادلين ومحاورين ومعارضين وكلما ازداد الحق وضوحا ازداد القوم كفرا كما أنبأنا الله بذلك وكما ورد في العهد القديم من الاناجيل التي يدرسها الآن المسيحيون وما زالوا كفارا حتى أهلكهم الله الا من شاء الله هدايتهم ولما جاوز الله بموسى البحر ومن معه أكرمهم بما فضلهم به على العالمين في ذلك الزمن وما كان ذلك التفضيل الا الذي امتن على موسى به في قوله له (اني فضلتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) فقام عليه السلام في قومه يتلو التوراة ويمضي فيهم أحكامها وهم طورا يتلونون وطورا يستقيمون حتى قارب موسى الاجل كتب لهم التوراة وهو في غاية من

الاسف والحزن على ما وقع منهم من اللوم الذي لاينبغي أن يتخلق به من له أدنى احساس أو تمييز من مقابلة نعم الله بالبطر والكفر مع ماعلمه منهم من نقض العهود باخبار الله سبحانه وتعالى له بجمع الراشدين منهم كما هو مسطر في العهد القديم وهذا نصه

(فعند ما كمل موسى كتابة كلمات التوراة في كتاب الى تمامها أمر موسى الاوابين حاملي تابوت عهد الرب قائلا خذوا كتاب التوراة وضعوه بجانب تابوت عهد الرب المسكم ليكون هناك شاهدا عليكم لاني انا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هو ذا وانا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي اجمعوا الي شيوخ أسباطكم وعرفائكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والارض لأني عارف انكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به ويصيبكم الشر في آخر الايام لانكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمالكم بأيديكم)

هذه هي شهادة موسى عليه السلام على أمته وأما شهادة الله سبحانه وتعالى عليهم فهي فيما ورد في ذلك العهد في الصحيفة التي قبل هذا وهذا نصه

(وقال الرب لموسى هوذا أيامك قد قربت لكي تموت أدع يوشع وقفا في خيمة الاجتماع لكي أوصيه ولما وقفا هناك قال الرب لموسى ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويفجر وراء آلهة الاجنبيين في الارض التي هو داخل اليها في مابينهم ويتركني وينكث عهدي الذي قطعته معه فيشتعل غضبي عليه في ذلك اليوم واتركه واحجب وجهي عنه) الى آخر ما ذكر هناك

وذلك بعض مما جاءت به تلك الامة من المخالفات في حياة ذلك الرسول الكريم كما هو معلوم مما ورد عنها في كل الكتب السماوية ثم بعد موت موسى كان ما كان من بني اسرائيل من المخالفات وهجر الاحكام الشرعية وقتل الانبياء وقد انبأ القرآن عنهم بقول الله سبحانه وتعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) الى آخر الآية الشريفة

فالعقلاء يستنتجون بآرائهم مما ذكرناه اربع نتائج (الواحدة) ان مبدأ رسالة موسى عليه السلام خطاب الله سبحانه وتعالى من الشجرة ليلة وضع زوجته . (الثانية) ان موسى مات غير راض عن امته . (الثالثة) ان الله سبحانه وتعالى كان ساخطاً عليهم لانهم كفروا نعمه وخالفوا اوامره مرارا . (الرابعة) لم يحفظوا شريعة نبيهم بعد موته . ومن كان هذا حاله لا يقتدي به ولا يتبع ولا يصدق في أنبائه ولا يؤمن على كتاب الله الذي جاء به موسى وهذا هو ما ينبغي لكل عاقل ان يعلمه من كلام العهد القديم كتاب المسيحيين ومن آيات القرآن المجيد الذي انزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم لان اعمال تلك الامة كلها ما وافقت اعمال التمدن بوجه من الوجوه بل كانت اعمال توحش وهمجية كما شهد بذلك الرب جل شأنه في ذلك العهد بقوله (انهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم) ومن كانت هذه شهادة الله فيه لاخير فيه ولا يعتد بقوله ولا بعمله

واما عيسى عليه السلام فنحن بكل ادب واحترام نعتقد صدق رسالته وصحة دينه الذي كان عليه هو والحواريون من بعده ونعتقد ان دينه هو الدين الاسلامي الذي سبق بيانه قبل وقد كان دين كل نبي

ورسول ولكنا نتكلم على الدين الذي اعتنقه قومه الآن من حيث انه حضارة وتمدن ومخترعات فلاسفة أقدمين تركوا آداب الدين الحقيقي وتنافسوا في الظهور متظاهرين بالعلم والمعارف لا من طريق الاتباع . بل من طريق الابتداع . وراء مخيلاتهم . وتمويهات أوهامهم . فنقول

جاء في كتاب العهد الجديد في الاصحاح الاول أن ولادة المسيح كانت هكذا

(لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلي من الروح القدس فيوسف رجلها اذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً ولكن فيما هو متفكر في هذه الامور اذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلا يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس فتلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم وهذا كله كان لكي يتم ماقيل من الرب بالنبي القائل هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا)

ولقد عاب فصحاء الأمة مافي هذا الاصحاح من ركاكة الالفاظ وقالوا انه ربما كان هو السبب الوحيد في فتنة اليهود وزعمهم أن المسيح هو ابن يوسف وذلك من وجوه

منها أن قوله وجدت حبلى من الروح القدس يفيد ان روح القدس الذي هو جبريل عليه السلام أو أي ملك من الملائكة الروحانيين واقع مريم فحبلت منه وذلك ينافي أنه كلمة الله بالمعنى الذي يزعمه المسيحيون لانهم يقولون ان المسيح كان ذاتاً موجودة كائنة قبل حصولها في بطن مريم

وان هذه الذات التي هي من الله هي جوهر الهي حل في أحشاء مريم وتأنس منها وهو علة كيان المسيح بدون أب

ففهم الفصحاء من سخافة تلك الالفاظ انما تقولها الا قوم جهلاء باللغة العربية قد تفننوا في الجهل لأنه لو كان المسيح ذاتاً موجودة قبل وجود مريم لقال الانجيل انما حلت الذات القديمة الجوهرية التى هي ابن الله بطن مريم فظن يوسف زوجها أنها باغية فجاءه الملك ببراءتها بدل ماتقدم ذكره

ثم تأكدوا جهل متصنعي هذا الاصحاح من ركاكة قولهم اذ قالوا ان ملاك الرب قال ليوسف لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لان الذي حبل به فيها هو من الروح القدس وطالما ضحك الفصحاء من قوله حبل به فيها لانهم فهموا أن الملاك الذي أتى ليوسف هذا القول تخيل أن بطن مريم قرية من القرى حبلت فيها حبلي بولد فقال الذي حبل به فيها هو من الروح القدس لانه لو تفطن لان مريم هي الحبلي لم يقل حبل به فيها فلهذه الركاكة ألزموا أنفسهم تلاوة العهد القديم والعهد الجديد ليتبينوا هل هما الكتاب المقدس الذي أنزله الله أم هما غيره وسنذكر مايبدوا لابصارهم وبصائرهم بعد قليل

ثم جاء في ذلك العهد الجديد أن الملاك جاء ليوسف مناما مرة ثانية بعد ولادة المسيح ليهرب به الى مصر قائلا له في الحلم خذ الصبي وأمه واهرب الى مصر كما في الاصحاح الثاني وقد هرب بهما ولما مات هيرودس جاءه الملك مناما ليرجع بهما فرجعوا الى ناصرة ولذلك كان يدعي عيسي الناصري ثم في الاصحاح الثالث ذكروا أن يوحنا عمده

والتعميد هو بمعنى الاغتسال لأن كل تائب على يد استاذ لابد أن يتطهر بالماء عند التوبة غير أن المسيحيين يزعمون أن ماء التعمد ماء خاص مبارك

وهذه أيضاً احدثت في صدور العقلاء شيئاً من الشك في أمر المسيح من وجهين. الاول أن المسيح هو الاله وما كان لاله ان يعمده عبد من عبيده. الثاني أن القرآن المجيد قال فيما حكاه عن المسيح انه قال لقومه عند ما أشارت اليه ان يتكلم (اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا) ومن كان نبياً وموصي من قبل الله لا يسمح له الادب مع الله أن ينتمي الى عبد من عبيده ليطهره بالتعميد فلذلك اجمع جماعة من العقلاء وهم الفصحاء الذين أشرنا اليهم قبل أن يتصفحوا صحف العهدين ليفحصوا حقيقة الحال بدقة التأمل فيتبينوا مصادر الدين المسيحي فلما وقفوا في الاصحاح الرابع على ما كان بينه و بين ابليس وقوله ان ابليس أخذه الى المدينة المقدسة وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك وقوله له مرة أخرى أسجد لي وأنا أعطيك كذا علموا أن هـذه خرافات محدثين لعلمهم ان المسيح عليه السلام محفوظ بحفظ الهي لا قدرة لابليس ان يأخذه ويقف به هـذه المواقف لأنه ليس له سلطان الا على الذين يتولونه ولقد سأل الله سبحانه وتعالى أن يأذن له في لقاء محمد صلى الله عليه وسلم فأذن له وحفت الملائكة حول سيد الرسل ووقف ابليس على بعد قائلاً يامحمد خلقت للهداية وليس بيدك منها شيء وخلقت للغواية وليس بيدي منها شيء وما كان له من بغية في القاء هذا القول الا أن يقع عند النبي صلى الله عليه وسلم موقع القبول فيكون له عليه فضل التعليم فقال له صلى الله عليه وسلم مامعناه الحقائق معلومة

وقولك مردود عليك فخجل اللعين وذهب من حيث أتى

اذاً فالقول بأن اللعين أخذ المسيح ووقف به تلك المواقف قول مستهجن لا يصدقه الا من لا عقل له ولا دين لأنه من الثابت الصحيح أنه لم يصل اليه وهو طفل فكيف يصل اليه وهو نبي ورسول ثم ذكر في هذا الاصحاح أن يوحنا مات في ذلك الزمن ولما سمع المسيح بذلك قام يكرز ويقول للناس توبوا فلما وقف العقلاء على هذا الموقف علموا أن مصدر الدين المسيحي هو تعميد يوحنا لعيسى عليه السلام وأنه تلميذه وأن مبدأ دعوته ليس عن أمر سماوي ولكنه عمل من عمل الاتقياء كما يعمل تلميذ أحد مشايخ الطرق اذا مات شيخه يكون خلفاً له في طريق الارشاد الى الله سبحانه وتعالى وهكذا كان امر المسيح الذي يعلمه المسلمون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبباً لقوة الشك في قلوب هؤلاء العقلاء في احتمال الصدق والكذب من امر هذا الكتاب ولكنهم تثبتوا حتى يتيقنوا الامر على ما هو عليه وسارت بهم نجب الاطلاع في ميدان المطالعة الى أن وصلوا في الاصحاح الخامس الى قول المسيح لتلامذته (فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا اعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات)

فعلموا ان المسيحيين لجهلهم باللغة العربية عند ما عربوا الانجيل ظنوا أن اسم الرب الذي هو بمعنى المربي ينطبق على الاب بمعنى الوالد وأن المربوب اذا كان محبوباً مجتبى يطلق عليه اسم الابن فلذلك جاء في هذا الاصحاح قوله ويمجدوا أباكم الذي في السماء فليس الله أباً للمسيح فقط ولكنه أب لكل بار كما يقول المسلمون النبي جد كل تقي وكما قال الله تعالى (النبي أولى

بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) فليسوا بأمهات ولادة ولكنهن أمهات بر وحنان وتكريم وعلموا ان ذلك الجهل من المسيحيين هو السبب الاقوى في فساد اعتقاداتهم وزعمهم ان المسيح ابن الله لأنهم ما تدبروا معنى ما أنزل اليهم

ثم لما وصلوا الى قوله في هذا الاصحاح لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الانبياء ماجئت لأنقض بل جئت لأكمل فاني الحق أقول لكم الى أن تزول السموات والارض لا يزول حرف واحد او نقطة واحدة من الناموس فتيقنوا ان الناموس الذي جاء به موسى وابراهيم وجميع النبيين الذي هو الدين الاسلامي ولكنهم لما طالعوا قوله بعد ذلك في هذا الاصحاح أيضا قد سمعتم أنه قيل للقدماء قبلكم لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم وأما انا فأقول لكم ان كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم ثم قال لهم بعد ذلك انه قيل للقدماء لا تزني وأما انا فأقول لكم ان كل من نظر الى امرأة يشتهيها فقد زنى بها في قلبه فان كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك الى أن قال وان كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها لحار العقلاء في معنى ذلك القول لانه لو كان هذا تكميلا للناموس الالهي وكان من اوامر الله كان شرعاً معمولا به ومن لم يعمل به فهو فاسق فلو ان المسيحيين عملوا بهذا لأصبحوا وما منهم من ليس بأعور أو اعمى او اقطع والا كانوا فاسقين سيما القسس الذين كنا نسمع عنهم انهم كانوا فيما يزنون بنساء الاقباط في القرى بدعوى حمل الخطايا والتعميد سرا ثم الذين كانوا يتناولون الرشاوي بأيديهم الى غير ذلك من انواع الفجور وان كان ماجاء في هذا الاصحاح هو كلام ألقاه المسيح من

نفسه على سبيل الوعظ كما يأتي به الوعاظ من التشديد في زجر الفجرة ولم يكن من الناموس الالهي فلا ينبغي ان يكون محسوبا ومكتوبا في الكتاب المقدس الذي يقال له تنزيل الهي

وكذلك عند ما وصلوا الى قوله سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأما انا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الايمن فحول له الآخر ومن اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضا فعلموا ان ذكر ماجاء في الناموس الالهي والاضراب عنه بعد ذكره بذكر كلام يناقضه وينافيه لابد أن يكون ناقضاً له وقد تبرأ المسيح في كلامه من نقض الناموس بقوله ماجئت لأنقض الناموس وحينئذ ينطبق عليه أحد الاحتمالين السابقين بمعنى انه ان كان من عند الله كان ناسخاً للحكم الاول وناقضاً له وان كان من عند المسيح لم يكن انجيلا

ثم لما طالعوا بقية هذا الاصحاح من قوله قد سمعتم انه قيل لمن قبلكم تحب قريبك وتبغض عدوك وأما انا فأقول أحبوا أعداءكم الى ان قال فكونوا انتم كاملين كما أن اباكم الذي في السموات هو كامل فعند ذلك تعجب العقلاء من نسبة هذا الكلام للمسيح عليه السلام من وجهين الاول انه يعلم ان الكلام الذي يريد نقضه هو من عند الله وأن الله هو منزله وليس من الأدب ان يقول الله قال كذا وانا اقول كذا. الثاني انه يعلم أن العدل في القضاء هو الكمال الكلي ولو علم الله ان في ذلك الحكم ماينافي الكمال ماشرعه وليس الولد بأعلم من ابيه ان قلنا كما تزعمون انه ابن الله ولو كان هو الاله كما يقول السفهاء منكم لكان الاولى له ان يقول انا قلت لمن قبلكم كذا واليوم اقول لكم كذا ومن هذا كله تحقق العقلاء

ان هذا الكلام ليس لعيسى ولا لأبيه ولكنه امامعرب محرف وامامصطنع عن جهل فلذلك التمسوا عذرا للمسيحي الحائر الذي عنون رسالتـه بقوله أين الانجيـل الحقيقي وعلموا انه ماجاء مجادلا ولكنه يروم الوقوف على الحقيقة بارشاد المسلمين له ولكنه تستر بما جاء به في تلك الرسالة من الجدال والمحاورة مداراة لسفهاء قومه

ثم قال في الاصحاح السادس (احذروا من أن تصنعوا صدقتكم قدام النـاس لكي ينظروكم فلا يكون لكم أجر عنـد أبيكم الذي في السموات فضحكوا كثيراً من سخافة هـذا القول وركاكته لأن لفظ قدام لفظ يستعمله العوام فيما اذا تقدم رجل أخاه فيقولون مشي قدامه ثم ان لفظ لا تصنعوا بدل لا تعطوا صدقاتكم يعد لفظاً ركيكاً ثم قاموا مقارنين بين هذه الالفاظ وبين ماورد في القرآن في هذا المعرض فقرأ أحدهم وكان ذا صوت رخيم وترتيل حسن قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رآء النـاس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا) الى آخر الآيات الواردة في هذا المعرض

ثم تعجبوا من اعتراض الخاطئة صاحبة المنار الذي رددنا عليه ضمن كتابنا مثبت العقل والدين على قول الله سبحانه وتعالى (تلك عشرة كاملة) اذ قالت ان قوله (كاملة) لفظ زائد لا يناسب بلاغة القرآن ثم قالوا لماذا لم تتكلم هذه المشؤمة على مافي هذه الأناجيل من الالفاظ الفظيعة أما سمعت قول المسيح كيف تنظر القذى في عين أخيك ولا تنظر الخشبة في عينك فكان الاولى لها ان تتبع عوراة قدماء دينها بدل خوضها في آيات الله سبحانه

وتعالى بما لا ينطبق على أفهام العقلاء اذ الفرق بين بلاغة القرآن المجيد وبين ركاكة هذه الاناجيل لا ينكره منكر عالماً كان او جاهلا فان قلنا ان الانجيل كان من عند عيسى والقرآن من محمد كان محمد صلى الله عليه وسلم اعلم بمواقع الخطاب وترتيل الكتاب. وارشاد الاصحاب. من عيسى كما نراه في كتابه. وأحاديثه وآدابه. ولا ريب في أن أعلم المرشدين واكملهم أولى بالاتباع فلماذا لم تتبعه تلك الخاطئة وان قلنا ان عيسى ابن الله وكلامه كلام مقدس وأما محمد فتصنع كاذب يقول القائل هل يظن عاقل او يتصور متصور أن الكاذب من العبيد يكون أحسن لهجة وأقدر على الجمع بين جميع محاسن الكلام في اقواله من خالقه ان هذا لهو الضلال المبين. وان قلنا ان الانجيل والقرآن كلاهما من الله يقول القائل هل كان الله سبحانه وتعالى في الزمن الذي أنزل فيه الانجيل على حال غير الحال التي كان عليها عنـد ما أنزل القرآن فيكون كانه لم يستكمل نهاية البلاغة والفصاحة الا في الزمن الاخير وهذا هو الكفر والجهل بعينه اذاً فيتعين أن يقال ان كلا الكتابين من عند الله ولكن الله سبحانه وتعالى كما أمر محمدا صلى الله عليه وسلم أن يخاطب الناس على قدر عقولهم كذلك كانت سنته في خلقه ورسله فأنزل التوراة على أمة حمقى لاعقول لها كما شهد عليهم بذلك هو وموسى عليه السلام فلذلك كانت معاملته لهم في الخطاب والتعليمات والآيات على قدر عقولهم وأنزل الانجيل لبقايا تلك الامة فعربوه بما يليق بحالهم وحرفوه وغيروا وبدلوا فيـه كما يشتهوا وكان منهم الدجالون الذين طال ما حذر المسيح الحواريين منهم. ثم انزل الكتاب الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على أمة كانت خير أمـة أخرجت للناس بشهادة

الله ورسوله كتاباً محفوظاً فحفظوه وقاموا بالواجب له من العلم والعمل والادب الكامل وتلقوه بقبول حسن وتواصوا به الى أن أوصلوه . الى سفهاء هذا الزمن فاهملوه . علماً وعملا واصبح الكثير به كافرين وصرفوا قلوب ابنائهم عن التعلق به بما اشغلوهم به من الفنون . التي تركتهم كفاراً من حيث لايشعرون . ثم تداول العقلاء الكلام فيما كان . من أهل هذا الزمن من الخسران . وخيبة الامل والمسارعة الى النار حتى بكي البعض والبعض تباكي أسفاً وحزنا على هذه الامة التي أفسد حالها فلاسفتها ودسوا لها السم في الدسم ولكن الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

ثم قال في هذا الاصحاح (ومتى صليت فلا تكن كالمرائيين الى أن قال في آخره فلا تتشبهوا بهم لان أباكم يعلم ماتحتاجون اليه قبل أن تسألوه)

فتعجب القوم من سفاهة المسيحيين وقالوا كيف كان يتعاقب عليهم لفظ الأب في كل اصحاح عاماً لكل موعوظ من تلك الامة على لسان المسيح كما زعموا ومع ذلك يخطر ببالهم أنه يستلزم الابوة الحقيقية بالنسبة للمسيح وقالوا من أي طريق خطر هذا الخاطر المهلك لقلوب هؤلاء الضلال مع مشاهدتهم حال المسيح الذي لا ينطبق على شؤن الالوهية ومع علمهم بأن من أطاع الله مع الاستقامة يعمل كل عمل عمله كما نقلوه عنه فأي ضرورة الجأتهم للاشراك بالله مالم ينزل به عليهم سلطانا والله لايهدي القوم الظالمين

ثم لما وصلوا في هذا الاصحاح الى قوله . (لاتكنزوا لكم كنوزا على الارض حيث يفسد السوس والصدا وحيث ينقب السارقون بل اكنزوا لكم كنوزا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدا وحيث

لاينقب سارقون ولا يسرقون لانه حيث يكون كنزك يكون هناك قلبك أيضاً) فقام احد العقلاء قائلا ان هذا الكلام يفيد حكمين احدهما تحريم الادخار تحريماً عاماً للمال وغيره بلا تفريق بين المزكي وغير المزكي والثاني تحريم ذلك لقيدين احدهما خوف السوس والصدا والثاني خوف السرقة فلو ان الكانز اتخذ الوقاية لماله من السوس والسرقة لايحرم عليه الادخار ولو لم يتصدق ولا يزكي ماله . ولذلك قارنوا بين هذا القول وبين ماورد في القرآن من قوله تعالى . (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) فتحققوا أن هذا الكلام هو الناموس الحقيقي وكذلك قوله في الحث على الصدقة (ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم) وقوله (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم أجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) ثم قام احدهم وفي يده كتاب اسمه المجالس للقطب الرباني . سيدي عبد القادر الجيلاني . فأسمع الحاضرين منه من المواعظ ماينعش الالباب لجودة الالفاظ ورقة المعاني والاشارات ثم قال اليس هذا بأبلغ في الارشاد وأوسع في النصائح وأجمل في الآداب مما سمعتوه في هذه الاناجيل وقام آخر وبيده كتاب الحكم لابن عطاء الله السكندري وألقى منه على المسامع ما القاه فأنعش وأدهش وأجمع الكل على أنه انضج ثمار الحكمة بعد القرآن والحديث وصارت كلمات الاناجيل في أذواق القوم بعد ماسمعوه كمذاق الحوامض بعد الحلوى أو كالقبلة بعد الجماع فقالوا لتالي الانجيل

تعجل النهاية كراً وفرا فقد سئمنا التطويل

فما بلغ القارئ النهاية حتى كادت نفوس العقلاء ان تزهق لما مر عليهم من الاقوال التي لاتميل اليها المسامع ولا تتلقاها بالمشاشة الافهام الا اجلالا لمن نسبت اليه . فقال بعضهم لبعض اذا كان الكتاب كله روايات واخبار عن متى وحنا وبولس ويعقوب مثلا الى كثيرين ممن ذكروا باسم رسل ثم من تلك الاقوال ما هو منسوب للمسيح ومنها ماهو منسوب لآخرين فأين هو التنزيل الذي جاء من الله سبحانه وتعالى وبأي طريق ثبتت رسالة الرسل الذين زعموا أنهم رسل فان كانت مسميات هذه الاسماء هي ذوات الحواريين فلا يكونون الا صديقين كأبي بكر وعمر وغيرهما من اتقياء الصحابة العلماء وان كانت تلك المسميات غير الحواريين فأين برهان رسالتهم وكيف ساغ للمسيحيين التصديق بتلك الرسالات بلا برهان والتكذيب برسالة محمد صلى الله عليه وسلم التي كلها براهين قواطع وحجج بالغات أليس هذا هو العمى أليس هذا هو الجهل المهلك أليس هذا هو العته الذي منشؤه الغباوة أليست هذه هي البساطة التي تولدت من حماقة آبائهم واسلافهم الذين شهد الله لهم بأنهم لاعقول لهم وجاء القرآن قائلا ومشيرا لهم بقوله (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون)

ثم قال أحد العقلاء لاصحابه اني لفي غاية من التعجب والاستغراب للرؤيا التي جاءت في آخر هذا العهد الذي سموه جديدا لطولها المخل وتشعب شؤنها ولا أدري بأي حال ومن اي طريق ينطبق عليها اسم الانجيل السماوي والكتاب المقدس وماهي الا رؤيا منامية . او دهشة رياضية . لان بعض المتريضين الذين يستعملون الرياضة بلا معلم ولا مربي ربما اعترضتهم

خيالات أوهام مدهشة يظنونها حقائق موجودات وما هي الا من عالم الخيال الذي تكونت أرضه من بقية طينة آدم عليه السلام ثم قال لقد أذكرتني هذه الرؤيا مناما مضحكا كنت أسمعه حال الطفولية من بعض المضحكين وما القيه اليكم من باب الازدراء لهذا الكتاب المقدس كما زعموا ولكني أسرده ترويحاً للقلوب التي ضاقت صدورها لما تناولته الآذان من هذه الاقوال الممرضة لقلوب أولي الاذواق

حكى أن رجلا من فقراء تونس كان يتردد على بعض المصريين للضيافة فلما ثقل عليه ذلك الامر أوصى اهله بوضع شيء مسهل في طعامه ثم أغلق عليه الباب عند النوم من الخارج فلما جن عليه الليل استيقظ من نومه فوجد نفسه مثقلا بما في وعائه فسارع الى الباب فوجده مغلقاً ولم يستطع صبرا فما وسعه الا ان رفع أطراف الفراش من كل جهة ووضع في كل ناحية بعضا مما اخرجه من دبره وما زال يفعل ذلك كلما غالبه الغائط حتى أدركه الصباح وجاء رب الدار فما استقر به الجلوس حتى ناداه الضيف يا هذا اني رأيت الليلة مناماً مزعجاً فقال له خيرا رأيت فقال رأيت اني صعدت المنارة لتأدية وظيفة المؤذن فجاء ريح عاصف اسقطني من ذلك المكان العالي فصرت اهوى ساقطاً ساقطاً ساقطاً وما زال الضيف يردد قوله ساقطاً حتى مل صاحب الدار وقال ياهذا ان هذا المنام يخري فقال له وها انا خريت ورفع اطراف الفراش مشيرا الى كل خرية بقوله هاك وهاك وهاك فضحك رب الدار حتى اغمي عليه وخرج الضيف على عجل لخزيه وخجله

ثم تفاوض القوم الحديث في شأن الديانة المسيحية التي عليها الامة

المسيحية الآن ليعلموا مصادرها فقال احدهم اما تفطنتم يا قوم للعبادة التي امر بها المسيح قومه في العهد الجديد فقالوا وما هي قال ألم يقل لهم ما نصه في الاصحاح السادس

(فصلوا انتم هكذا . ابانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذا على الارض خبزنا كفافنا اعطنا اليوم واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن ايضاً للمذنبين الينا . ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير لان لك الملك والقوة والمجد الى الابد آمين)

ثم قال لهم (فانه ان غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم ايضاً ابوكم السماوى وان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم ابوكم زلاتكم ايضاً)

فما سكت ذلك الناقل لهذا الاصحاح الا والقوم رافعوا اصواتهم بالصلاة والتسليم على محمد صلى الله عليه وسلم قائلين . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد بحر انوارك . ومعدن اسرارك . ولسان حجتك . وعروس مملكتك . وامام حضرتك . وطراز ملكك وخزائن رحمتك . وطريق شريعتك . المتلذذ بتوحيدك انسان عين الوجود والسبب في كل موجود عين اعيان خلقك المتقدم من نور ضيائك . صلاة تدوم بدوامك وتبقى ببقائك . لا منتهى لها دون علمك صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا رب العالمين

ثم قالوا ان عيسى عليه السلام ما امر امته بهذه الصلاة الا لما علمه منهم من الجهل والجوع ولذلك طلب لهم المائدة السماوية وما قال لهم ابوكم الذي في السماء الا لعلمه بأن ايمانهم بالله ما هو الا كايمان الامة السوداء اذ قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربك فأشارت الى السماء فقبل ايمانها لبساطتها . ثم ان في قوله ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك

كما في السماء الى آخره بعد تحريف لان كمال الرسل ومحاسن آدابهم يمنعهم من الاتيان بمثل هذه الالفاظ في جانب الله لان قدس الله ذاتي فالأدب يقضي ان يقال تقدس اسمك او اسمك المقدس بصيغة تفيد ان ذلك ذاتياً له لا بصيغة الامر والاستقبال ثم قالوا اننا لم نفهم لقوله ليأت ملكوتك معنى لانه لو كان المراد ان لذات الله ملكوتاً يطالب الانسان الاطلاع عليه لكان ذلك الطلب هو طلب الرؤية بعينها وان كان المراد بالملكوت هو المعنى المعروف عند العقلاء أولى البصائر لا يكون لهذا الطلب معنى لانهم يعتقدون ان جميع العوالم تنحصر في قسمين عالم الغيب وعالم الشهادة و يعلمون أن عالم الغيب هو المعبر عنه في القرآن بالامر وعالم الشهادة بالخلق في قوله تعالى (ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) فيسمى عالم الخلق ملكاً وعالم الامر ملكوتاً ولا فرق بينهما الا مرتبة الحس والمشاهدة اذ الملكوت هو باطن الملك والملك هو ظاهر الملكوت ولذلك قال الله تعالى (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون) فان كان معنى قوله ليأت ملكوتك ليظهر غيبك بمعنى اطلعنا يا رب على ملكوتك يكون بينه وبين الفصاحة بون بعيد . ثم قام احدهم قائلا اين هذه الصلاة وهذا الطلب مما نسمعه في ادعية الاوابين من امة محمد صلى الله عليه وسلم وأين هو من سورة الفاتحة التي فرضت لتحية العبد ربه عند الشروع في صلاته تالله ان الانوار . لتتلألأ لأولى الاسرار . من خلال كلمات الفاتحة وحروفها وانها لمجمع الادب ومحاسن الاجمال في الطلب . ولكن اكثر الناس لا يفقهون

وقال آخر انه يعلم مما سمعناه من كتابي العهد القديم والجديد ان

دين المسيح عليه السلام الذي هو الدين الحقيق مركب من عبادات داود ومعاملات موسى وما كانت الزيادات التي جاءت بها الاصحاحات التى سمعناها فى العهد الجديد الا تكميلا للاخلاق لا للناموس الذي يقضى به بين الناس ومن هذا تتحقق أولوا الالباب ان المسيح لم يأت مشرعاً ولكنه جاء متمماً لشريعة موسى وداود أي لتثبيت بني اسرائيل عليها لانه هو آخر أولاد اسحاق من الرسل وما جاء بعده من رسول الا خاتم الانبياء من ولد اسماعيل فلذلك لم يأت مشرعاً لما سبق في علم الله من شقاء بني اسرائيل واهمالهم الشرائع وعدم استقامتهم وقلة تحققهم بالآداب الدينية وكفرهم بنعم الله التى اشار الله اليها في القرآن بقوله (فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين) وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم

ثم قام آخر قائلا ان هذه الصلاة التي أمر بها المسيح تشعر بأن الله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب ويتجاوز عن الزلات من عبيده ولقد سمعنا من كلام بعض المسيحيين في جوابه عن (السؤال العجيب . في الرد على أهل الصليب) نظم حضرة الاستاذ الفاضل . الذي هو عن الدين باقوى البراهين مناضل . من أطلب له دوام التوفيق من ربي . جناب الشيخ «احمد علي المليجي» الكتبي . ان الاله الذي يغفر الذنوب . لمن يرجع اليه ويتوب . لا يكون الاغبيا لان الاله عزيز الجناب لا يقبل أن يداس حرمه فهل كان ذلك المسيحي كافرا بعيسى أو لم يفعل ما أمره به من هذه الصلاة أو لم يتل الانجيل انه والله لفي ضلال مبين

ثم بعد ماسبحت أفكارهم في بحار العلوم والمعارف حيث شاء

الله رجعوا الى أنفسهم مجمعين على مادوناه في كتاب مثبت العقل والدين من اتحاد الاديان وأن اختلاف العبادات والمعاملات لا يوجب تباينا في الاديان ما دامت الآداب متحدة ثم ابقوا الكلام على دين محمد صلى الله عليه وسلم مؤجلا الى ان يطلعوا على الكتاب الملفق المسمى (بتنوير الافهام في مصادر الاسلام) ثم انصرفوا مأجورين لا مأزورين

فلما أصبح الصباح نادى المنادي . فاجتمع النادي . واستدعوا بهيولى الوقاحة والسفه الذي دونه زعماء الزندقة ثم قالوا لبعضهم ان قراءته فيما بيننا ربما أحدثت في القلوب غيظاً يغشي البصائر دخانه فلا نهتدي الى رأي سديد فالاولى ان نتداول مطالعة مافيه كل على حدته ثم بعد ذلك يبدي المطالعون ماتكنه صدورهم وتصل اليه افكارهم من شأنه وكان ذلك الرأي هو المعمول به فيما بينهم فتناولوه متعاقبين وما من متناول الا وبعد قليل يلقيه من يده كما يلقي القذورات متناولها حيث ظنها هدية فوجدها رزية

(الكلام على الفصل الاول)

تلك الفصول فصول الزيغ ما انفصلت ... عن الضلال بأحوال تميزها
لكنها وداجي الجهل حالكة ... صبح الرشاد الى الايضاح يعوزها

ثم قام من القوم خطيب فيما بينهم قائلا أتظنون ان هذا المؤلف المشؤم . تأليف صاحب الاسم المرقوم . على أول صحيفة منه لا والله ولكنه أراء شرذمة من الاشرار تحككوا في هذا الاسم حتى اذا طلبه طالب وجده كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً وما كان ذلك منهم الا لاتقاء صولة القضاء اذا دهمهم التخاصم فقال القوم انا

الآن لم نبحث في ترجمة منشيه ولا تاريخه وما لنا من حاجة في ذلك لان من كان مثل هذا الكلام كلامه لا ينبغي أن يعرف ولا أن يعتد بقوله فانه قول ربما استقال الشيطان من نسبته اليه. ولكنا الآن نبحث عن صحة القول وفساده وكيف كان ولم كان سيما اذا كان القائل له عالماً بأن الناس الآن على علم بالاحوال الوقتية وليسوا بجهلاء ولا بأغبياء فقال ذلك الخطيب ومن أين جاءت الغباوة التي علمتموها من ماطالعتموه اذا لم يكن في الناس أغبياء ومن أين جاء الجهل الذي دب دبيبه في عروق هذا المؤلف المظلم وأعصابه أما علمتم أن زخرفة القول ومشدقة اللسانة لا مأوى لهما الا أهل الزيغ الاغبياء. الذين يظنون أنهم هم العقلاء. وان العوام الذين تعجبكم أجسامهم وتطربكم أقوالهم لا يرون للحكمة أهلاً الا هؤلاء الاغبياء الذين صرف الله قلوبهم الى المشارب الشيطانية. والفنون الرياضية. وما ذلك الا لنفوذ حكم الوقت الذي أراد الله بعباده فيه ما أراد أما سمعتم قوله صلى الله عليه وسلم (اذا أراد الله بقوم سوءاً سلط عليهم الجدل) وهل في الامة التي أنتم من أعدادها الآن من ليس من أهل الجدل فلذلك اوجد الله فيهم من ترونهم من فلاسفة وأبالسة وشياطين مختلفين في المشارب والمآرب حتي صار الوقت ظلاما. والفسق اماما. وانتشرت فيه للفلسفة أعلام وامتلأت القلوب هياما. وهم يدعون ايماناً واسلاما. والله على كل شيء قدير

ثم سكتوا قليلا واذا برجل قد أقبل على القوم تعلوه سمة الوقار فتحركوا للقيام للقائه فقال مكانكم لا يتقلقل منكم من أحد فانا لا نجهل ما أنتم عليه مجمعون. ولا ما أنتم له مجتمعون. فعليكم بالأهم. وذروا عنكم من ألم فقالوا له أنجوم بعد اشراق. أم تضاهي صاغيات الآذان في ادراك الحقائق

مبصرات الآماق

فقال ذلك الرجل أيها القوم المسلمون لقد اصبح الدين فيكم الآن بين مخافتين بل بين خصمين قد تجاذبا أطراف ردائه الى مصارع حتفه أحدهما الجهل بشعائره ونسكه لغلبة حكم الوقت على احوال الامة والثاني انتشار الصحف بتمويهات الاباطيل مزخرفة مزينة تشبه السم في الدسم فأصبح صغار الامة وكبارها معرضين عن الدين غير ملتفتين اليه ولا صاغين الى دعائه وندائه وقد اشتغل الغني بجمع مايدخره ويقتنيه. وأمسى الفقير في عناء لفقد من يعينه على اتقاء حرارة الفقر او يواسيه. وذلك لما خالط قلوبهم من الريب في امر الالوهية. وشؤن القدرة العلية. وما ذلك الا نتيجة ما غرسه المعتزلة والفلاسفة واهل الزيغ في قلوبهم من فروع الزندقة وأصولها وقد ألبسوا عليهم الحق بالباطل ودسوا لهم السم في الدسم فزينوا لهم ما يزينه الشيطان لمتبعيه بدعوى انه أمر خيري ولكن الشر في خلال طواياه وسنجعل ان شاء الله لهذا الموضوع مؤلفاً نسميه (ارشاد الامة المصريه. الى رشاد الشريعة المحمديه) اذ لا يسع المقام الآن تفصيل ما اجملناه. فلهذه الاسباب طمع السفهاء من المسيحيين في اغواء. هؤلاء العوام الجهلاء. بأمر دينهم ليردوهم عن دينهم ان استطاعوا وليست اغراض هؤلاء الضالين المضلين مقصورة على تفضيل الاديان على بعضها لغاية أخروية كما زعموا ولكنها بواعث مستورة في نفوس اهلها وما الله بغافل عما يعمل الظالمون ولكن من سنة الله في خلقه انهم يمكرون ويمكر بهم ثم ينادي (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين) (وما ذلك على الله بعزيز) (وكان ذلك على الله يسيرا) ثم قال

ذلك الرجل ياقوم اني طالعت الكتاب الذي أنتم ناقمون عليه فوجدته لا يستحق النظر ولا الاهتمام لأن كل من نظر اليه قبل ان يتصفح صفحاته يعلم انه كلام مستهجن لا يعتد به لان الواضع له بعد ان سماه جاء بآية من القرآن ألا وهي قوله تعالى (واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وما كان لذكر هذه الآية الشريفة أدنى مناسبة تحت عنوان هذا الكتاب وقد كان الواجب على المؤلف ان يبين مقصده من ذكرها اذا كان الكتاب موضوعاً للنظر فيه ثم كان من جملة الهزي والهوس الذي جيء به في مبدئه دعواهم ان قوماً كانوا متمسكين بالدين الاسلامي تقليداً لآبائهم واجدادهم بدون تحقيق ولا بحث رفضوه سراً وجهراً وتمسكوا بمذاهب أخرى لانهم لم يجدوا من يستطيع ان يبرهن لهم على صدق الديانة الاسلامية بكيفية معقولة ولا مقبولة فلينظر الناظرون والمتأمل المتأملون. في حال من يدعي هذه الدعوى ثم يطمع في قبولها قضية مسلمة بغير برهان ولا دليل مع انه لم يذكر ممن ادعى كفرهم شخصاً واحداً رجلا كان او امرأة مع ان الجرائد في هذا الزمن مالها من شأن الا انها ترصد كل نبأ لتنشره لاسيما اذا انتقل متدين من دينه الى آخر هذا اذا كان الانتقال جهريا واما ان كان سريّا فما الذي اوصله الى مسامع الناقل وهل يخفى نبأ رجلٍ يعتد به او امرأة لها قيمة بين الناس في هذا الزمن تنتقل من دين الى آخر كلا ولكن الذي يخفى نبأه لا يكون الا من اوباش الامة الذين لا دين لهم فما هذا القول ممن ادعاه الا تمويهاً قصد به تغرير العوام الضعفاء العقول واغوائهم ليكون لهم معه في جهنم اوفر نصيب

ثم ما وسع هؤلاء الضلال الا الاستشهاد بالزائغين ممن سبقوهم الى جهنم بمخالفتهم لاهل السنة ونحن نعلم علم اليقين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ليأتين على أمتي ما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك فان بني اسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين كلهم في النار الا ما عليه أنا واصحابي) والذي كان عليه صلى الله عليه وسلم هو واصحابه هو مذهب اهل السنة لا الشيعة ولا المعتزلة ولا الفلاسفة ولا ما شاء الله من تلك الطوائف الزائغة

ثم ان من نزغات هؤلاء الضلال وتمويهاتهم ما ذكروه في اول فصل من فصول كتابهم من دعواهم ان الباعث لهم على تأليفه هو البحث والنظر في اقوال الملحدين والمعارضين لدين الاسلام للوقوف على الحقيقة وقالوا ان الواجب على كل مسلم ان يحقق الحق بأن يتأمل في براهين المعارضين حتى اذا وجد براهينها قاطعة اتبعها او اذا وجد عنده ما يدحضها وجاء به كان قد خدم دينه وما كان غرضهم من هذا القول المزخرف الاسترشاد الى طريق الهدى ولا كان الباعث لهم عليه صدق العزيمة للوقوف على الحقائق بل الغاية المقصودة لهم ما هي الا خدعة ضعفاء العقول الذين لا يعرفون من الدين الا اسماً لا مسمى له كابناء المدارس وبعض طلبة العلم الذين ألقت بهم أمواج الفلسفة على شاطئ الزيغ والزندقة فما فقهوا للدين فقهاً غير الحضارة والتمدن فقاموا يخادعونهم بتلك التمويهات جازمين لجهلهم وخيبة آمالهم ان كل من نظر في هذا المؤلف زاغ وعميت بصيرته واعتنق دينهم وأقبل على الصليب وسجد له وللمسيح وما كان ذلك الا

مصداق قوله تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) فلو ان هؤلاء الضلال . علموا من أنفسهم ماهم عليه من العمى والضلال . لما أسرعوا بأنفسهم الى جهنم ولما تنافسوا في الاعمال المقربة اليها ولكن الظالمين في ضلال مبين

(الكلام على الفصل الثاني)

لكل رام مرام مد ناظره — في الرمي لا يتعدى حد مرماه
ومن وراء المرامي كم مغيبة — في ساتر البعد لم تدرك بمرآه
بل ربما اخطأ المرمى فآلمه — وقع السهام بما كم كان يخشاه

المعنى المراد

ان الرامي يقصر مد نظره عن ادراك ما وراء مرماه لانها هي مطمح نظره وربما اخطأ الاصابة فأصبح موقع سهمه ما كان يخشى اصابته وكذلك سفهاء المبشرين أرادوا هدم قواعد الدين الاسلامي فما وقعت المعاول الا على دينهم فأصبحوا خاسرين

ثم قال ذلك الرجل لاحد الجالسين أدع لنا شاباً من شبان المسلمين الجائزين في احدى الطرق لنوقفه على هذا المؤلف حتى نعلم ما يعمل بعقول العوام فجاءه بشاب من تلامذة المدارس فلما اجلسه بجانبه سأله هل تعلمت من أمور دينك شيئاً قال لا ولكني اعتقد ان الله هو رب السموات والارض وأن محمداً رسول الله وأرى المسلمين يسعون الى الصلاة في المساجد ويصومون ويحجون ويهرعون الى زيارة قبر هذا النبي الكريم فقال له بم علمت أن محمداً رسول الله فقال الشاب وهل يشك شاك في رسالته وقد جاء بكتاب حكيم يتلى في جميع انحاء الارض رجاء بركته وقد سطعت

أنوار شريعته الغراء في جميع الاقطار الاسلامية وما في دولة من الدول من قانون الا وفيه احكام مقتبسة منها ثم قال أوليس هذا الاجماع العام والشهرة التامة والتواتر الصحيح والمتابعة الصادقة من خيار أمته . من أقوى البراهين على رسالته

فقال الشيخ للشاب خذ هذا المؤلف لتطلع على الفصل الثاني حتى اذا سألناك عما فيه أتيتنا بجواب مقنع مفيد فتناول الشاب الكتاب وطالع منه فصولا فقال له الشيخ ماذا ترى قال أيها الاستاذ ما أرى الا ضلالا مبينا قال وكيف ذلك قال ان مبتدع هذه الاقاويل الباطلة في هذا الفصل ما بناها الا على أصلين أحدهما ان الله سبحانه وتعالى كان يعبد في الامم السابقة وكانوا يعترفون له بالوحدانية وأيد ذلك بأن ولد اسماعيل كانوا يعبدونه على ملة ابراهيم وقال ان القرآن يصادق على ذلك واستدل بآيات من القرآن . والاصل الثاني ان بعض آيات من القرآن ما كانت الا مقتبسة من أشعار العرب وجاء بما عزاه لامرئ القيس وغيره وما أظن هذين الاصلين الا كشجرة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار وذلك لأن الاصل الاول لا يكون حجة للمحتج به الا اذا كان في هذا الدين من يدعي أن الله لم يعبده أحد ولا اعترف له مخلوق بالوحدانية قبل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فيكون اذاً لذلك المتقول الحق في رفض هذه الدعوى ودحضها بما جاء به في هذا الفصل ولكنه لم يكن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من قال بذلك بل الذي جاءت به الاخبار الصحيحة عن علمائهم والمحدثين منهم ان الله سبحانه وتعالى نبأ مائتي الف وأربعة وعشرين الف نبي كانوا يعبدون الله ويدعون الناس الى عبادته اذاً فلا

معنى للاستدلال على بطلان الدين المحمدي بأن من العرب وغيرهم من كان يوحد الله ولا معنى لذكر اشعارهم الدالة على انهم كانوا يعلمون أن لهم الهاً معبوداً يدعونه ياالله لانه ان كان سبوق الاعتراف لله بالوحدانية يبطل الرسالة لبطلت رسالة عيسى وموسى وداود وسليمان وباقي الرسل الذين جاؤا بعد نوح مثلا او بعد ابراهيم واسحق وكان الاولى بالبطلان رسالة عيسى لانها ما كانت الا تابعة لشريعة موسى وعبادة داود عليه السلام فما كان لأولئك المسيحيين ان يحتجوا بسبوق الاعتراف لله بالوحدانية قبل رسالة محمد على بطلانها كما انه لا معنى لقولهم ان محمداً أخذ هذه العقيدة عن أسلافه لان هذه العقيدة هي العقيدة التي تواصى الرسل بها قبله ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب فهل كان لمحمد ان يأتي بعقيدة غير هذه حتى يصدق رسالته الاغبياء من أهل الكتاب وأما قولهم ان الكعبة كانت محترمة في الزمن القديم وما أخذ محمد قواعد الحج الا من عادات أسلافه فما هو الا من قبيل السفسطة والزندقة لان محمداً صلى الله عليه وسلم ما زعم أنه اخترع الكعبة والحج حتى يكون هذا القول مبطلا لدعواه الرسالة بل الذي جاء به القرآن المجيد ان الله أمر ابراهيم برفع قواعد البيت وأن يؤذن في الناس بالحج اليه ثم جاء في القرآن قوله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) فلو كان محمد صلى الله عليه وسلم مقلداً لقومه في ذلك لما عاب الله اعمالهم فيما أنزله اليه بقوله (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) ثم ان مما جاء به أولئك المضلون من التمويهات قولهم وحاصل الكلام هو ان مصدر الديانة الاسلامية الاول كان تلك الرسوم الدينية

والعادات والمذاهب الاعتقادية. التي كانت متسلطة ومتداولة بين قبائل العرب الى آخر ماقالوا ولكننا لم نر رسوماً دينية. وعبادات ومذاهب اعتقادية. مذكورة في ذلك الفصل قبل هذا القول غير مسألة الختان وعدم زواج الاختين وتحريم الامهات والبنات وبعض مناسك الحج وليس هذا كله من مصادر الدين لأن مصدر الدين هو الوحي السماوي فان ثبت صدق نزوله ثبتت الرسالة وكان هو مصدر الدين وان لم يثبت لا تجد الرسالة مثبتاً لصدقها اذاً فدعوى المدعي ان ما ذكره من الاشياء التي بتهويله جعلها رسوماً دينية. ومذاهب اعتقادية. وعادات كانت هي من مصادر الاسلام ماهي الا دعوى باطلة. وتمويهات عاطلة. لا يصغى لها الا من لم يدر ما هو الدين

ألم يصل ادراك هؤلاء الاغبياء الى أن الانسان تنحصر شؤنه في وصفين خير وشر ليس الا وان شئت قلت نقص وكمال فهل ينطبق على تصور الذوق السليم أن الكامل من الناس مثلا اذا رأى ناقصاً أعني شريراً أتى بعمل من أعمال الخير أو تخلق بخلق من الاخلاق الكريمة يجب عليه أن يترك ذلك الخلق لان ذلك الشرير تخلق به. أو يقال ان ذلك الكامل ماجاء بذلك العمل او تخلق بذلك الخلق الا تقليداً لذلك الناقص أظن انه لا يتصور ذلك التصور الا كل غبي لاعقل له لان استعداد الانسان وقابليته لاتعلم الا من أعماله وما حجر الله اعمال الخير عن الجاهلين الذين لم يرسل لهم رسلا حتى ولا عن عباد الاوثان لان نظام الوجود يستلزم وجود الخصال الخيرية والشرية في كل زمن غير انها تتغالب حسبما يريد الله بخلقه في الازمان المتتابعة اذاً فلا يكون اتيان محمد صلى الله عليه وسلم

عملا خيريا أو اعمالا كانت عليها قبله أقوام مبطلا لرسالته ولا يقال انها
هي مصدر الرسالة لان قومه وغير قومه ممن اتبعوه كانوا يعلمون أن هذه
الخصال او الاعمال كان يأتي بها من كان قبله من الجاهلية فلو انها كانت
مصدر رسالته لما صدقوه مع علمهم بحاله الذي كان عليه قبل الرسالة فما
كان سفيها يهاب لسفهه ولا شريرا ولا رئيس عصبة ولا مجادلا ولا
متداخلا في شؤن سياسية ولا منتسبا لذي سلطان بل كان وحيدا
منفردا في شؤونه الادبية لا يهمه الا معاشه ومعاده كما يشهد بذلك التاريخ
والسير المسطورة في الكتب

ثم قال ولقد لاحظت مما طالعته ملاحظة معقولة وهي أن مؤلف هذا
الكتاب ليس بمسيحي وليس هو مسمى هذا الاسم الذي نسب اليه ذلك
الكتاب وذلك لأن قوله ان عبادة عباد الاوثان للاوثان لتقربهم الى الله
تشابه زيارة الاولياء عند المسلمين لانهم لايزورونهم الا ليقربوهم الى الله
الى آخر ماجاء به وما كان هذا القول الا مطابقا لما دونه سفهاء الفلاسفة
في الصحف المنتشرة والكتب المؤلفة من أقوالهم بل المتبادر المعقول من
صورة هذا المؤلف أنه أقوال فلسفية فلو أن قائلها كان رشيدا متدينا بأي دين
لما تصور المشابهة بين عبدة الاوثان ومن يزور وليّاً لله لأنه لا يقال ان
الذي يطعم حمارا ليركبه كمن يطعم أباه ليرضى عنه مثلا وكذلك لا يقال
ان من حك حجراً ليستخرج منه دواء لعينه مثلا لعلمه أن هذه من
خصوصيات ذلك الحجر الذى أودعها الله فيه كمن يقول ان هذا الحجر
اله يعبد ألا ترى أن اعتقاد المسلمين في عيسى ليس كاعتقاد المسيحيين
اذ المسلمون يعتقدون أنه عبد الله وأن الله أجرى على يديه كل ماجاء

به وأما المسيحيون فيعتقدون أنه آله فمال فأمثال هؤلاء هم الذين ينطبق
حالهم على حال عبدة الاوثان وأما المسلمون فيعتقدون أن الاولياء هم
أحباب الله وأنهم هم الذين أقاموا الدين واتبعوا الأوامر واجتنبوا المناهي
فمن الواجب احترامهم وزيارة قبورهم واحياء ذكرهم حتى يكون تذكارا
لغيرهم كما هي سنة كل أمة في أفاضلها ألا سحقا للقوم الضالين المضلين
الذين اتخذوا الزندقة دينا والاسانة ديدنا والدعوى جاهاً وساعدتهم ظلمة
الوقت وجهل الامة بدينها وفساد أخلاق الامراء وخسة طبع المتدينين
حتى علت أصواتهم . وانتشرت بدسائس الزيغ كلماتهم . وان جهنم لموعدهم
أجمعين

جاء ذلك الفيلسوف الزنديق الذي يخفي الكفر ويظهر الاسلام
وينشر فلسفته باسم المسيحيين قائلا ان القرآن فيه ماهو مقتبس من كلام
امرئ القيس وغيره ويحتج على صدقه في دعواه بأنها معلقات أشعار
وما سميت بذلك الا لانها كانت معلقة على الكعبة ويريد بذلك اثبات
صدقه في دعواه انها سابقة للقرآن وان محمدا صلى الله عليه وسلم اقتبس
منها أقوالا الى آخر ماجاء به

فليتأمل المتأملون . في خيبة آمال هذا المفتون . الذي لا يحسن ما يقول
لانه لو كان شيطانا كاملا في شيطنته لكان له شيء من الفكر يعلم به أن
العقلاء اذا وقفوا على أقواله يسفهونه بقولهم اذا كان هذا المعتوه الاخرق
داخله الريب وخالطته الظنون واختطف عقله الطيش حتى أفسد مخيلته
فتوهم الكذب في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم التي عم نورها جميع الاقطار
وأمدت رجالا ما كان هذا الاحمق يساوي نعالهم فبأي حال وقع

عنده نبأ هذه الاشعار موقع الصدق مع ان هذا الشعر لا يليق نسبته لذلك الرجل الذي هو اشعر اهل زمانه لان البيت الاول لا معنى له اذا لم يكن المراد منه ان نفور حبيبه منه اقام عليه القيامة التي من اشراطها انشقاق القمر واقتراب الساعة فان قلنا ان هذا هو المعنى المراد يقول القائل من الذي انبأ امرئ القيس ان القمر سينشق وان انشقاقه من علامات الساعة حتى جاء بذلك في شعره اذاً فلا بد ان يكون عند امرئ القيس شعور بحصول ذلك بنبأ من انباء الكهنة او من التوراة او الانجيل

وان قلنا ان هذا المعنى ليس هو المراد يقول القائل انه اذاً كلام مستهجن اي لا معنى له لأنا لو قلنا ان اقتراب الساعة معناه دنو الحبيب عن موعد في ساعة معلومة قد اقتربت فلا معنى لقوله وانشق القمر لانه لا يريد بالقمر الا طلعة الحبيب فما معنى انشقاقه كما انه لا يتوهم نفور بعد قرب عن موعد الا لعارض ولم يذكر الشاعر شيئاً يستلزم النفور فتكون ركاكة الكلام قاضية ببعد نسبته لذلك الشاعر الشهير وكذلك قوله

مر يوم العيد في زينته   فرماني فتعاطى فعقر

لان سياق القول يفيد ان العقر بعد التعاطي والتعاطي بعد الرمي وهو معنى غير معقول . سيما وان العقر لا يكون للنوع الانساني ولا يرضى امرؤ القيس ان يشبه نفسه بناقة عقرها رام

والادهى من ذلك كله قوله

واذا ما غاب عني ساعة   كانت الساعة أدهى وأمر

لان مبدأ الكلام يفيد ان ذلك الشاعر ما رأى ذلك الحبيب الا حينما صاد قلبه ونفر منه وما شبهه بالغزال الا في النفور . وهذا البيت يفيد

انه كان ملازما له وان غاب عنه ساعة كانت أدهى وامر . فهل جن امرؤ القيس لشدة الحب حتى أضحى لا يحسن ما يقول كما جن هذا المعترض الذي لم يذق للشعر طعماً . فهلا تفطن لما في الكلام من التكلف حتى كان يعلم انه لم يكن لذلك التكلف من داعٍ الا ان هذا الشاعر الجاهل الزم نفسه اقتباس هذه الآيات من القرآن المجيد كما في قوله

بسهام من لحاظ فاتك   فتركني كهشيم المحتضر

ألا سحقا لهذا الطابع الذي هشم البيت هشما لان اصله والله اعلم

بسهام من لحاظ فتكات   صيرتني كهشيم المحتضر

فويل لجاهل يدعي العلم فيفتضح حاله من مقاله كقوله

قلت اذ شق العذار خده   دنت الساعة وانشق القمر

واصل البيت والله اعلم

قلت اذ شق عذار خده   دنت الساعة وانشق القمر

فمن هذا التكلف الذي لا معنى له ولا فائدة فيه الا تحسين الشعر بمقتبسات الآيات القرآنية يعلم المتأمل البصير ان هذا الشعر ما كان الا من مخترعات المتأخرين وما كانت نسبته لامرئ القيس الا بهتاناً وزورا يقصد به تقوية براهين المجادلين . والله لا يهدي القوم الفاسقين . ثم انظر الى ما جاء به هذا الفيلسوف الاحمق الذي يتحكك في المسيحيين لنشر خرافاته وتضليلاته من قوله فحينئذ يصعب على المسلم توضيح كيفية ورودها في القرآن لأنه يتعذر على الانسان ان يصدق ابيات شاعر وثني كانت مسطورة في اللوح المحفوظ قبل انشاء العالم ثم قال بعد قليل من قوله اني لا أرى مخرجاً ومنفذا لعلماء الاسلام من هذا الاشكال

الى آخر ماقال . وانا لنقول

ان الاسد اذا ربض في طريق قافلة ظن الجبان انه لا مفر له من الافتراس وضاقت عليه الارض بما رحبت حتى اذا جاء الشجاع أعدم الاسد الحياة

ولقد توهم ذلك الفيلسوف المختبي تحت أذيال المسيحيين انه أعلم من كل ذي علم وانه اذا وحل في ورطة من القذورات غرق فيها غيره فاستبعد على العلماء ادراك الحقائق لفرط جهله . فهل جاء لهذا المسكين المفتون نبأ صادق أن الله سبحانه وتعالى لم يكتب في اللوح المحفوظ غير القرآن وما يدريه لربما أن يكون اللوح حوى كل مايبرزه الله سبحانه وتعالى في عالم الظهور . أولم يعلم ذلك الجاهل ان القرآن ما انزله الحق سبحانه وتعالى الا بلغة عربية التي هي لغة امريء القيس وغيره من شعراء العرب وفصحائهم أليست هذه الكلمات التي أوردها هؤلاء الاغبياء من متقدمي أهل الزيغ ومتأخريهم كباقي الفاظ القرآن مثل يا أيها الناس ويابني آدم ويا أيها الذين آمنوا وياقوم وياقومنا والعدس والبصل والفوم والقثاء وغير ذلك وهل ورد القرآن بحروف أو كلمات غير الكلمات المركبة من التسعة والعشرين حرفاً التي يتركب منها الكلام الذي هو مظهر الأسرار الملكوتية . والشؤن الغيبية . فماذا هو العيب اللاحق بالقرآن اذا جاء مطابقا لبعض كلمات من كلام العرب وما كان كله الا كلاما عربياً فهل ورد كتاب سماوي قبله لم يكن من جنس الكلام المتعارف بين القوم الذي نزل بلغتهم كلا والله ما كان ذلك ابدا

وهناك وجه آخر يقره القوم الذين اطلعهم الله على الاسرار الكونية وهو أن الله سبحانه وتعالي هو وراء نطق كل ناطق بمعنى انه هو المؤلف

لجميع الكلمات في أفئدة المتكلمين ولا يبرز في عالم الظهور الا ما ارادمنها لان خلق الكلام في افئدة المتكلمين قبل ظهوره او في مخيلتهم كخلق الصور في الارحام وكاخراج النطف من الاصلاب منها المخلقة ومنها غير المخلقة لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ومن علم معنى ما ذكرناه تحقق ان الله هو الناطق على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وعلى لسان كل ناطق فنطقه على لسان امرىء القيس بما أورده ان كان صدقا يسمى شعرا ونطقه به على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يسمى قرآنا ولا يكون الاتحاد في النوعية . مستلزما لاتحاد المزية . ألا ترى النوع الانساني وقد تشابه في التركيب لم يتشابه في المزايا فمنه الرسول ومنه الولي . ومنه الشرير الشقي . ومنه السلطان ومنه الحمال فكذلك كان الكلام ولكنهم قوم يجهلون

ثم من أهم التمويهات عند هؤلاء الجهلاء قولهم في نهاية الفصل الذى فصلهم عن آداب الكمال والانسانية . ان عادات العرب القديمة ورسومهم وعقائدهم الدينية . هي من أهم مصادر الاسلام وعللوا هذا الزعم بأن ماذكروه في هذا الفصل هو كاف وحده في تأييد دعواهم هذه

فهل جاءت الانباء الصادقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قام في قومه بغير وحي سماوي في مبدأ دعوته يقول لهم اختتنوا ولا تنكحوا أمهاتكم ولا بناتكم (لا) بل جاء قائلا لهم ياقوم اني اسري بي في هذه الليلة ورأيت من عجائب الملك والملكوت كذا وكذا وسألوه عن القافلة التي كانوا ينتظرونها وبين لهم جملة علامات أثبت بها صدقه عندهم ثم جاءه الوحي بأوامر الله واحكام شريعته واختبروه وأبان لهم عن صدقه بالدلالات

الواضحة ثم بعد ذلك تواردت عليه الانباء السماوية وما كانت آية تحريم الامهات والبنات التي هي قوله تعالى (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم) الى آخر الآية الشريفة الا بعدما بلغت دعوته حدها من الثبات والصدق والتصديق فلو ان العرب كانوا يحرمون ذلك من قبل ماجاءت هذه الآية ولا كان للاتيان بها محل من البيان ولا موقع من التصديق فليتأمل المتأملون في هذه الخزعبلات المزخرفة التي هي أشبه شيء بالشعبذة التي يتصنعها اللاعب المعروف بالحاوي ولكن الاولى بالمسلمين الآن ان يرجعوا الى أنفسهم بقولهم انكم أنتم الظالمون لانه لولا جهلهم بدينهم وغلبة تمويهات الفلاسفة على عقولهم لما طمع في اغوائهم الضالون المضلون فكان حالهم مع المسيحيين حال البهيمة التي اشار اليها القائل بقوله

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى استامها كل مفلس

ألا سحقا للقوم الظالمين فعند ذلك قام القوم على اقدامهم معجبين بما جاء به ذلك الشاب من الارشاد البين والحجج البالغة وقال له الشيخ جزاك الله عن العامة خيرا فقد الزمت الناس تحسين الظنون بهم في أمر الدين وما كنا نتخيل ان من امثالك من يكون له هذا التصور والادراك فجزاك الله عن أمر دينك خيرا وانصرف الشاب مشكورا. وانقلب الشيخ الى اهله مسرورا

(الكلام على الفصل الثالث)

ألا قبح الله المشوهة انها تعيب بلا عيب حسان الكواعب
فتزعم ان الطرف حسن احوراره يعيب الغواني كاقتران الحواجب
وان دلال المائسات تلاعب وان احمرار الخد غير محبب

ولو انها تدري الجمال لما ازدرت محاسن ربات البها والذوائب
ولكنها لما تكامل قبحها وكنا نراها من مبادي المصائب
تمكن منها الغيظ حتى لحقدها أتت تدعي ما يدعي كل كاذب
كذلك أهل النقص ان تم نقصهم أتوا من رزايا خزيهم بالعجائب

ثم جلس العقلاء بعد أداء مافرضه الله عليهم من الصلاة في مواقيتها وبعد تناول الغذاء يتفاوضون الحديث ويتذاكرون فيما بقي من الفصول فقام احدهم قائلا ان الفصل الثالث من هذا المؤلف المشؤم قد بناه مؤلفه على معتقدات فلسفية وذلك لان ارباب النظر والاستدلال في الامم القديمة والحديثة حتى الآن قد انقسموا الى اقسام وفرق متنوعة فكان منهم المعترف لله سبحانه وتعالى المسمى بالاسماء الحسنى الذي هو فوق كل فوق وتحت كل تحت ولا فوق له ولا تحت ولا يخلو منه خلا ولا ملا وهو منزه عن أن يحويه الخلا والملا اعترافا ناشئا عن تصميم ثابت ويقين قوي بالوحدانية وكمال الاقتدار وبأنه مطلق التصرف في ملكه يفعل مايريد وبأنه قادر على أن يذيب الحديد وان يجعل الماء جامدا وعلى أن يجعل النار باردة والماء حارا الى غير ذلك من كمال التصرف المطلق لعلمهم ان النار صنعته وانها حادثة الوجود وان تقادم عهد ايجادها وكذلك الماء وغير ذلك وكل ما كان موجودا عن موجد فلا عالم يعلم مادة وجوده غيره ولا يحكم له بحقيقة ذاتية واجبة الوجود الذاتي لان ذلك الحكم لا يحكم به لموجود. الا لواجب الوجود. الى غير ذلك من الاعتقادات الواجب تيقنها على كل معترف لله بالوحدانية مما لا يسع المقام ذكره

ومنهم الجاحد لذلك كله كل الجحود لما غلب على فكره الضائع

وقلبه السقيم أن كل ما لا يدركه البصر لا يقبله التصور ولا تلزم باعتقاد صحته سانحات الفكر وهؤلاء هم الذين اتخذوا آلهة معبودة لهم طوع اهوائهم . ومنهم الفلاسفة الذين يعتقدون وجود اله موجود بطبعه كباقي المؤثرات ولكنه هو المؤثر الأعلى الذي ما فوقه مؤثر وكأنهم يظنونه الكوكب المسمى بزحل ثم يعتقدون أن كل مؤثر في الوجود له حقيقة ذاتية طبيعية لا قدرة لمؤثر ما على تحويلها عنه ولا تحويله عنها وهذا هو موضوع الخلاف بين الرسل وأتباعهم . و بين الفلاسفة وأشياعهم اذ الرسل ومن تابعهم يعلمون علم اليقين بما ثبت عندهم من التحقق من طريق العلم النوري أن الله مع كل شيء وأنه هو ظاهر كل شيء و باطن كل شيء وقائم على كل شيء والمدبر لكل شيء ولا يخرج عن دائرة ارادته شيء والفلاسفة على ضد ذلك فلذلك الجأتهم اعتقاداتهم الى تكذيب كل نبأ جاءت فيه معجزة او كرامة خارقة للعادة فان صفا لهم الوقت أنكروها وأنكروا حال من جاء بها نبياً كان او ولياً وان خافوا في ذلك لومة لائم جحدوها وأولوا كل نبأ جاء بها بتأويل موافق لاغراضهم الهوائية التي زعموها عقلا فلذلك جاء هذا الفيلسوف الذي ما حسن اسلامه يدعي أن غالب الانباء الواردة في القرآن ليست بصادقة وزعم أنها منقولة من خرافات المتقدمين وذلك بعد ما زعم ان كل القصص الواردة في لاحاديث النبوية وفي القرآن ما هي الا مأخوذة من تفاسير اليهود الوهمية وزعم أيضاً أن فرائض الدين مأخوذة من طريقة الصابئين ثم جاء يذكر أن أمة السريان هي أقدم الامم وأنهم أخذوا مكارم اخلاقهم عن صحف شيث عليه السلام وأن الصابئين كانت

لهم سبع صلوات منها خمس توافق صلوات المسلمين والسادسة صلاة الضحى والسابعة في الساعة السادسة من الليل وزعم انهم كانوا يصلون على الميت وقوفا ويصومون ثلاثين يوماً يراعون فيها الهلال وعند ظهوره يكون فطرهم كمل العدد أم نقص ثم قال بعد كلام طويل اننا لو قارنا بين التعاليم والاخبار الواردة في القرآن وفي الاحاديث النبوية وبين التعاليم والقصص والحكايات التي كانت متداولة بين اليهود في تلك الاعصر اتضح جليا أنه يوجد بينهما علاقة وارتباط ومشابهة عجيبة ثم جاء يستدل ببعض ما ورد في القرآن من الانباء بعد ذكر ما يوافقها من القصص القديمة بدعوى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعلم ذلك من اليهود وأخذ يسرد قصة قابيل وهابيل وقصة ابراهيم عليه السلام وقصة سليمان عليه السلام مع أميرة سبأ وقصة هاروت وماروت وقصة بني اسرائيل وموسى وما وقع منهم من عبادة العجل وما وقع لهم من الحوادث التأديبية من الله سبحانه وتعالى ثم يضاهي كل قصة من القرآن بقصة من قصص اليهود وغيرهم و يدعي أنها خرافات جاء القرآن ناقلا لها مع مخالفته للتوراة في العهد القديم وذكر ان صيام المسلمين وافق صيام اليهود وان صلاتهم موافقة لصلاة الصابئين . وكذلك اعتقادهم في اللوح المحفوظ موافق لاعتقاد المتقدمين . كما ان كلامهم على قوله سبحانه وتعالى (ق) التي هى اول سورتها موافق لكلام من كتب اليهود وكل هذا الذي ذكرناه ما جاء به الا مستدلا على ان مصادر الاسلام هى اخبار المتقدمين ومعتقداتهم الدينية الى آخر ما سطروه في ذلك الفصل من الاباطيل والاضاليل

فوجب علينا الآن ان نقول ان هـذا الفيلسوف الاخرق الذي تحكك في ذلك المسيحي الذي نسب اليه خزعبلاته أو ان هؤلاء الرجال الذين اجتمعوا على الضلال والاضلال . ليسوا بعقلاء ولا من ارباب النظر وما كان حالهم فيما دونوه في هذا المؤلف الا كحال صبي معتوه رأى ثوب ابيه موافقاً لثوب رجل آخر في اللون والشبه فقال له يا ابت انك لسارق لهذا الثوب فقال له ولم قال لأني رأيت شبيهه على رجل سواك فضحك الوالد استهزاءً بولده وتأسف على سخافة عقله وقلة فهمه وفساد تصوره وقال ياولدي عوضني الله خيرا على معاناة الشدائد في تعليمك وتربيتك أتظن لغباوة فهمك ان ناسج الثوب الذي رأيته مانسج غيره او ان ذلك الناسج اذا قضى عليه لايعقبه ناسج انك يابني لفي ضلال مبين

وما ضربنا هذا المثل الا لما نتيقنه ويعلمه العقلاء المتدينون أن جميع الاديان التي جاءت بها الرسل لأممهم متحدة المبدأ والغاية ومشربها واحد في معاملة المعبود واستعمال أنواع الفرائض فما من رسول الا وأمر قومه بالصلاة والصوم والزكاة والحج بعد توحيد الاله والايمان برسالة ذلك الرسول وهكذا كان عيسى وموسى ومن قبلهم من الرسل فبأي علة وسبب لايتساوي حال محمد بحال بقية الرسل هل جاء محمد صلى الله عليه وسلم في تلك العبادات بهيآت ناقصة أو اعمال مخلة حتى يقال أنه ماتعلمها الا من الامم السابقة وهل كان الواجب على محمد صلى الله عليه وسلم أن لايصوم ولا يصلي ولا يحج لان الذين سبقوه كانوا يعملون ذلك أم كيف كان تصور هؤلاء المجانين

اذاً والحالة هذه يتوقف الوقوف على الحقائق على معرفة أمرين (الواحد

منهما) هل المتكلم أو المتكلمون في هذا الموضوع أصحاب عقل ودين أم لا (الثاني) هل الاقوام الذين ادعوا متابعة محمد لهم كانوا متدينين أو غير متدينين واذا كانوا متدينين فهل هذا المتكلم أو المتكلمون معترفون بصحة أديانهم أم لا وعن هذا نقول . ان المتبادر من فحوي هـذا المؤلف أن واضعيه لاعقل لهم ولا دين لانهم لوكانوا ارباب عقول لما جاؤا بعد ثلاثمائة وألف سنة يزدرون ديناً دأب على نسكه وشعائره الخيار من القرون السالفة وما زالت شريعته نافذة المفعول حتى الآن ولما تركوا قومهم المسيحيين . تلعب بهم الشياطين . في افنية الملاهي وأودية الغرور وجاؤا ليفسدوا عقائد الامم الاخرى

وكذلك لو كانوا متدينين بدين من الاديان عاملين بنسك دينهم ثم قارنوا بين شعائر هذا الدين القويم ومناسك ماسواه من الاديان لخلعوا العذار . وهجروا الاوطان والاوطار . في متابعة هذا النبي الكريم محبة في دينه وآدابه الكاملة التي ماتقرب الى الله بأكمل منها متقرب وسنأتي ان شاء الله سبحانه وتعالى بذكر بعض مزايا هـذا الدين القويم عند المقارنة بينه وبين ماعليه قوم موسى وعيسى وانا ان شاء الله الى بيان فضله لمهتدون

ثم قال ذلك الرجل لاحد اخوانه الحاضرين ألا تذكر يافلان اليوم الذي شهدنا فيه حفلة المسيحيين الذين اتصفوا بوصف مبشرين اذ قال لهم قائل أي العبادات أقرب لتهذيب النفوس وتطهير القلوب وتنوير البصائر لمن أراد أن يستنير قلبه وقد تحقق أن المعبود واحد وهو الله سبحانه وتعالى وأي الفرائض أحق بالأداء اذا اراد العبد أن يتعبد

ليتقرب الى ربه هل عبادة موسى أم عيسى أم محمد صلى الله عليه وسلم فقال له أحد المبشرين هل يسوغ لعاقل أن ينصرف من دين ابن الله الى دين غيره فقال له السائل وما هي العبادة التي أمر بها ابن الله وبماذا كان يتعبد في خلواته وجلواته وهل صلى بقوم من أمته أم لم يصل بأحد وهل كان يعترف بصحة شريعة موسى ام لا

فأجابه ذلك الرجل بقوله أما الشرائع التي كانت قبله فلم ينكر عليها واما هو فما صلى بأحد بل كانت صلاته وحده واما الصلاة التي أمر بها فهي قوله لتلامذته عند ما سأله احدهم بعد ما فرغ من صلاته بقوله علمنا كيف نصلي كما علم يوحنا تلامذته فقال قولوا (يا ابانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض خبزنا كفافنا اعطنا كل يوم واغفر لنا خطايانا لاننا نحن ايضاً نغفر لكل من يذنب الينا ولا تدخلنا في تجربة ولكن نجنا من الشرير)

فقال له السائل وهل كانت هذه صلاته ايضاً ام له صلاة غيرها فقال لم يطلع أحد على صلاته فقال له السائل لماذا قال لانه كان يصلي وحده . فقال له ولماذا انتم الآن تصلون بمزامير داود اما كانت هذه الصلاة التي امركم بها المسيح كافية في تهذيب نفوسكم فخجل ذلك المسؤول

فقال له السائل اذا كان المسيح معترفا بصحة شريعة موسى فلماذا لم تتفقوا على حال واحد في العبادات فيكون صيامكم كصيامهم وصلاتكم كصلاتهم اذ كنتم كلكم اهل كتاب فاعرض الرجل عن ذلك السائل

مبهوتا ثم انصرفنا وتركناهم في طغيانهم يعمهون فقال له اخوه اني لأتذكر ذلك وأعلم ان القوم اذ ذاك قد احتقروهم ازدراء

ثم التفت الآخر الى اخوانه قائلا ان اولئك المتقولين الذين اخترعوا هذا المؤلف قد زعموا ان صلاة المسلمين كانت موافقة لصلاة الصابئين ولكنهم ما بينوا كيف كانت صلاتهم هل كانت بتكبيرة احرام وفاتحة وسورة وتحيات وركعات وسجدات كما هي صلاة المسلمين ام لا وما أظن ذلك يكون لأن الفاتحة وباقي السور القرآنية ما انزلت الا على محمد صلى الله عليه وسلم اذاً فتكون هذه الدعوى فاقدة البيان والايضاح لا ينظر اليها ولا تسمع واما الصيام فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) وقد كان الصيام في كل شريعة من الشرائع على الحال الذي عليه المسلمون الا صيام المسيحيين فعلى العقلاء ان يبحثوا في حقيقة الصوم حتى يتبينوا اي الصيامين أفضل واقرب لتهذيب النفوس ليعلموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم ماجاء في شريعته الا بأكمل الاعمال التي كان عليها الرسل واممهم المهتدون ولكنه استكمل جميع آداب العبودية لانه بعث في امة كاملة ذات عقول وافرة وبصائر نيرة لم يطلبوا في مقام القرب خبزا كما كان يطلب المبطونون ومن تحقق صحة ما ذكرناه علم ان دين محمد ما وافق الا اكمل الاخلاق والاعتقادات والعادات التي كان عليها الامم قبله التي هي آداب العبودية . والكمالات الانسانية . فهل لقائل ان يقول كان الاولى له ان يأتي بآداب واخلاق تخالف الكمالات البشرية حتى بذلك يكون قد برهن على صدق رسالته اذاً تكون درجة هذا

القائل فوق درجة المجنون لأن الجنون فنون

فعند ذلك ناداه احد الحاضرين قائلا انا وان كنا على يقين · من ان شرذمة المبشرين · هم الذين تجمعوا على جمع هذه الاقاويل وتأليفها بمساعدة فيلسوف زنديق لم يكن هو المسمى بالاسم الموضوع تحت عنوان هذا المؤلف ونعتقد نحن وجميع الامم اعتقادا جازماً ان هؤلاء القوم بينهم وبين فلاسفة هذا الزمن من كل ملة اتفاق فكري على تخفيض اعلام كل دين لتكون الناس امة واحدة وقد مقتهم عقلاء الامم المتدينون لعلمهم ان هذا هو الكفر بعينه او بريد الكفر ثم انا نعلم علم اليقين ان كل مسلم مهما وصلت درجته من الجهل يعلم أن دينه أكمل الاديان وان رسوله أكرم الرسل ثم نعتقد ان الامة المصرية بأكلها عالمها وجاهلها صغيرها وكبيرها كل قد علم ماعليه هؤلاء السفهاء وتحقق مقاصدهم واستطلع نواياهم وما نظروهم الا بعين المقت والاحتقار لما تحققوه من ضعف عقولهم وخيبة ظنونهم وسيآت مقاصدهم ولكن نرى الآن أنه لا بد من رد ما قالوه · ونقض ما أسسوه · من هذه الخزعبلات الخرافية · والمشاغبات الخيالية · ليكون تبصرة وذكرى للمطلعين على توالي الايام والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فقال ذلك الرجل الذي افتتح باب الكلام على هذا الفصل الثالث أيها الاخ الخليل · والصديق الجليل · لقد تقول هؤلاء الضلال زخرفاً من القول وزوراً ابتدعوه من طريق السفسطة والزندقة على علم منهم بأنه مجرد تمويه وتضليل وقد علموا الحق وجحدوه · وتبينوا الصواب وتجنبوه · ومن كان هذا حاله لايجاري ولايماري فقال له صاحبه انا لاننظر اليهم ولكننا نراعي

حال العوام من هذه الامة التي تسلطت على عقولهم سفسطة السفهاء في هذا الزمن المدهش فالاولى ان نكشف الغطاء غطاء الزخرفة عما في هذه الشبه من الشناعة والفظاعة والله على كل شيء شهيد

فقام ذلك الرجل قائلا زعم المبطلون أن الانباء التي جاءت في القرآن المجيد خرافية لما بينها وبين ماسطره اليهود من المناسبة ثم تكلم على قوله تعالى (ق) بما تكلم به وعن ذلك نقول ان الوقوف على الحقائق في هذه الاراجيف المظنونة يتوقف على أمرين احدهما صدق الرسالة والآخر معرفة القرآن هل هو الهي أم بشري · ومتى ثبتت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وثبت أن القرآن من عند الله تميز الحق من الباطل وأعجز المكذبين قوله تعالى (ومن أصدق من الله حديثاً) لاننا لو فرضنا القرآن تاريخاً كالتواريخ وجمعنا جميع التواريخ ووجدناه مخالفا لها في الروايات ورأينا الكل متفقين على رواية واحدة لا نجد لتمييز الحق من الباطل الا طريقا واحدا وهو البحث عن أخلاق المؤرخين واعتدال سيرهم وصدق أقوالهم فمن كان منهم حائزا شروط الثقة كان هو الموثوق بأقواله فلذلك اوقفنا الوقوف على الحقائق على ثبوت صدق الرسالة وعلى معرفة القرآن هل هو من الله أم لا وعن ذلك نقول

ان كل مسيحي عاقل وموسوي نبيه طالع العهد القديم والعهد الجديد واستعمل فكر أولي الالباب ونظر أرباب البصائر لا يشك في أن كلماتها كلها وضع متكلم جاهل بمزايا الكلام ومواقع الخطاب لما فيها من الركاكة والسخافة فإما أن يكون ذلك من جهل المترجم الذي نقلها من لغة الى لغة واما أن يكون من عوارض التغيير والتبديل · ثم ان ماورد في

في العهد الجديد من الاخبار المنقولة عن الاسماء المدونة به والرؤيا وانباء عيسى عليه السلام كل ذلك دال على أنه ليس بتنزيل سماوي لانه كلام لم يخاطب به عيسى ولا حواريه من قبل الله بشيء ما ولكنه أحوال حصلت بين المسيح وبين قوم مجانين ومصابين ومرضى وقوم مجادلين واعداء متعصبين الى غير ذلك فمن زعم أن هذا تنزيل الهي كان فاسد التصور فاقد الادراك غير بصير ولا خبير بمواقع الكلم ومصادر الوحي ولقد أجمع المسيحيون على أنه تنزيل الهي هو والعهد الجديد. ولكن اليهود لم يعترفوا بذلك لمخالفة الانجيل لما في كتابهم فمن كان له أدنى احساس يدرك به مواقع الخطاب ونظر في هذه الكتب ثم سمع آيات القرآن لايشك في أنه بالنسبة لهذين الكتابين لا يعد كلاما بل يرى أنه درر منظومة أودراري على صحف مرقومة فلسنا نحتاج الآن الى ان نحيل النظر في ثبوت نسبة القرآن الى الله الى البراهين التي أثبتت ذلك في عهد نزوله ولا فيما بعد ذلك ولكنا نستلفت انظار العقلاء الى ما ذكرناه والحق أحق أن يتبع

وأما رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فما كان لنا أيضاً أن نتكلم على ثبوتها من الطريق التي ثبتت به عند من صدقوها عند تبليغ الدعوة ولا عن ثبوتها بالاجماع والتواتر وارتفاع أعلام شهرتها ولكنا أيضاً نطلب ممن يعلم من نفسه لنفسه حالا يميز به الغث من السمين أن يتفقد شؤن الرسل مع أممهم من الكتب القديمة العهد من رسالة نوح الى رسالة عيسى وينظر ما كان من كل رسول وكل أمة حتى اذا وصل الى أنباء الامتين العظيمتين أمة موسى وأمة عيسى يقوم مقارنا بينهما وبين أمة محمد صلى

الله عليه وسلم في العلم والعمل والآداب المسطورة في مؤلفات الخيار من كل أمة ثم يتأمل بعيني الناقد البصير في أعمال الرسل الدينية. وعلومهم الربانية. وآدابهم الكمالية. ليتميز أيها أفضل فان وجد موسى وعيسى أو أحدهما حاز أفضلية. بصفات كمالية. فوق محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن محمد رسولا وان وجده اكمل الكل حالا. وأبلغهم أقوالا. وأسبقهم الى مراتب القرب الالهي اعمالا. كان هو خاتم الرسل وسيد الكل وامام المتقين. وقائد الغر المحجلين. والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فقال القوم لصاحبهم انا نود ان لا يقوم قواعد هذه الموازنة سواك حتى يكون مطالعها او سامعها حكماً بينك وبين من ينكرها ان كان هناك معارض أو منازع

فقال ذلك الرجل انا قد اجلنا الكلام على تلك المقارنة من قبل الى انتهاء الكلام على مافي هذا المؤلف من الفصول وانا ان شاء الله لآتون بما يسر الناظرين. وينعش الباب السامعين. ويرد العدو وراء اسلافه الى اسفل سافلين ولكنا نقول الآن

اما كون الانباء التي وردت في القرآن قد كانت مسطرة في كتب قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فذلك لا يفيد ان محمدا صلى الله عليه وسلم تناولها من تلك الكتب وجعلها قرآنا لأن كل واقعة وقعت بين امة ورسولها كانت مشهودة لابناء الزمان الذي حدثت فيه ومن المعلوم ان كل زمن اوجد الله فيه من العلماء ومن العقلاء من يحفظ وقائعه ليتناولها منه من خلفه في الازمان التي تلي ذلك الزمن ولكنها مع توالي الازمان ربما داخلها الغش والتحريف او التغيير والتبديل كما وقع في الكتابين السماويين ولم يقع تحكير

ولا حجر سماوي ولا ارضي على الناقلين لتلك الانباء كما انه يكون الناقل شخصاً او اشخاصاً معينين بل كل ذي فكر سمع خبرا يجوز له نقله الى غيره فلا يجوز لسامع نبأ ان يحكم عليه بأنه منقول عن شخص معين حتى يسأل الناقل له عن الذي تناوله منه الا اذا اشتبه في امره ثم لا حق له في تكذيب ذلك الناقل اذا قال نقلته عن فلان هـذا هو الطريق المعهود بين الناقلين والسامعين والسبيل المسلوك لكل سامع ولقد جاءنا محمد صلى الله عليه وسلم بنبأ بل بانباء فسأله السائلون ممن تناولت هذه الاخبار فقال من جبريل عن الله عز وجل ولقد عهد القوم صدقه من قبل وامانته اذاً فمن قال له انك كاذب لاني سمعته من طريق غير هذه الطريق فقد اعتدي وتعدى الحدود المعلومة بين السامعين والناقلين سيما وقد برهن هذا الناقل على صدقه وصدق من نقل عنه فهل يسوغ لعاقل او مجنون مهما وصل حاله من الجنون ان يأتي بعد الف وثلاثمائة سنة قائلا ان محمدا نقل انباءه عن غير جبريل اليس هذا هو العته الذي ما بينه وبين الجنون الا الرجم بالاحجار. او التغذي بالاقذار. انهم والله لظالمون

ثم قال ان من اعجب العجب استدلال هؤلاء الضلال على تكذيب الرسالة بما جاء به المفسرون من الاحتمالات او بما جاء به القصاصون او دونه المؤرخون في قصص الانبياء من المعاني المحتملة في لفظ (ق) ومن تفسير بعض الآيات التي جاءت بانباء الانبياء اليس ذلك من الهوس البين اما علموا ان خطأ السامع لا يقدح في صدق المتكلم ولا في اصابته ولو كان كذلك لكان موسى مؤاخذاً بأوزار امته وعيسى مداناً بفساد اعتقاد قومه الذين اتخذوه الهاً بعد ما قال لهم اني رسول الله اليكم وما كان يقول أبي بالنسبة

الى الله الا بمعنى ربي كما كان يقول لهم ابوكم الذي في السماء فأصاب وأخطأوا المعنى فهل لعاقل ان يقول ان اجرامهم يجعله مجرماً كلا ان الظالمين لفي ضلال بعيد

ولو ان قائلا يقول ان المفسرين او المؤرخين ما فسروا القرآن الا بما تناولوه من الاحاديث النبوية نقول اذا كان الحديث صحيح النقل يكون أصدق من كل نبأ قديم وحديث سواء كان عن المسيحيين او غيرهم لان كثيرا من المسيحيين وكل عالم من علماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد اجمعوا على انهم غيروا وبدلوا في كتبهم كما ان قوم موسى شهد الله عليهم بالعمى وطمس القلوب. وقوم عيسى عبدوا الصليب والمصلوب. من دون الله ومن كان هذا حاله لا يثق سامع بنبئه والله على ما اقول وكيل

ثم اتم الرجل كلامه واجل الكلام على ما بقي من الكتاب الى الصباح وانصرف القوم قائلين (ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير)

(الكلام على الفصل الرابع)

يأبى الغبي وقد تظاهر بالزكا ... الا اعابة حال كل مهذب
وكذا الجهول اذا غدا متعلما ... علم اللسانة بات غير مؤدب
أما السفيه اذا تجنبه الحيا ... والخوف أهلك نفسه في الغالب
وأخو الحماقة لا يرى لا فاضل ... فضلا ولو كانوا كساكن يثرب
لو يعلم المعيوب عيب خصاله ... لغدا الى الاجداث أول هارب
لكنه بالطبع كان مهيأ ... لذهابه في العيب أشنع مذهب
فتراه لا يخزى اذا نظرت له ... نظر ازدراء عين كل مراقب
فذر الذين تفننوا في عيبهم ... وشؤنهم لحساب أسرع حاسب

ان الحقائق لا يضر بضوئها   جهل الجهول ولا تقول كاذب

فلما أصبحوا تنادوا مقبلين وأقبل معهم خلق كثيرون ثم قام ذلك الخطيب فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال . أيها الاحباب انكم لتعلمون ان الله تبارك وتعالى ما أوجد النوع الانساني على اختلاف طبقات أفراده وتعدد اممه المختلفة السنتهم وألوانهم الا ليكون مظهر القدرة الالهية . ومصدر اعمالها النظامية . التي حيرت حكمتها الافكار وشخصت داهشة دونها أبصار البصائر النيرة وما جعل سبحانه وتعالى من رابطة بين قدرته العلية . وبين تلك المظاهر في امضاء الشؤن البشرية . الا البواعث الغيبية . التي جعل مجالها القلوب وقد تختلف اسماء تلك البواعث باختلاف الشؤن فمنها ما يسمى خاطرا ومنها ما يسمى الهاما الى غير ذلك وما كان لتلك البواعث التي هي منشأ كل عمل تراه في الوجود من مصدر الا الغيوب التي ما فيها الا من هو المعلوم المجهول المعقول . الذى لا تحيط به العقول . جامع المتفرقات . وناظم اشتات الطبقات المحتجب عن الغير بالغير حيث لا غير . والمتلطف في ايصال الخير (وما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم)

ومن هذه الوجهة التي من لم يتجه قلبه اليها كان من الضالين قال معلم العلماء . ومؤدب الادباء . وأظرف الظرفاء . وخاتم لانبياء . سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم لاصحابه (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) كما يشير الى هذا المعنى التعليم الالهي الوارد في قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) وذلك لانه لا يبرز في عالم الظهور قول ولا عمل الا عن تكوين الهي لا يعلم كيف كان الا مكونه ومن

هذا المشرب كان قول القائل

اذا ما رأيت الله في الكل فاعلا   وجدت جميع الكائنات ملاحا

وتالله لولا وجود الحجب المسدلة بين البواطن والظواهر . لعلمت المظاهر من هو الباطن والظاهر . وما رفعت تلك الاستار ولا ازيلت تلك الحجب الا عمن عرف نفسه فعرف ربه وما عرف نفسه الا من عرف معنى قوله تعالى في الحديث القدسي في عرفوني اذ لولا أن الله سبحانه وتعالى أحب أن يري نفسه كما هي عليه من الاقتدار ومخالفة الحوادث لما كان هذا الظهور المعبر عنه بالوجود الصوري ولو كان للممكن حقيقة ذاتية لما لحق الفناء بموجود ولما طرأ عليه التغير وما قلنا هذا القول المحجور عليه الا لتعلموا أن الانسان مساق الى ما يراد به ومنه على وفاق وتلايم بين استعداده وقابليته وبين ما هو معان عليه ومسخر له اذ هو مرمي سهام العدل . ومطمح انظار الفضل . لانه اما شقي شرير واما سعيد خير ولا يتميز الشقي من السعيد الا بالاعمال اذ الاعمال اما ضارة واما نافعة وهما ضدان لا يجتمعان في استعداد واحد ولا تقبلهما معاً قابلية واحدة فكان من حكم النظام الا بداعي اختلاف القوابل والاستعدادات لتأتي أعمال الانسان على وفقها فلذلك افترق الناس الى قسمين فمنهم شقي وسعيد وفريق في الجنة وفريق في السعير فطوبى لمن جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر والويل لمن جعله الله مفتاحاً للشر مغلاقا للخير

ولقد علمتم أن كل أذى زائل الا أذى الدين فانه شر دائم . ونتيجته غم ملازم . فمن رأى منكم شريرا قد استرسل في شره أو مضلا تمادى في اغوائه فليبرأ من أعماله وليهرب منه الى ربه وليعلم انه مسكين مسلوب

الارادة عار عن المشيئة عاجز عن القدرة مفقود الاختيار وانه مسخر لما يأتي به من الاعمال كما سخرت السموات والارض والشمس والقمر وجميع الموجودات لاعمالها وكذلك الدواب والانعام وغير ذلك تنفيذا لما كان مقضيا في الترتيب التكويني الذي أشار الى منشئه الحق سبحانه وتعالى بقوله (حكمة بالغة فما تغني النذر) . وإياكم أن تفتنوا بما افتتن به الجهلاء من أهل هذا الزمن الذي اغتروا بزخرفة الاقوال الفلسفية التي حالت بين الله سبحانه وتعالى وبين قلوب عباده الضعفاء وانها لاقوال قوم جعلهم الله فتنة للقوم الظالمين وزين لهم أعمالهم وامدهم بما اعانهم به على ما اراده بهم ومنهم من الجدل وفتنة الظهور وطغيان الغرور . فمن كان منكم ضعيف النظر قليل التأمل قاصر الادراك لا يجد من نفسه قدرة على ادراك الحقائق من طريق الفراسة الايمانية . والانوار القلبية . فعليه بالميزان الذي وضعه الله لعباده في كتابه العزيز ليميز به العقلاء . أحوال الاطغياء من احوال الاصفياء . فقد جعل سبحانه وتعالى التقوى هي العلامة الدالة على حسن توفيقه وارشاده والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) وبقوله (انما يخشى الله من عباده العلماء) ولا تعرف الخشية الا بالتقوى ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رأس الحكمة مخافة الله) ثم قرن الغرور والطغيان بالاستغناء بالجاه والمال كما يشير الى ذلك قوله (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) وما كان ذلك من الله تبارك وتعالى الا تعليما وارشادا حتى لا يغتر الضعفاء منكم بظواهر القول والعمل ولتعلموا أن كل علم أو عمل لا تخالطه التقوى لا يكون الا اغواء وتضليلا كما عليه سفهاء الفلاسفة والمبشرين في هذا

الزمن الذي قل أن يعقب دياجيه المظلمة اسفار . وان يكون للحق فيه أعوان أو انصار . فقد ظهروا فيه بمظهر الاغواء والاضلال . وستروا محاسن الحق البين بقبائح الزيغ والضلال وتظاهروا من علومهم ومعارفهم الزيغية بما لم يتظاهر به ابليس في زمن من الازمان الماضية (وكان الله على كل شيء مقتدرا)

فكان ذلك التعليم الذي سبقت الاشارة اليه ميزانا يعلم به المسترشد أحوال العباد لكيلا يلتبس الامر على الجهلاء فمن رأى منكم عالما أو مرشدا قليل التقوى فليعلم أنه شيطان وكذلك صاحب الجاه والمال الذي لم يرزق الانكسار وحسن الخلق لا يكون الا مغرورا طاغيا من حيث لا يشعر ولذلك قال القائل

هما رضيعا لبان حكمة وتقى * وساكنا وطن مال وطغيان

ألا ترون ان أول من كان يتبع الرسل من الامم الماضية ضعفاؤهم وما انقاد الاقوياء منهم للرسل الا بعد الجهد الجهيد ولقد علمتم ان منشأ الفساد في هذا الزمن ماهو الا محبة الدنيا والتكالب عليها الذى ترك كثيرا من الناس الآن يظنون أنهم وجدوا بلاموجد وأن هذه الدار التي سكنوها بلا ديار . وأنه لا جنة بعد الموت ولا نار . فتفننوا في الجنون وزعموا أنهم مصلحون . وانهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . فلا يكون مثل من هذا حاله بعد الموت الا كمثل راكب سفينة ألقت به من الشاطيء على جزيرة كثيرة الاشجار والانهار فأشغلته زهراتها وثمراتها عن النظر في شأن مبيته والاستعداد لاستراحته الليلية فقضى نهاره لاهيا متغافلا حتي اذا جنه الليل سمع زئير الاسد فدهمه الجزع واحاط به الخوف الشديد حيث لم يجد ملجأ ولا

مغارات تنجيه أو تأويه (والله محيط بالكافرين) فالحذر كل الحذر من أن يحول الطيش بينكم و بين ادراك الحقائق الغيبية فطالما حذركم الله من ذلك بمثل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) وما أراد بالغرور الا كل شيطان ذي زندقة يخرج الناس من النور الى الظلمات أي من نور الايمان والتصديق الى ظلمات الشك والزيغ والجدل فمن كان منكم ذا عقل وافر . وقلب طاهر . و يقين صادق وايمان كامل فليبحث في مؤلفات الابرار . عن طريق الاخيار . حتى اذا ملكها كان قد تمسك بالعروة الوثقى التي بها يتصل حبله بحبال الناجين وتجعله في حوزة القوم الذين لا يحزنهم الفزع الاكبر واياكم أن يلجأكم الجهل بربكم الى محاباة الضلال عند الفاقة لتتوصلوا بهم الى ادراك رفاهة العيش ونضارته كما يفعل سفهاء الامة الآن فان هذا هو علامة ضعف اليقين وخسة الطبع ودناءة النفس وضعف المروءة وما هي الا شيمة من شيم جهلة النساء اللاتي تميلهن الفاقة الى هتك الاعراض . واتباع الاغراض . وانها لهي الحال التي تركت طائفتي التبشير والفلسفة علي ما ترونه الآن ولو تأمل الناقد البصير في أحوال القوم لما وجد منهم ذا حسب ولا ادب ولكن اكثر الناس لا يفقهون ثم بكي ذلك الرجل طويلا ونادى ربه قائلا (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة القائم على كل نفس بما كسبت اسألك لطفا كافلا . وعفوا شاملا ورضوانا يحول بيننا و بين سخطك وامتنانا يدافع هذه النقم التي قاربت أن تحيط بعبيدك الضعفاء الهنا الغوث الغوث من مقتك وطردك و بعدك اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا واغفر لنا وارحمنا (ربنا اغفر لنا ولاخواننا

الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم)

ثم استدعي بذلك المؤلف ونظر فيه طويلا ثم رفع رأسه فقال واعجبا لقدرة الله سبحانه وتعالى كيف تقود أهل الشقاء الى مصارع العقاب وهم لا يشعرون وكيف تزين لكل عامل عمله حتى يظن أنه هو العالم الذي أحسن عملا

ثم قال اني كلما مررت بصحيفة من صحف هذا المسطر لا أرى فيها على الغالب الا تكذيبا لكتب المسيحيين واتهاما لليهود بان منهم المخرفين والمبتدعين وما صادق هؤلاء القوم على نبأ من الانباء المسطرة في هذا المؤلف سواء كانت قرآنية أو تاريخية فليت شعري ان قلنا ان اليهود مخرفون والنصارى مبتدعون والمسلمين ضالون وان القرآن مختلق ومكذوب واكثر الاناجيل باطلة كما زعموا وان التواريخ التي سطرت فيها تلك الانباء ما هي الا مخترعات قوم كاذبين فأين الصدق وأين أهله وأين الحق وأين متبعوه وأين الخيار وأين الابرار اذاً لو سألناهؤلاء الضلال عن خيار الناس لزعموا أنه لا خيار الا طائفة الفلاسفة والمبشرين ثم ضحك حتى بدت نواجزه وقال لله در القائل

ذهب الكرام المقتدي بفعالهم ... والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم ... بعضا ليدفع معور عن معور

أيها الاخوان لقد بينا لكم فيما سبق ميزانا قرآنيا تعرفون به احوال الرجال وانه لنعم المرشد لمن تمسك به واني الآن لسائلكم سؤالا به تتعقلون احوال الضالين والمهتدين وكان الله بعباده خبيرا بصيرا

ارأيتم ان جاءكم رجلان كل منهما يدعي الفضل والكمال وكان احدهما يصوم ويصلي ويذكر الله ويجتنب الفواحش ويتحاشي غوائل الظهور ويختار الخمول والعزلة ولا يتكلم الا بما يعنيه ولا يشتغل الا بما يصلح حاله ومآله مقدما أمر آخرته على دنياه ثم يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة واذا سئل عن شيء من أمر الدين سلك في الاجابة عنه طريق الاتقياء الذين يخشون غوائل الميل والانحراف عن متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا رأى من أعمال العوام عملا أو أعمالا لم يعملها الصحابة ولا التابعون أوكل أمرها الى مقاصد العاملين ونياتهم ارتكانا علي قوله تعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج) وقوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحاء وعلى قبوله صلى الله عليه وسلم ايمان الأمة التي سألها عن ربها فأشارت الى السماء وكان ذلك الرجل ايضاً لا يحتقر الفقراء . ولا يزدرى الضعفاء وليس الا التواضع شعاره . وبحسن اليقين وصدق الايمان ابتهاجه وافتخاره

وأما الثاني فلا يهمه أمر الدين . ولا يمقت الا أعمال الخيار من المسلمين لا ينطلق لسانه الا بالغيبة والسباب . ولا يعمل من أعمال البر الا ما يجب أن يمدح به بين الأحباب . ولا تراه الا متفقدا عورات الناس . ولا متلبسا من الاخلاق الا بما تلبس به الوسواس الخناس . يختلق لأفاضل الاموات عيوبا . ولا يعدد لهم بين الناس الا هفوات وذنوبا . لا يقبل من القول الا معقوله أو منقوله . ولو أن الله اعطاه الدنيا بحزافيرها لما بلغته مأموله . ان جاءه نبأ يخالف لاعتقاده ازدراه وانكره . وان رأى ذاكرا يذكر ربه أنكر عليه وكفره . وان عثر علي من يذكر الناس بأمر الآخرة ضحك استخفافا بالقائل . وان طرق مسمعه نبأ كرامة

لولي حكم بالجنون على الناقل . لا يفتخر الا بما كان عليه اهل الجاهلية من التعاظم والتعالي على الناس . ولا يتكلم الا بما من القول كان مشحونا بزخارف الزيغ والالتباس . قد جاء يدعي أنه في العلم قرين الانبياء والمرسلين . ولكنه لا يكترث بسنة ولا بفرض من فرائض الدين . لا تفارقه الدعوى طرفة عين . ولا يعجبه من القول الا ماهو ملفق من الشبه والمين . فأيهما يرى العقلاء أنه هو الزنديق . ومن منهما تعتقدون أنه السالك لاقوم طريق

فقال قائل من الجماعة أيها الخطيب لقد جئت بالجواب . في خلال الخطاب . فما بينت غير طريقتين احداهما طريق الابرار . والاخري طريق الاشرار . وما تخلق الاول الا بأخلاق المتقين . وما تتبع الثاني الا سبيل الشياطين "

ثم ألقى ذلك الرجل الكتاب من يده وترنم بقول الله تعالى (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) وقال لقد عجبت من هؤلاء القوم الذين فصلوا هذا المؤلف فصولا وما تميز واحد منهما عن الآخر بحال من الاحوال بل كلها في موضوع واحد متحدة البراهين والادلة وما من دليل ولا برهان الا وهو دعوى كاذبة ذات حجة باطلة فما كان ذلك التقسيم الا كتهويلات المطلقات اللاتى لا يقصدن بما يأتين به من الجدل والمحاورات الا تكبير الجرائم والله لا يهدي القوم الظالمين

ثم جلس ذلك الخطيب قائلا ان من الحكمة ترك هؤلاء الضلال في طغيانهم يعمهون . والاولى أن لا يتفقدهم المتفقدون . ولا يصغى لاقوالهم الصاغون . اقتداء بقول القائل لا تلق لعدوك سمعا . فانك لا ترتجي منه

نفعا . وان من السفه لمجارات الاحمق في حمقه سيما الاحمق الذي لا يدري أنه أحمق وما كان لبصير أن يبرهن للاعمى على طلوع الشمس وهي في رابعة النهار . وان الحق لظاهر وان الدين لقيم قويم ساطع الانوار غير خفي الاسرار . وقد فاز بكرامته المؤمنون . وسعد باعتناقه المتقون . وكم تنافس فيه من قبلكم المتنافسون . حتى وصل السابقون منهم الى مقعد صدق عند مليك مقتدر . وما كانوا أمثالكم في اللسانة والجدل وطيش الغرور وكثرة القال والقيل ولكنهم كانوا قوما صالحين وكانوا كلما احتاج احدهم الى الوقوف على حقيقة من حقائق الدين تكبد المشاق والمتاعب في طلبها وربما هجر أوطانه واهله اذ كانت الكتب فيما بينهم لها قيمة لا قدرة عليها الا لذوي الاموال لقلة الكتب والكاتبين . وانتم الآن في زمن كله كلام وما من كتاب مكتوب يتفقده متفقد الا ويجده في خزانة جاره بل ربما وجده في أيدي الصبيان وما من واعظ يعظ قوما الا سمع من غالبهم من الحكمة فوق ما وعظهم به ولكن الاعمال بينها وبين الاقوال تباين واختلاف شديد فهما على طرفي نقيض فلو أن احوالكم الآن واعمالكم كانت تابعة لاقوالكم لكنتم كانبياء بني اسرائيل ولكن انتشار العلوم والمعارف ما زاد الامم الا ضلالا وخبالا والذي يراه العقلاء من طوالع هذا الزمن المنحوس هو أن الله سبحانه وتعالى ما أراد بترخيص الكتب الى القيم التي تعلمونها الا بلوغ دعوة الرسالة لكل مطلع ولا نشر العلوم والمعارف فيكم الى الحد الذي ترونه ولا أكثر فيكم المتكلمين . ولا نشر فيما بين الناس سفهاء الفلاسفة والمبشرين . وسلب منهم الحياء منه والخوف الا لحكم كثيرة . منها اقامة الحجة على الغافلين

الذين لحقهم الشك في أمر دينهم فهجروا مناسكه لما سمعوه من زخرفة الاقوال الزيغية ومنها انتقال الكثيرين الذين أشار اليهم الحق بقوله (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) من طريق الهدى الى طريق الضلال ومنها ظهور ما أشار اليه القرآن بقوله (ليميز الخبيث من الطيب) الى غير ذلك من الحكم التي لا يعلمها الا مجري الشؤن وممضيها

واقد علمتم يا قوم صدق نبيكم وصحة دينكم كما علمه الذين من قبلكم وان الجاهل منكم الآن بأمر دينه لو اختبرناه لوجدناه كأنه قريب عهد برسول الله صلى الله عليه وسلم وما خفي عليكم والله من شؤن الرسالة التي شاهدها الصحابة الا القليل ولا يضل الآن عن أمر دينه ضال مع وضوح أنواره الا من كان شقاوه فطريا كما كانت الاشقياء في عهد الرسل واظنكم لا تجهلون ما كان منهم من الكفر والجحود مع مشاهدة الآيات البينات وما أنبأكم الله بأحوالهم في القرآن الكريم الا لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وان الهدى هدى الله فما على أمثالنا الآن الا البيان لمن لم يكن على علم وقد جئنا بما فوق الطاقة وما كنا بمكلفين بمعاناة الشدائد فوق ما تكبدناه من ارشاد الجهلاء وفوق ما قررناه من النصائح للقوم الضلال الذين قد تعاونوا على الاثم والعدوان ومعصية الرسول وقاموا فيما بين الناس يقاومون الحق ويدافعونه بالباطل وما وجدوا زاجرا من الامم ولا من أنفسهم وما ذلك الا لانهم حقت عليهم وعلى من يحابيهم كلمة العذاب (وكان أمر الله قدرا مقدورا)

وما علينا الا أن نحذركم صحبتهم والتودد اليهم اتباعا لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة)

وصونا لكم عما يصل اليكم من شرورهم اذ لاضرر اشد على الانسان من ضرر الصديق الاحمق وانه لمن المعلوم الضروري ان الجاهل عدو لنفسه ومن كان عدوا لنفسه لا يصلح ان يكون صديقا لغيره وهل رأيتم في الوجود ظالما لنفسه اظلم من هؤلاء السفهاء الذين ماعابوا الا خير خلق الله ولا كذبوا الا رسول الله ولا خاضوا الا في آيات الله ابتغاء الفتنة ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها) وهل من فتنة اضر من فتنة الدين . وهل من وقاحة اقبح من اعابة سيد المرسلين الذي شهدت بفضله جميع الامم الا القوم الكافرين ولو ان الله سبحانه وتعالى جمع جميع الرسل والانبياء في صعيد واحد واقمنا على رأس كل رسول خطيبا يذكر مآثره ويعدد اعماله ويسرد سيرته واقواله لما استطاع خطيب من اولئك الخطباء ان يأتي ببنت شفة في حضرة ذلك الرسول الكريم الا بعد اعترافه بأفضليته على جميع الرسل ولقام اذ ذاك كل نبي ورسول بين يديه شاهدين له بما اشار اليه البوصيري رضي الله عنه بقوله

وكلهم من رسول الله ملتمس   غرفا من البحر أو رشفا من الديم

لانه صاحب الدين القيم والاعمال الناجحة الصالحة وصاحب الفتح المبين والشريعة الغراء والهمة العالية والعزم الشديد . والرأي السديد . ومؤدب العلماء . ومكمل الفضلاء . ومن كان هذا كله بعض مناقبه السنية . واخلاقه المرضية . لا يكون حال من جاء يعيبه الا اسوأ حال . وما مآله الا اشنع مآل ولا يكون عمله ولا قوله الا من اقبح الاقوال والاعمال . وما عادى ذلك المفتون الا نفسه التي أوردها شر الموارد المهلكة فليس لعاقل ان يصحبه اذ هو المجذوم اي المقطوع الذي اشار اليه النبي بقوله (فر من المجذوم فرارك

من الاسد) واي قطيعة انكى وادهى من قطيعة هؤلاء القوم المطرودين من رحمة الله . المعادين لرسول الله . المكذبين لكلام الله . فوالله لو انهم وجدوا في غير هذا الزمن الذي اشتغل شبانه بالملاهي وامتلأت قلوبهم زيغا وزندقة وما وجد الدين له فيها مأوى لما انطلقت السنتهم بما أذاعوه من الضلال والفسوق والله لا يهدي القوم الظالمين

ثم جلس ذلك الخطيب وقد اظهر شديد الحزن والاسف فقام احد الحاضرين قائلا ايها الحبيب انا وان كنا نعلم علم اليقين أن هؤلاء الضلال ماجاؤا في مؤلفاتهم بمعقول يعقل . ولا بمقول يستحق ان ينقل . ولا بما تأنس له الافهام الزكية . ولا بما يروق منظره المطالع من ارباب الاخلاق المرضيه . ولقد تفنن العقلاء في تسمية تلك المؤلفات بما تستحقه من الاسماء فمن قائل انها خزائن الخزى والزندقة . في فن الشقشقة واللقلقة . ومن قائل انها حذق المهابيل . في نشر الاباطيل والاضاليل . ومن قائل انها مواقعة السفهاء الفاسقين . للجهلاء المفتونين . الى غير ذلك مما نسمعه من افواه المتكلمين ولكنه لا ينبغي لنا ان نستخف بشأنهم حرصا على عقول العامة الذين ربما اورثتهم خزعبلات هؤلاء السفهاء شكا في دينهم فمن كمال الايمان ان ننظر الى اخواننا في الدين بعين الرحمة كما اوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ضمن حديثه الشريف وعودوا قلوبكم الرحمة وبقوله في حديث آخر (لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) فالاولى لنا أن نكشف للعوام عن وجوه الحقائق براقع الشبه الزيغية وندافع عن أوهامهم هذه التمويهات التي جاء بها هؤلاء الضلال الذين يئسوا من الجنة ومن رحمة الله كما يئس الكفار من أصحاب القبور وما كان لنا أن نيأس من

اقلاع هؤلاء السفهاء عما هم فيه من الافتتان والغرور وان كانوا طاغين لاننا نعلم علم اليقين انهم جهلاء بمزايا الدين والمتدينين لانهم ماعلموا من الدين شيأ غير ظاهر اقوال ماتحققوا بحقائق معانيها وما نشأوا الا بين قوم جاهلين وقد الجأهم السفه وطيش الغرور والافتتان الى تعزيز ما نشأوا عليه وان كان ضلالا لان من لم يقف على حقيقة الحق لا يعرف الباطل انه باطل فالاولى لنا أن نخفض لهم جناح الذل من الرحمة عسى ان يهتدوا بارشادنا الى الصراط المستقيم

فقال له صاحبه ايها الفطن نعم ما رأيت. وما أجمل ما به من النصح أتيت. فلا عدمت الامة امثالك. ولا فقدنا أراءك واقوالك. ولكن القوم الذين تريد أن تقاومهم فيما قاموا اليه لتقومهم ماهم الا أقوام تعصبوا على الحق فرموه بحجارة الباطل وما كان ذلك التعصب الا عن مقاصد سيئة تعاونوا على امضائها على علم منهم بأنهم هم الظالمون ولقد أبرموا امرهم على ذلك الاتفاق وصمموا عليه مصرين على انهم لا يخافون في أي قبيحة ارتكبوها لومة لائم وما كان ذلك منهم الا لأغراض دنيوية يريدون اصابة مرماها فما كان حالهم الا كحال مدمن الخمر الذي لا يسمع ولا يعي قولا أو كالزاني المتوله الهائم في هوى معشوقته التي ملكت فؤاده وماظنك بقوم يدرسون القرآن ويطالعون كتب الحديث وهم لا يهتدون ولقد مثل الامام ابن الفارض رضي الله تعالى عنه حال من كان هذا حاله بقوله

رضوا بالاماني وابتلوا بحظوظهم   وخاضوا بحار الحب دعوي فما ابتلوا

اذا فلا يكون حالهم معك الا كحال امرأة سيئة الخلق ذات اخدان ابتلي بها رجل اديب عاقل كلما حالمها تحاملت عليه. وكلما سالمها ساقت الشرور

شرورها اليه. وان زجرها تجرأت على سبه. وان سكت عنها توسعت في لومه وعتبه. فهل لذلك من حيلة غير الفرار. أو ان يختبي عنها في زاوية من زوايا الدار. ان هذا لبلاء عظيم

فناداه صاحبه بصوت منخفض مظهرا بشاشة اللين والتعطف قائلا ايها الخليل الجليل ان الامر والله لكما ذكرت ولكن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه الكريم (قل ياعبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) وقال ايضا فيما حكاه عن الرسل صلوات الله عليهم بقوله (حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) حكي سبحانه وتعالى هذا الحال عن افراد كانوا اكمل الناس حالا واكرمهم عنده منزلة وقد ابتلاهم بأمم طاغية جهلاء قاسية قلوبهم يعبدون الاصنام. ولا يخشون الانتقام. وبعثهم اليهم لينجي من اراد نجاته من الامم ثم قال (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) لعلمه ان منهم السعيد والشقي فما برحوا في مقاومتهم حتي قوموا منهم من أراد الله له الهداية. وادركته سابقة العناية وأما نحن فما بعثنا لعباد أصنام ولا لقوم طاغين ولكننا نشأنا بين أمة مؤمنة تعتقد أن الله اله واحد وان محمدا عبده ورسوله ابتلاها الله بطائفتين زائغتين وما كنا بجازمين بفساد عقائد الامة بمتابعة هؤلاء الضلال الذين ما قصدوا بتظاهرهم بما ظهروا به الا ان تعلو بين الامم منزلتهم كي ينالوا بسطة من المال والجاه وان كثيرا من عقلاء الامة لناقمون منهم وساخطون عليهم وقد ثبت في عقول الغالب من الناس ان الفلاسفة هم اعوان المبشرين. وقد حققوا أن المبشرين هم اخوان الشياطين. واذا كان الامر كما ذكرنا فأي مانع

يمنعنا من الاخذ بايدي ضعفاء العقول منا وأي دافع يدفعنا عن ارشاد العقلاء من المسيحيين أو من اي أمة الى طريق السلامة والنجاة التي هي الايمان بجميع الرسل واتباع الاوامر الالهية . والتحقق بالآداب الدينية . التي لم يتجاوزها نبي من الانبياء أما قال الله سبحانه وتعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) فما الاصل فينا على اختلاف السنتنا والواننا الا واحد وما كان تخالفنا في العقائد والاديان الا لاختلاف الاستعدادات والقوابل الفطرية ولله در القائل

أبوك أبي والجد في الاصل واحد ... ولكننا عودان آس وخروع

وهل كان تفرق المشارب والمسارب . الا لاختلاف الاهواء والمآرب . اذ المعلوم أن الاهواء تذهب بالقلوب الى حيث تهوى النفوس ان لم تعقلها عن ذلك قوة اليقين وكمال الايمان فما كان لنا ان نترك اخواننا في الجنسية والوطنية لقوم يدعون العلم وقد اخذ بمخنقهم الغرور والطغيان الى مواقف الطيش والدعوي حيث ظنوا أنهم اكمل الناس عقلا وعلما ولو أنهم كانوا عقلاء لتحققوا بقول الزمخشري رحمه الله اذ أدركته العناية بعد طغيان علمي فأوقفه الله على حقيقة نفسه فعلم انه أجهل جهول لولا تعليم الله له فقال

العلم للرحمن جل جلاله ... وسواه في جهلاته يتغمغم
ما للتراب وللعلوم وانما ... يسعى ليعلم أنه لا يعلم

فلا تيأس أيها الصديق من رحمة الله فربما أن يكون من الفلاسفة أو المبشرين من أراد الله به خيرا فيفتح سمعه وبصره لما نلقيه اليه من النصائح ويهديه الى سواء السبيل

ثم التفت الى من حضر قائلا أيها الاحباب انما الناس رجلان رجل باع نفسه فأوبقها . ورجل اشترى نفسه فأعتقها

فأما الذي أوبق نفسه وألقى بها الى التهلكة التي نهاه الله عنها بقوله (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) فما هو الا من هجر الصراط المستقيم الذي هو الرضاء عن الله والاقتناع بما قسمه الله ثم اشتهي ان يكون ذا مال وجاه كما اصبح غيره من أهل اللسانة والجدل بعد ما كانوا من ذوي الفاقة والاحتياج وقد غلب علي ظنه ان الدنيا لا تتعاصي على الطالبين . ولا تمتنع عن الراغبين متى كانوا أهل همم وعزائم لا يلوي أعنتها الفتور والكسل وتوهم ذلك المسكين أن الانسان يدرك بهمته كل ما طلب . وما تفطن الى أن الاله الذي انشأ الدنيا هو المدير لشؤنها وقد خلق هذا زبالا وذلك سلطانا . وجعل ذلك تقيا وآخر شيطانا . فلا يستطيع موجود أن يغتصب رتبة موجود آخر وما تبصر ذلك المفتون في شؤن الخلائق حتى كان يعلم أن المقسوم لا يفوت وان غير المقسوم لا يدرك وما احس بأن الله سبحانه وتعالى هو الملهم لكل عامل اراد اظهار أي عمل على يديه وانه لا يفتن بالدنيا الا من سبق عليه القضاء بالشقاء ولا معني لسبوق القضاء الا حكم مرتبته الوجودية عليه ثم لم يتدبر معنى قوله تعالى (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك) وقوله في حق المفتونين (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) فلما غاب ذلك المسكين عن تلك المشاهد الفكرية قام يسابق الامم الذين جعلهم الله ابناء الدنيا واشغلهم عنه بزخارفها التي لا تساوي شيأ ولا يصبوا اليها الا الصبيان او جهلاء الرجال فما وجد ذلك المفتون مشربا الا طريق الزيغ والفلسفة فاستهوته الشياطين فسار وراء القوم الذين اهلكتهم متابعة الهوى

فأوردوه النار وبئس الورد المورود

واما الذي اشترى نفسه فذلك الذي تحقق بما أودعه الله تعالى في قلبه من الانوار أن موجد هذا الوجود لا تأخذه سنة ولا نوم وانه ماخلق الانسان وسخر له جميع الموجودات الا ليكون مظهر تدبيره . ومنفذ مقاديره . ثم تبصر في نفسه التي هي مجموع عوالمه البشرية فوجدها منقادة لقلبه انقيادا لا يحاكيه حال من الاحوال الا حال انقياد المواد الغازية للنار اذا لم يحجبها حاجب عن الاتصال بها فيرى عينه مثلا او اي جارحة من جوارحه لا تتعاصى على قلبه كيفما شاء ان يوجهها بحال من الاحوال سيما لسانه الذي هو ترجمان قلبه ثم تأمل فوجد قلبه غير مملوك له بل هو في يد مالك قوي يقلبه كيفما يريد وراه مقهورا لبواعث غيبية تبعثه الى مالم يكن في حسبانه وتوجه الى اي وجهة لا يدري ماتكون عاقبته فيها ثم سمع قوله تعالى (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي ارض تموت ان الله عليم خبير) فتحقق الامر على ماهو عليه وعلم ان قول المغتر المفتون اني ساعمل لمستقبلي ماهو الا قول ماصدر الا عن نفس مكلوبة مفتونة أضربها التكالب على الدنيا حتى عميت عن ادراك الحقائق وعلم انها لولا السد الذي جعله الله من بين يديها ومن خلفها والغشاوة التي على بصرها لأبصرت كما أبصر المبصرون ولكنها لما احاط بها مفهوم قوله تعالى (وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) عميت عما وراءها من المغيبات الاخروية التي انبأ بها القرآن وعما بين يديها من الآيات والدلائل التي نصبها الله اعلاما لعباده المتبصرين الذين فتح

اسماعهم وابصارهم ليهتدوا بها اليه فتلهت بما الهاها عن ربها من الملاهي فتوهمت انها فعالة مختارة وهذه العقيدة هي منتهى افهام المحجوبين

فلما جذبت ذلك المتبصر الى ربه العناية . وحلت في قلبه انوار الهداية سرح فكره في شؤن الامم المتقدمين ليعلم كيف كان سيرهم وسلوكهم وتصفح صحائف التواريخ فما وجد منهم من يستحق الالتفات الفكري الا طائفتين احداهما طائفة الرسل ومن تابعهم والاخرى طائفة الفلاسفة واشياعهم فأمعن النظر في شؤن افراد الطائفتين واخلاقهم فتحقق ان الاتقياء الذين اختارهم الله هم افراد الطائفة التي آمنت بالله واليوم الآخر وبملائكته وكتبه ورسله وعلم انهم هم الذين تجملوا بمكارم الاخلاق وحظوا بتهذيب النفوس ومشاهدة الاسرار الملكوتية . والفتوحات الربانية . واولئك الذين سعدوا واولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون . واما افراد الطائفة الاخرى فما هم الا اهل اللسانة والجدل واصحاب الدعوى وحلفاء التفاخر والتباهي الى غير ذلك من الاوصاف المذمومة فتحقق انهم هم الذين ابتلوا بهموم الدنيا وغموم الآخرة والله لا يحب كل مختار فخور

ثم بكي ذلك الرجل طويلا وقال (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار) ثم نادي يا أيها الاخوان لقد اصبحنا في زمن ما تقدمه زمن مثله من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الي الآن وما ضلت الامم عن طريق الهدى في عصر من العصور كضلال أمم هذا العصر وماظهرت بمظاهر الزيغ زنادقة في وقت من الاوقات كظهور زنادقة هذه الايام بزندقتهم وكثرة افسادهم واضلالهم فلا توبقوا أنفسكم كما أوبقها ذلك الرجل الذي ضربنا لكم به المثل وتحفظوا من أحوال الفلسفة والزندقة

وايا كم ومخالطة اهل الفساد فان من وقف مواقف التهم اتهم ولا اجرله ومن أحب قوما حشر معهم وتمسكوا بعروة الدين الوثقى ثم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فقد تجاوزتم في الضلال أحوال الفترة وهجرتم معالم الدين ومؤلفات السادة الصوفية الذين هم أهل التحقيق وامناء الله على دينه وخلقه وملتم الى طريق الزيغ التي تركتكم تركنون الى اقوال اقوام سفهاء قاموا فيما بين الامم لا خجلين ولا خائفين يمشون في الارض مرحا ويصعرون للناس خدودهم يحاولون تحول أمة محمد صلى الله عليه وسلم عن دينهم الى أن لا دين لما علموه من سفهائكم من هجر مناسك الدين والجهل بآدابه وانا لنري زمرا من اوباش الناس وكثيرا من سفهاء طلبة العلم وبعض مجانين الشبان من علامذة المدارس يشهدون محافلهم التي يتطاولون فيها بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخوضون في آيات الله بغير علم ويدعون ان لهم دينا هو اكمل الاديان ولكنهم لا يعبرون عنه الا بتلاوة الانجيل والايمان بأن المسيح الذي صلب وقتل على زعمهم هو الاله ويزعمون ان من آمن بذلك دخل ملكوت الرتب فلو ان القوم الذين يسممون هذه التخاريف والاضاليل عقلاء لاتخذوا عن هؤلاء الضلال جانبا ولكرهوا النظر اليهم اذ كل ذي ذوق سليم وقلب متيقظ واحساس مدرك وتصور صحيح تمل اذنه سماع القبائح والفحش من القول وخرافات المحدثين كما تشمأز نفسه من رؤية الرمم ذوات الروائح الكريهة ولكن شبان امتنا الآن بل والغالب من شيوخها قد فقدوا المزايا الذوقية وألفوا الاقوال والاعمال الهمجية والخرافات الزيغية واعتادت اسماعهم وابصارهم التلذذ بكل مكروه من كل مسموع ومنظور لانهم غفلوا عن حكمة النهى الشرعي اذنهاهم الله عن النظر

الى المحرمات وأمرهم بالاعراض عن اللغو من القول وما كان ذلك النهي والامر الا رحمة بأهل الكمال لكيلا يتعودوا الميل الى نقائص القول والعمل فتقودهم الاهواء الى مصارع التهلكة من متابعة الطباع الخسيسة والاغراض الدنية فتتعاصى نفوسهم عن قبول النصائح كما عليه اهل هذا الزمن المشؤم الآن وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

• فيا أيها الاخوان تجنبوا محافل الزيغ ما استطعتم فقد سلب الله سبحانه وتعالى وصف الايمان عن كل من يحابي اهل الضلال ويتودد اليهم بقوله لنبيه وهو أصدق القائلين (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم) الى آخر الآية لأن القلوب لا تميل الا الى من ألفته ولا تألف الا ما بينها وبينه مناسبة روحية او جسمية فلو أن منكم المتحققين بحقيقة الايمان لردعوكم عن مخالطة السفهاء الذين يميلون بكم عن طريق الرسل الى سبل الفساد وما اكترثوا بسوء أحوالهم . ولا بخيبة مآلهم . وقد أشغلتهم الدنيا عما وراء الموت فأصبحوا كالانعام التي لا تدري العواقب . ولا تشعر بحلول المصائب . ولقد قست قلوبهم فما هي الا كالحجارة أو أشد قسوة وما ربك بظلام للعبيد

أيها الاخوان تالله انكم لتشاهدون برؤيا العين أن الدنيا تقبل اقبال الطالب . ولكنها تدبر على عجل ادبار الهارب . وانها لا تواصل من واصلته الا كوصال الملول . وبعد قليل تفارقه كما ترون مفارقة المبغض العجول . خيرها يسير . وشرها مسترسل وكثير . وعيشها وان طاب منغص وقصير . لذاتها ذاهبة فانية . وتبعات تلك اللذات بعد انقضاء الاوقات باقيه . فلا تغرنكم زخارفها التي هي ملحفة البلايا . ولا تفتننكم زينتها فانها مزبلة الرزايا . وتالله

ما عرفها الا العارفون . ولا تفطن لخدعتها الا المتبصرون . فلا يسبقنا يا قوم اليكم الشيطان . ولا تختطفنكم من أيدينا ونحن الحفظة الامناء عليكم هؤلاء الخوان

أيها الاخوان انكم لتعلمون ان الهادم في عمله هو أسرع من الباني وقد شاهدتم مباني هذا الدين القويم الذي فرغ مؤسسه من تأسيسها منذ الثلاثة عشر قرنا . وما استطاع هادم أن يهدم منه قاعدة ولا ركنا . وقد كان منهم العتاة والفحول فهل يليق بكم وأنتم أهله وذووه أن تعاونوا على هدمه أوباشا لا يعرفون كيف يبولون . ولا يفقهون ما به يتكلمون . وما جاؤكم الا بزخرف من القول لا يصغى اليه الا فاقد الذوق الذي لا عقل له ولا دين ولقد أجمع العقلاء من جميع الامم على ان لا كلام أفصح من القرآن ولا رشاد أوقع في النفوس مما جاء به من الهدي والبيان . فمن بدله بعد ما سمعه فانما هو شيطان مريد . ومن صد عن سبيله فما هو الا من اشرار العبيد . فان كنتم العقلاء فاستمعوا له وانصتو لعلكم ترحمون . وان كنتم السفهاء فما أنتم الا باعمالكم محاسبون . وهل ينخس من الدواب بين كتفيه الا الحمار . أو يرتد عن مناهج الاعتدال والاستقامة الا اللؤماء الاشرار

أيها الاخوان انكم لتعلمون علم اليقين أن الفضائل والرذائل طريقان متضادان وان لكل طريق أهل وبمقدار ما يعلم سالك أي طريق منهما من احوال الطريق التي سلكها وأحوال أهلها يكون جهله بالاخري وبأهلها وان هذا لهو الميزان الحق المعتدل . ولقد علمتم ما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكارم الاخلاق وكمال المزايا وما عرف منكم عارف للفضائل طريقا الا بمواصفتهم ونصائحهم وما من عاقل الا و يعلم علم

اليقين . أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما ترك فضيلة الا بينها وأوضح سبلها وامر باعتناقها ثم نهى عن ضدها فلو أن هؤلاء السفهاء سلكوا سبل الفضائل لعلموا فضل محمد صلى الله عليه وسلم وتبينوا قدره ولكنهم لما سلكوا طريق الرذائل وتجولوا في ميادينها وشعبها كان جهلهم بطريق الفضائل وبأهلها بمقدار ما علموا من الاخرى فلا يهولنكم ماهم عليه من الجهل والغرور فقد جعل الله لكل نبي عدوا من المجرمين . وان جهنم لمحيطة بالكافرين

ثم تغير حال ذلك الرجل لشدة الغضب وقال لقد قام هؤلاء السفهاء فيما بينكم يقولون ان القرآن المجيد الذى تتلونه ماهو الا قصص وانباء كتبها نبيكم صلى الله عليه وسلم من كتب موضوعة وانه تناول بعضها من مارية القبطية والبعض من الاناجيل المكذوبة المفتعلة ثم جاؤا يسردون كل قصة جاء بها القرآن و يأتون بمثلها من الانباء القديمة ثم يزعمون أن تلك الانباء ما هي الا خرافات كانت مسطرة في كتب المخرفين من أهل البدع الي آخر ما زعموا

وما خجلوا من هذه الاقوال وما فيها من التمويهات والتشنيعات فكانما يخاطبون انعاما لا عقول لهم ولو أنكم عقلاء أرباب قلوب نيرة وأولوا خبرة بالدين لتبصرتم في تلك التمويهات تبصر العقلاء ولعلمتم أن الكلام الذي وسع نطاقه من البلاغة والبيان ما به دونت تلك الكتب الدينية . وفصلت تلك الاحكام الشرعية . التي سري عليها العمل من ذلك العهد الى الآن في العبادات والمعاملات لا يكون منقولا عن مارية القبطية ولا يتصور عاقل أنه صدر عن خرافات المخرفين فان كان منكم المصاب في عقله بما أصيب به هؤلاء المجانين الضالون ووقع عنده هذا المقال موقع الصدق والاستحسان

فليقم على قدم وساق مطالبًا ملوك الاسلام بعزل كل قاض ومفتٍ وهدم المساجد وتمزيق الكتب الدينية . التي لا مصدر لها الا مارية القبطية . وأكاذيب المخرفين و يكون ذلك قد تفلسف وكان فيلسوفا كاملا لان من لم يوافق عله معتقده كان منافقا وزنديقا

وان كنتم من ذوي الاذواق وارباب العقول وكانت لكم قلوب تفقه ما يلقى اليها فتبصروا فيما يقولون . وتأملوا فيما يصنعون . تبصر العلماء . وتأمل العقلاء . ولا تكونوا كشبان التلامذة الذين اصبحوا لا دين لهم الا الفلسفة المنطيقية ولا هم لهم الا تحسين ملابسهم وكلماتهم لتعلموا أن الاعتراضات التي اقترحوها . والتمويهات التي القوها . والاقوال التي زخرفوها . ماهي الا ملاعب صبيان . ومشارب فتون وطغيان . والله لا يهدي القوم الظالمين

ولقد تقرر فيما سبق بيانه من العقبات التي سطرت في مبدأ هـذا الكتاب أن موافقة القرآن للانباء القديمة لا يكون برهانًا على تكذيبه لانه ماجاء الا بوقائع رسل مع اممهم وما كانت الوقائع الا مشهودة ثابتة بتواتر النقل في الكتب ولقد كانت متداولة بين الامم في الازمان القديمة ثم قال الله سبحانه وتعالى لنبيه (ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا) فلو ان فيهم من كان ذا علم بتلك الانباء لأقام البرهان على تكذيبه وكان اول مكذب له مارية القبطية ان مال الى غيرها من الازواج

ولو ان الانباء السالفة اوكلت لتكذيب المكذبين لما صح لرسول من الرسل نبأ ولا صدق سامع ناقلا ولكن الشهرة والتواتر هما برهان صدق كل نبأ ومتى ثبت صدق تلك الانباء القديمة لا يضر بصحة القرآن موافقتها كما سبق بيانه في العقبات الاول وليس لعاقل أن يصدق مكذبًا

نبأ من الانباء القديمة التي صادقتها الكتب الكثيرة وجاء القرآن موافقا لها سيما اذا كان ذلك المكذب من احدى الطائفتين الخاطئتين الخاسرتين وهل يصغي الى تضليل المضايين الا كل افاك أثيم

ثم قال لقد قال لكم أخي هـذا وأشار الى المتكلم قبله ان مشرب الفلاسفة ما هو الا تكذيب كل نبأ لا تصل الى الاحاطة به مداركهم الحسية وانكم لتعلمون أن كل ماجاء به الرسل من الآيات . ماهو الا خوارق عادات . وما جاؤا من شؤن الآخرة الا بأنباء غيبية لا تحيط بها عقول القوم الذين حال بين بصائرهم وبين الحقائق الدينية حائل الطيش والغرور وما كان لشقي حقت عليه كلمة العذاب أن يهدي نفسه الى معالم الايمان التي لا يهتدي اليها الا كل أواب منيب

اذاً فلا يسوغ لأي عاقل يحب أن يكون من الناجين . أن يتابع هؤلاء المكذبين ولا أن يصغى الى خزعبلاتهم ولا أن يأخذه العجب من اصرارهم على التكذيب لجميع الانباء فقد قال الله تعالى مشيرا الى من كان دأبه التكذيب (ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا)

وسأزيدكم بيانا ان كنتم تعقلون ولكني أحب أن يكون منكم المناقش فيما لا يقع في قلوبكم من البيان . موقع الاستحسان . ليتبين الرشد من الغي فأقول

جاء القرآن قائلا في نبأ أهـل الكهف قولا بليغاً عجز عن الاتيـان بمثله الجن والانس وجاء الله سبحانه وتعـالى في تلك السورة من الهدى والفرقان بما لا يستطيع الاحاطة برقائقه الا من جعل الله له نورا فأصبح

هؤلاء الضلال على جهلهم وظلمة قلوبهم يدعون انها خرافة تحاكي قصة القط والفار فهل من شاهد أقوم شهادة بالحماقة والجهل على انسان وقد خاطبته بأحسن خطاب من حاله اذاً لم يفقه معنى ما خاطبته به ولم يذق لمزاياه طعما فما على العاقل النبيه الا أن يستحضر جميع الكتب السماوية ويقارنها بتلك السورة حتي اذا لم يجد لها مقارنا في المزايا الارشادية والبلاغات المنطقية . والمعاني الذوقية . اذاً يقول للذين زعموها خرافة انكم لحمر مستنفرة

وانه لمن العجب العجاب انكار هؤلاء الضلال وقوع تلك الواقعة بلا دليل ولا برهان فهل منهم من عمر من عهد آدم حتي الآن وكانت الدنيا كلها بين يديه لا يعزب عن علمه منها مثقال ذرة حتى كنا نقول ان له الحق في تكذيب نبأ مارأى بعينه له واقعة ام منهم من هو رسول من عند الله ثابت النبوة جاء مكذبا لما لم يكن من عند الله أو صرح عيسي عليه السلام في الانجيل بأن نبأ أهل الكهف مكذوب كلا والله ما كان هذا ولا ذاك ولكنها ضلالة قوم ظلموا أنفسهم واصروا على الكفر عنادا واستكبارا لفقدهم مزايا العقل والآداب الكمالية فصدق عليهم قول القائل

ما العقل الا زينة   سبحان من أخلاك منه
قسمت على الناس العقـــول   وكان أمرا غبت عنه

فقام احد القوم مناقشا لا عن جحود وانكار ولكن ليفتتح للمتكلم أبواب البيان والايضاح حتى لا يبقى في نفوس السامعين ما يشتهي من القول المفيد فقال

ان القوم ما قدموا على تكذيب تلك الانباء التي اطلعوا عليها في الكتب التي عددوها في مؤلفهم هذا الا لانهم من ذوي الاطلاع العالمين بجميع أنباء الامم كما تشهد لهم بذلك أقوالهم التي طالعناها فانها أقوال قوم مطلعين ولو أنهم رأوا في كتب التواريخ ما يؤيد صحتها لما أنكروها اذاً فلا برهان لهم الا سعة الاطلاع والخبرة وان في ذلك لغنية عن كل دليل وبرهان

فقال ذلك الرجل لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقلب كفيه متعجبا وترنم بقول القائل

كل من في الوجود يطلب صيدا   غير ان الشباك مختلفات

ثم قال ياهذا أما فهمت مما سبق من القول آنفاً أن للناس مشارب وقد علم كل أناس مشربهم وان كل سالك طريق يكون جهله بغيرها بمقدار علمه بها فلو أن أهل الدنيا وصلهم من نبأ الآخرة شيء لازدروه وانكروه ومقتوه . كما ان اهل الآخرة كذلك الا ما يكون مصلحا لآخرتهم وهلا تبينت من تكذيب هؤلاء القوم القرآن الذي هو اقوم قيلا وافصح كلام سمعه السامعون من عهد آدم الى الآن ماهم عليه من الفتون والهوس افلا تدلك كثرة اطلاعهم ومطالعتهم في الكتب التاريخية على ضياع اعمارهم وعقولهم أو ليس في شؤن الانسان الوقتية . وفي الحوادث الحالية . مايكفي المعتبر في كل زمن ويغنيه عن مطالعة حوادث الازمان الآخر ان كان المراد بالاطلاع هو التبصر والتذكار فهلا تحققت من تفنن الفنون . في الجنون بكل مجنون . من هؤلاء الضلال انهم قوم مفتونون لاعقول لهم اما علمت ان هذا المصرع الوخيم هو الذي زلت فيه اقدام أهل

الزيغ والزندقة في كل زمن لتفرق سبل الاطلاع بهم الى الغايات النفسانية وهل يجد الباحثون عن أصل فساد العقائد لذلك من سبب الا زخرفة اقوال المؤرخين . من فلاسفة المتقدمين . لان قاصر الذهن قليل الزكاء كلما اطلع قولا مزخرفا وقع في قلبه موقع الصدق والعجب لظنه ان القوم الذين سطروا تلك السطور ما كانوا الا علماء أمناء وأهل ارشاد وبيان وما تفطن الى أن في كل أمة من الامم قوما مذبذبين قد نصبوا لايقاع القلوب في مهالك الزيغ شراك السفسطة والاضاليل المزخرفة التى لا يستلذ سماعها أو مطالعتها الا ارباب القلوب المظلمة الذين لا يلتفتون الى سواها ولو انهم تحولوا عنها الى اقوال المهتدين لما ضلوا ألا ترى يا هذا ما عليه شبان هذا الزمن الذين أزاغ الله قلوبهم وراء الفلاسفة منهم اذ هجروا كل كتاب ديني . وكل مؤلف صوفي . يرشد الى الهدى وسبل النجاة واعتنقوا خزعبلات أهل الزيغ ليكون لهم الحظ الاوفر في تحسين الاقوال . وتزيين الاحوال . التي حكم الشرع بأنها اسوأ حال تورد صاحبها النار وبئس الورد المورود

ثم قال يا هذا أرأيت ان جاءك رجلان مختصمان في نبأ من الانباء التى مضت على وقائعها الدهور . أحدهما يدعي صدق ذلك النبأ والآخر يدعي أنه مكذوب وما وجد احدهما شاهدا يشهد له برؤية واقعة ذلك النبأ وقال مدعى الصدق ان برهانى على صحة دعواى هو تصديق الخيار من سالفي الامم لذلك النبأ

وقال مدعي الكذب ان برهاني على أنه مكذوب اني رأيته مسطرا في بعض كتب خرافية فماذا يكون فصل الخطاب في هذا الشأن واي حكم تراه صوابا ان كنت أنت الحكم بين هذين المتخاصمين

فقال المناقش ان الحكم بينهما لا يجد مستندا يستند اليه في حكمه الا المطالبة باقامة البراهين . على سلامة أحوال الناقلين . لذلك النبأ ومتى كان متداولا عن قوم صادقين لا يزري به وجوده في كتب لا يعتدبها

فقال الرجل المناقش ومن أي طريق تكون معرفة احوال الناقلين مع تقادم الزمن ومضي الالوف من السنين . فقال من طريق الشهرة والتواتر . فقال الخطيب هذه هي ضالتنا التي نشدناها . وفي حكمك أيها الحكم العدل وجدناها . فما في الكون من شهرة وتواتر جاء بهما النقل الصحيح المؤيد بجنود البحث والتدقيق أقوى شهرة من القرآن واصدق من تواتره ثم قال يا هذا ان استشهاد هؤلاء الضلال على تكذيب القرآن بقصة اهل الكهف وتسميتها خرافة لمن عمل المهابيل الذين لا يتحاشون قبيحا من الاعمال تدعوهم اليه أهواؤهم وان العاقل اذا تتبع ما جاؤا به في هذا المؤلف من تكذيب كل الانباء لا يجد لهم مثلا الا حال لفخور كاذب كلما ذكر له نبأ كريم من ذوي الوجاهة والجاه عابه بما ليس فيه من العيب وزعم أنه ليس بمعدود في أعداد الافاضل من الرجال حتى عاب كثيرا من الكرام وما زكي منهم من احد ولما سئل عن الخيار كيف يكونون قال ليس من أفاضل الناس الا أنا وأضرابي . وهنالك انقسم الحاضرون الى قسمين فمنهم العقلاء ومنهم الاغبياء فاما العقلاء فقد أضحكهم حال هذا المحروم الاخرق وسخروا منه وتركوه يلهث كما يلهث الكلب المكلوب واما الاغبياء فعظم ذلك المفتون في أعينهم وظنوه رجلا لجهلهم بمزايا الرجال كما جهل شبان هذا الزمن مزايا محمد صلى الله عليه وسلم فظنوا ان لهؤلاء الضلال كلاما معقولا والله لا يهدي كيد الخائنين

ثم قال أيها المناقش لقد عاش محمد صلي الله عليه وسلم بين قومه زمناً طويلا طفلا وصبيا . وفتى ونبيا . الى أن فارق الدنيا . والتحق بالرفيق الاعلى وما نقلت عنه كذبة واحدة وهذه هي أحاديثه قد اجتهدت امته من بعده في جمعها وضبطها بغاية الدقة والتحقيق كما تشهد بذلك كتب الاحاديث وصحف التواريخ ولو أن له من هذا القبيل واحدة من الكلام لأتي بها هؤلاء الضلال . وما زعموا انه كان كاذبا الا في القرآن الذي علم قومه علم اليقين انه من عند الله ولو انهم علموه كذابا لما صدقوا قرآنه فهل لعاقل أن يتصور أن رجلا عاش صادقا معروفاً بالصدق والامانة يأتي قومه بخرافات كانوا يعلمونها ثم يسميها قرآنا و يدعي أنها سماوية ثم يصادقونه على ذلك ولا يهتدي الى تكذيبه الا قوم ضالون جنوا جنونا بعد ثلاثة عشر قرنا ان هذا لهو الضلال البعيد

اذاً فالذي يهتدي اليه الفكر السليم هو أن ما أورده هؤلاء الضلال في تكذيب قصة أهل الكهف قد جاء بفائدة معقولة ألا وهي انهم قد أوقفونا على حقائق كنا نجهلها من قبل منها ان الديانة المسيحية لم تظهر بمظهرها الذي ظهرت به الآن الا بعد موت المسيح بزمن قدروه بمقدار من السنين يبلغ عدده اربعماية وسبعة وأربعين سنة وقد كان ظهورها من قبل بمظهر آخر لانهم قالوا ان الناس قبل ذاك الزمن كانوا يرون الصليب علامة العار . والاحتقار والشنار . فعلمنا من ذلك ان أمة المسيح الحقيقيين ما كانوا يعتقدون الصلب لانه لو كان حقيقيا لكان الصليب أحق بالاحترام في مبدإ الدين عند انتشار الحواريين في الاقطار فمن كان ذا عقل وافر ونظر ثاقب يعلم علم اليقين ان أمر الصليب ما هو الا من

المخترعات الباطلة وان القرآن ما كذبه رجماً بالغيب وما جاء في أمره الا بالحق ومن الحقائق المستفادة أيضا أن الانجيل مبدل لدعواهم ان الاناجيل الصحيحة لم تأت بنبإ مما جاء به القرآن فاثبتوا بذلك ان الانجيل لا ينبغى التصديق به الآن لاننا لا نعلم اي الاناجيل أصدق وهذه الحقيقة هي التي طال البحث عنها والاختلاف فيها بين الامتين وكلما برهن المسلمون على حصول التغيير والتبديل فيه صادمهم المسيحيون بأضاليلهم كما شاهدناه في كتاب منار الحق وغيره من مدونات الاباطيل التي ابتدعوها الآن ومنها انهم اثبتوا ان اصل انتشار الديانة المسيحية بسرعة ما كان الا بسبب المخترعات البدعيه لانهم ذكروا أن الذي اختلق قصة اهل الكهف ما قصد بها الاضلال ولكنه قصد بها تعضيد الديانة المسيحية ليظهر للناس انها انتشرت انتشارا سريعا بنعمة روح القدس كما قالوا فما كان حالهم فيما جاؤا به الا كحال الاحمق الذي كلما وقع الذباب على وجهه لطم نفسه ليذود الذباب عن وجهه حتى صادف اللطم عينه ففقأها فانهم ما تعرضوا لتكذيب الانباء التي ذكروها الا ليتوهم ضعفاء الايمان وسخفاء العقول ان مصدر الدين الاسلامي خراف كما زعموا فما تلوثت الا أثوابهم بما حملوا من قذورات مرضى قلوبهم ألا سحقا للقوم الظالمين

ألا يخجل هؤلاء الضلال وتسود وجوههم من الاتيان بهذه التمويهات الباطلة أيسوغ لعاقل أن يكذب كتابا اجمعت امة عظمى على أنه من عند الله وضرب امام جليل بالسياط في دولة المأمون ليعترف بأنه مخلوق وسجن طويلا وما تزحزح عن الحق ولا تحول عن اجماع الامة . ولقد جاء هؤلاء المكذبون على صدق دعواهم ببرهان كاذب وهو قولهم انهم يعلمون

أن تلك الانباء مكذوبة وأن قصة أهل الكهف مذكورة في كتب اليونانيين ويزعمون ان ذكرها في تلك الكتب دليل على أنها من الخرافات التي تشابه قصة القط والفار أليس هذا القول من البراهين الدالة على ان هؤلاء الضلال لايميزون بين الحق والباطل ولا يعلمون ماهو البرهان لان تكذيبهم للكتب اليونانية محتاج الى براهين تؤيده وان لم توجد تلك البراهين كان باطلا وكانوا كأنهم يؤيدون الباطل بالباطل وهكذا يكون عمل المجانين الذين لايخافون لومة لائم

ثم قال قام هؤلاء الضلال ينكرون كل نبأ جاء به القرآن من أنباء عيسى عليه السلام ولكنهم لم يذكروا سببا حاملا لمحمد صلى الله عليه وسلم على نقل هذه الانباء وجعلها قرآنا فهل كان يدعو الناس لدين المسيح وقام يقوي اعتقادهم فيه بأنه اله او ابن اله حتى ذكر له معجزات لم تكن أم لاي سبب كان ذلك منه أليس لعاقل أن يقول ان هؤلاء الضلال لا عقل لهم اما علموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما نهض تلك النهضة في ذلك الزمن سواء قلنا انه رسول أم لا الا لتكذيب ما اعتقده المسيحيون في عيسى عليه السلام وما كان يدعو الناس الا الى الله وحده فما كان الحامل له على الكذب والتغالي في شأن عيسى اذا لم يكن جاء بتلك المعجزات الصحيحة

ولقد فتحوا للمسلمين أبوابا لمجادلتهم في ديانتهم لأنه يسوغ الآن للمسلمين أن يقولوا لقد كنا نصدق بنبوة المسيح وبراءة أمه لشهادة القرآن لها واذ كذبتم القرآن فما علينا الا أن نلزمكم باثبات امر المسيح فانا نرى اليهود لا يؤمنون به وقد كانوا قبلكم في الدين وشهدوا وقائعة كما لا نقركم على صحة انجيل من الاناجيل التي تدعونها فان كل الاناجيل أمثال وماجاز

على أحد المثلين يجوز على الآخر

فيا أيها العقلاء ما لكم لا تعقلون . و يا أيها الفقهاء ما لكم تفقهون و يا أيها العوام ما لكم لا تبولون . على هذه الاذقان التي طالت واستطالت وجاء أربابها يكذب بعضهم البعض فطورا يقولون ليس في الانجيل تغيير ولا تبديل وتارة يقولون الاناجيل كلها مكذوبة الا أربعة وطورا يزعمون أن عيسى اله قادر وآخر ينكرون أنه تكلم في المهد وأنه ما جاء أمه بالرطب من نخلة يابسة الى غير قليل مما أنكروه وما كان انكاره أو اثباته يحدث ضررا ولا منفعة في الدين الاسلامي لانا ستتكلم على صحة هذا الدين القويم وصدق الرسالة وثبوت نسبة القرآن الى الله بما يشفي الغليل . بعد استقصاء أقوال هؤلاء المضلين والله يقول الحق و يهدي السبيل

ثم قال لقد جاء القوم الفاسقون ينكرون كل نبأ غيبي من انباء القيامة وما كان ذلك منهم الا لانهم هم الكافرون وطالما نددوا على ما حكاه القرآن عن اصحاب مريم الذين قالوا لها (يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) وقالوا ان بين موسى و بين مريم ما يزيد عن الف وخمسمائة سنة أما علموا بأن المفسرين قد جاؤا في معنى هذه الآية بما يداوي القلوب التي أمرضها الانحراف عن سبيل الرشاد وطالما نادي المسلمون على هؤلاء الجهلاء بما يدافع أوهامهم وظنونهم التي توهموها في معاني آيات القرآن وكأنما ينادون جمادا لا يعقل او اصما لا يسمع او جهولا لا يفقه او مصرا لا يرتدع عن المخالفة وان اقرب عهد بذلك النداء لصاحب (كتاب الفاصل بين الحق والباطل) اذ قال لمجادلهم المدعو يحنا مقار ما نصه انك نسبت الينا اعتقاد ام المسيح اختا لهارون وموسى وما عندنا ريب في ان

ام المسيح انما هي ابنة عمران ابن ماثان ابن صادق ابن العازر الى ان وصل بنسبها الى ابراهيم عليه السلام

ثم قال واما مريم اخت موسى فهي ابنة عمران ابن فاهث ابن لاوي ابن يعقوب ابن اسحاق . وما كان قول القوم لها يا أخت هارون كما حكاه الله سبحانه وتعالى عنهم الا توبيخا كما قال المفسرون اما من طريق الاستهزاء والسخرية تشبيها لها بهارون النبي في صلاحه وعفته فكأنهم يقولون لها كنا نظنك كهارون فلماذا فعلت هذه الفعلة واما من طريق الشتم والسب بتشبيهها برجل شقي فاجر يسمى هارون معروفا بينهم بالاوصاف الذميمة فليعجب المتعجبون من كثرة تكرار التعريض بهذه الآية في كل ماجاء به هؤلاء الضلال من الكتب لاعابة القرآن مع ما سمعوه وعلموه المرار العديدة من تلك الردود ومما ذكره المفسرون

على انهم لو كانوا قوما عقلاء لما تعرضوا لهذا البحث الذي لا يتردد اليه بعد البيان الا أهل المكابرة والجدل . ولو انهم كانوا الا يظنون بالله ظن السوء لما استبعدوا على قدرة الله شيئاً اذ مقتضى الظن الحسن ان السامع لتلك الآية اذا لم يكن ممن يعلمون ان هناك عمران غير عمران موسى كان الواجب عليه ان يقول ان قدرة الله لصالحة لان تطيل عمر عمران أبي موسى وزوجته الى امد بعيد حتى تأتي بمريم في آخر عمرها ثم تعيش مريم عذراء حتى تأتي بالمسيح سيما وقد كان الغالب على القدماء طول المعيشة الى الف سنة فما فوق

فهل من جهل فوق جهل هؤلاء المجادلين الذين لا يعقلون ولا يحسنون الظنون بالله ولقد طال جدلهم بعد ما تبين لهم من هي مريم ومن ابوها

باقوال كثير من العارفين . وما كانوا خجلين ولا مستسلمين والله لا يهدي القوم الظالمين

وان من العجائب انهم ذكروا قاعدة يجب اتباعها في تصديق الانباء وتكذيبها ألا وهي انه يلزم البحث عن صفات كل ناقل لنبأ وعن خلاله وعن صحة حاله . وضبط اقواله . ثم شهدوا على اخوانهم المسيحيين الذين كانوا اقرب عهد منهم بالمسيح انهم كانوا مخرفين ومبتدعين وانهم افتروا اناجيل كاذبة كانت دعائمها اعتقادات فاسدة وبدعا خرافية . وكفى بهذه الشهادة دليلا على بطلان دينهم الآن . لاننا لو جئنا نقابل بين الامتين أعني امة المسيح عليه السلام وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لوجدنا امة المسيح بأجمعها لا تعادل في الامانة وصحة النقل رجلا واحدا مثل الامام البخاري الذي سافر شهورا لنقل حديث نبوي عن رجل اشتهر أنه ذو المام بذلك الحديث فلما وافاه وجده يحمل فولا يحركه بيده ليسمع حماره المنطلق حركة القول فيأتيه ليأكل فيتمكن من القبض عليه فرجع من طريقه قائلا انه لمتحايل لا يسوغ لناقل ان يثق به فهل من عاقل له أدنى احساس يميز به بين الغث والسمين فيتأمل حال هؤلاء الضلال الذين عابوا محمدا صلى الله عليه وسلم وعابوا دينه وعابوا كل كتاب وردت فيه انباء توافق انباء القرآن . من مبدا الدنيا الى الآن . وجاؤا مكذبين لكل نبأ وكلما اوردوا نبأ قالوا انه عن قوم مخرفين مبتدعين فليت شعري ما حال هؤلاء القوم وما خصالهم وما مزاياهم في النوع الانساني اظن ان كل عاقل لا يجد في نفسه ريبا من انهم اشر الناس حالا ومآلا بمقتضى القاعدة التي ذكروها لاننا ان تتبعنا سيرة محمد صلى الله عليه وسلم لما وجدنا له في حسن اخلاقه

معادلا في الوجود وقد عابوه اذاً فما عابوا من الامم السابقة من المؤرخين
في مؤلفهم الا قوما صالحين

وما كان لنا ان نثق بأى نبأ من انبائهم سواء كانت من التوراة او الانجيل أو غيرهما لسابق شهادتهم على اسلافهم وشهادة الله سبحانه وتعالى على اهل الكتاب وشهادة موسى عليه السلام عليهم

وما كان لنا أن نسيء الظن بالمؤرخين ولا بأنبائهم الا اذا تحققنا انهم فلاسفة مضلون ممن يتصنعون الاقوال . لافساد الاحوال . لظنهم انهم لايحاسبون عليها وانكارهم حقيقة قوله تعالى (مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) ولقد اقتفى هؤلاء الضلال آثار اسلافهم وسنة امثالهم وقد كان من تلبيسهم الحق بالباطل انهم يستشهدون بالقرآن على صحة حال المسيح من طريق ثم يكذبونه من طريق آخر (فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون)

ومن العجب انهم ذكروا أن نبأ مريم مع النخلة ورد في كتب كثيرة غير القرآن وما اعتبروها صادقة مع كثرتها وشهرتها فكيف اذا يسوغ لهم أن يلزمونا بتصديق قليل اقوال متصنعة لاشهرة لها جاؤا بها شاهدا على التكذيب أليس هذا جهلا مهلكا وجدلا باطلا ومحض تحامل لا يعتد به ان هذا لهو الضلال البعيد

ثم كان من اقوالهم التى استدلوا بها على تكذيب تلك الكتب وتكذيب القرآن ان يوحنا في اصحاح ٢ وآية ١١ قال ان المسيح لم يأت بمعجزة في طفوليته ولم يأت بمعجزة الا بعد ان بلغ من العمر ثلاثين سنة الى آخر ماقالوه وهذا القول وان كان صادرا عن جهل من هؤلاء القوم

يقول يوحنا لأن مراده بالمعجزة كل عمل جاء مثبتا لرسالته فكان آية من الله لتأييده ونصرته فلذلك لم يعتبر ماكان منه قبل التبشير والانذار وتبليغ دعوة الله معجزة . ولكنه نفى نسبة الالوهية اليه وكذبهم ايضا في دعواهم أنه كان ذاتا قديمة قبل حلوله في بطن مريم فليتأمل المتأملون في جهل هؤلاء الانعام التى كلما جئتها بما يحفظ عليها الحياة نطحتك بلا قرون (ان هم الا كالانعام بل هم أضل)

ولقد زعم القوم أن نفي الصلب عن المسيح لا موضع له من الصدق واستشهدوا بأن الحواريين كانوا شهودا عند الصلب وانهم في ذلك القول لكاذبون لأن الانجيل يقول انه ماشهده عند الصلب الا امرأتان وتلميذ واحد كان يحبه وما كان ذلك التلميذ من الرسل الذين زعموا أنهم تنبأوا بصلبه من قبل فلم نعلم من الصادق في أنبائه منهما فان كان الانجيل صادقا فقد كذبوه كعاداتهم وبتكذيبه يكونون كفارا ولا ندري بأي حال من الاحوال يقتنع المكذب اذا كنا قد علمنا علم اليقين أن المسيح جاء اليهود بآيات بينات وما صدقوه وموسى جاء بما جاء به وكذبوه فكأنما لم يوجد الله بني اسرائيل الا لكفران نعمه وتكذيب رسله والله لايهدى القوم الظالمين وكأنهم هم الذين عناهم بقوله لابراهيم عليه السلام (لاينال عهدي الظالمين) حينما قال (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) وعلى هذا يكون كل مكذب مصر على تكذيبه لأي نبأ من الانباء اسرائيلي الاصل ولذلك كان من الحكمة حديث تخيروا لنطفكم فان العرق دساس

وأما انكار هؤلاء السفهاء تبشير الانجيل بنبوة محمد صلى الله عليه

وسلم وتحويلهم لفظ البار قليط أو الفار قليط الى معنى غير مدلوله الحقيقي وقولهم ان العرب ربما غلطوا وتشابه هذا اللفظ عليهم الى آخر ما زعموا فما ذلك الا من باب المغالطة والمكابرة في الجدل وانه لهو التحريف الذي أشار اليه الحق سبحانه وتعالى بقوله (يحرفون الكلم عن مواضعه) ولكن كل ذي ذوق سليم يفهم مواقع الخطاب لا يلتبس عليه الامر بتمويهات هؤلاء الضلال اذ لو لم يكن ذلك القول صادقا لما نزل به القرآن على أمة كان الكثير منهم مسيحيين ويهودا ولئن كان القرآن مفتري لخجل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك القول الذي افتراه على كتابين واهلهما شهود يسمعون وما كان اصرارهم على الانكار الا كانكار عبدة الاوثان الوهية الحق سبحانه وتعالى وعبدة الفيل مثلا مع وضوح آياته وبراهين ألوهيته وكانكار اليهود نبوة المسيح وكانكار الفلاسفة كرامات الاولياء وما قصد هؤلاء الضلال بذلك الجحود الا تكذيب الكتاب وتكذيب الذي أنزل عليه ولو أن القرآن لم يأت بذلك لما أنكروه بل كانوا يعترفون به اعترافا كاعتراف اليهود بالمسيح المبشر به في التوراة ولكنهم يقولون انه ليس هو هذا بل هو مسيح لم يأت زمنه وكذلك كان قول المسيحيين لو لم يأت القرآن بما قال وما ذلك الا لانهم قوم لا يعقلون اذ التبشير بالانبياء قبل ظهورهم لم يكن شرطا في صدق النبوة ولا في صحة التنزيل حتى يلجئهم العناد الى جحود الواضح البين (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)

ثم انه من الجهل المهلك انكارهم موت المسيح بعد نزوله في آخر الزمن لزعمهم أنه اله لا يموت وما مات عند الصلب الا جسده البشري وهذا هو الخراف الذي حاكي حديث أم عمرو اذ قال لها الشاعر (حديث

خرافة يا أم عمرو) لانهم لو أصروا على أن المسيح كان الٓها ونزل لاجل أن يصلب ويخلص عباده من الخطيئة نقول لهم ما سبب نزوله مرة أخرى وبأي حال ينزل اذا كان جسده الذي نشأ فيه النشأة الاولى قد فني كما تفني الاجساد فان قالوا ينزل بجسد بشري غير الجسد الاول نقول لابد له من الفناء بعد نزوله وكذلك ان كان الجسد الاول هو الذي صعد به الى السماء لان كل جسد بشري لابد من فنائه وان طال أمده اذ النشأة الآخرة لا تسع الاجرام الاولى الا بعد تبديلها بالفناء واعادتها نشأة توافق الشؤون التي تكون عليها بعد الاعادة . وان قالوا انه كان جسدا لا كالاجساد نقول لماذا تحكمون بأنه مات بالصلب والقتل وتخالفون القرآن الحكيم وان احتجوا بما نقلوه عن رؤيا يوحنا من قول المسيح في الاصحاح الاول آية ١٧ ١٨ (انا هو الاول والآخر والحي وكنت ميتا وها أنا حي الى أبد الآبدين ولي مفاتيح الهاوية والموت) كما زعموا نقول انكم اذا لفي ضلال مبين . لان سياق هذا القول يقضي بأنها رؤيا شيطانية خرافية لا ينبغي أن يعارض كتاب حكيم منزل بمثلها اذ قوله أنا الاول والآخر ينافي انه ابن مريم وانه يموت بالصلب وان قلتم انه كان ذاتا قديمة نطالبكم بالبرهان العقلي فلا تجدون له سبيلا وان قلتم انه هو الآخر لانه سيعود كرة أخرى نقول لقد أحيي به الله أمواتا وأماتهم بعد ما أحياهم اذا فليس عوده وموته بعد العود ببعيد ولا يخفى أن قوله كنت ميتا وها انا حي الى أبد الآبدين دليل على أنه ليس باله وليس بقاؤه في الأبد الا كباقي الارواح الباقية اذ لا فناء في القيامة ولا فيما بعدها وأما قوله ولي مفاتيح الهاوية والموت فهو قول عجيب لانا نعلم أنه بعث رحمة فلماذا لم يكن له مفاتيح الجنة

وهل للموت مفاتيح . أو المعنى أن الموت بيده لا بيد عزرائيل اذاً يقال فمن الذى اماته وقد كان يحيي الموتى ولله در القائل

عجبا لعيسى كيف مات وطالما ... قد كان ينشرنا من الاجداث
ماذاك الا كي يكون مبرأ ... مما رمته به يد الاحداث

يريد أن موته حجة له على قومه الذين زعموه الهاً فبرأه الله بالموت مما قالوا ليعلموا ان الذي كان يحيي ويميت هو الحي الذي لا يموت ولقائل ان يقول ولمن تكون الهاوية وقد صلب نفسه لتخليص النوع الانساني اذاً فلا هاوية (كلا) ان القوم لفي شك مريب وما ذلك الا لجهلهم بعظمة الالوهية وانا والله لو قارنا بين عباد الوثن والفيلة وغيرهم من الفرق الضالة وبين المسيحيين لوجدنا المسيحيين اجهل جميع الفرق الهالكة بمرتبة الالوهية لان جميع الفرق انكروا وجود الاله فكانوا كالاعمى الذي لا يبصر شيأ فليس لاحد أن يقول له تعالى حتى أريك هذا الشيء مع علمه بأنه فاقد البصر واما المسيحيون فهم المبصرون ولكنهم كالمتعاطي شيئاً من الحشيش اذ يختلف تصوره باختلاف مقادير ما تعاطاه من المخدرات فتارة يرى الجمل جديا وتارة يرى الجدي جملا وذلك هو الجهل المهلك فلو انهم كانوا عميا لكان خيرا لهم من الخزي والخجل يوم القيامة اذا جمعهم الله سبحانه وتعالى ثم أتى بذلك النبي الكريم شهيدا عليهم وقال اأنت قلت لهؤلاء القوم اتخذوني الهاً فيتبرأ اذ ذاك منهم ويقال للزبانية سوقوا المجرمين الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها قال لهم خزنتها ادخلوها خزايا فبئس مثوى المبشرين . ومن تبعوهم من الجهلاء الضالين وان من الهزي الذي يحاكي هزي المرضى لقولهم ان قوله تعالى (كل

نفس ذائقة الموت) مبني على قصة أخنوخ وايليا وأما موت المسيح بعد رجوعه فمنشؤه جهل أصحاب البدع الى آخر ما جاؤا به من الهزي

ولقد أصبح حال هؤلاء الضلال في هذا الهزي والهجس كحال مجنونة أو عجوز مخرفة ردت الى ارذل العمر فأضحت لا تعلم بعد العلم شيئاً لانه من المعلوم الضروري أن كل ما سوى الله لا بد من موته فما معنى لتعليق الآية الشريفة على قصة أخنوخ وايليا وما معنى تعليق الآيات القرآنية التي تنزلت من حكيم خبير يعلم ما في السموات وما في الارض على أنباء المتقدمين فهل اذا جاء عاقل بنبأ صادق ببيان واضح ثم فصله تفصيلا لانه أبصره ووعاه ينبغي لمن سمع بذلك النبأ من قوم ظن انهم من الكاذبين أن يقول له انك كاذب لأني سمعته من فلان الكاذب كلا ان الظالمين لفي ضلال مبين وويل ثم ويل لمن لا يخاف ولا يستحي

ومن هذا القبيل انكارهم قصة خلق آدم كأنهم كانوا شهداء اذ خلقه الله وقد زعموا أن منشأها أقوال مرقيون وزعموا انه يوناني من أصحاب البدع فكأن كل مؤرخ عندهم مبتدع ولقد أصبحوا وما لهم من شبيه فيما يقولون الا الفساق الذين يظنون كل ذات زينة باغية خاطئة ولقد جاؤا في هذا المؤلف من فحش القول والغيبة وتجريح الاعراض بما لم يسبقهم به شيطان مريد ولا سفيه من السفهاء . ولا اي معتد من أهل البغي والعدوان وسيوفيهم الله من الخزي والخذلان في الدنيا ومن العذاب في النار نصيبهم غير منقوص

وذلك لان كل جريء يتجارى على انكار ما لم يحط به علما لا جزاء له الا الخزي والخذلان والعذاب المهين . وانه لمن القواعد الثابتة عند العقلاء أنه

لا يجوز انكار امر مغيب الا اذا عارضه قول من الاقوال الثابتة الصحيحة وما جاء هؤلاء الضلال من أقوال المسيح ولا من كلمات الكتب السماوية بما يعارض الاحاديث التي اوردوها أو ينافيها بل جاؤا بما يؤيد صحتها لأن الاقوال التي أتوا بها لمشابهتها للقرآن لم تكن كما زعموا خرافية ولكنها أقوال منقولة عن انباء نبوية اذ من المعلوم أن الانبياء والرسل ما خلت منهم الارض الا بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم وماجاء منهم من رسول ولا نبي في قصة خلق آدم بما يكذب هذه الاحاديث التي أوردها هؤلاء الضلال وما زعم زاعم أن الله خلق آدم من مادة غير أديم الارض فما هي الوجهة لهؤلاء المنكرين في انكارهم مع أن ارباب العقول النيرة لا يعقلون سبباً لاختلاف أخلاق افراد هـذا النوع البشري غير اختلاف مواد وجوده الارضية التي أشار الله سبحانه وتعالى اليها بقوله (والله أنبتكم من الارض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا) وقوله (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) فلو أن خلق هذا النوع كان من قطعة واحدة من الارض لعينها الله سبحانه وتعالى وخصها بالذكر في تنزيله وكان متحد القوابل اذا فلا وجهة لمنكر ما لا يعلم على من يعلم أو على من ادعى انه يعلم الا اذا أصبح ذلك المنكر على بينة من العلم فوق ذلك المدعي . وماجاءنا من رسول بعد محمد صلى الله عليه وسلم يكذبه فيما جاء به مما يماثل تلك الانباء فلا يكون تكذيبه الآن والانكار عليه من هؤلاء المنكرين الا ضرباً من ضروب الطغيان والسماجة ولا يكون الاحتجاج على تكذيبه بموافقة أقواله اقوال المتقدمين وان كانوا مبتدعين الا من قبيل السفسطة والزندقة الجدلية فلو أنهم كانوا عقلاء لاتبعوا قوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا)

ولو أنهم عقلوا حكمة تسلط عزرائيل على الارض دون غيره من الملائكة لما ضلوا عن سبيل التصديق واتبعوا مناهج الجحود والانكار فما كان الذي كان من الملائكة قبله الا كما كان في عرض الامانة التي اشار الله اليها بقوله (انا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) يشير سبحانه وتعالى الى انه لم يوجد من له قابلية واستعداد لحمل الامانة غير الانسان وكذلك لم يكن في الملائكة من له قابلية للتسلط على النوع البشري غير عزرائيل كما انه لم يكن في الناس من له استعداد وقابلية لانكار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم والاقدام على هذه القبائح المهلكة غير القاسية قلوبهم ذوي الغلظة والفظاظة الذين طبع الله على قلوبهم وأولئك هم وقود النار

واما كلام هؤلاء الضلال على الانباء الغيبية التي ستكون بعد الموت فما هو الا اقوال مستهجنة ما صدرت الا عن قرائح لم يكن لها في طريق الجد مجال لان كل ذي عقل سليم يعلم علم اليقين انه ما من رسول ولا نبي الا وقام يحذر قومه أهوال القيامة وكل يقول ان يوم القيامة هو يوم الادانة ويوم البعث والنشور ويوم الحساب ويوم العقاب ويوم الفزع الاكبر . ولقد اجمع الرسل وجميع العقلاء على ان الله سبحانه وتعالى جعل الدنيا مثالا للآخرة بمعنى ان حال اهلها كحال النائم الذي يشاهد كل ما رآه في رؤياه بعد اليقظة وكما انه لا مناسبة بين الحالين الا في ادراك الحس المعنوي فكذلك يكون الامر هنالك بمعنى انه كما ان طريق الشرع التي هي الدين ذات ضيق واعتدال قيم لا يميل لغيرها الا الاشقياء الاشرار وانها لهي الصراط المستقيم ونهايته الكمال والوقار ورضوان القلوب . فكذلك يجعل الله في

القيامة صراطا على متن جهنم لا يسلكه بأمان واطمئنان الا من كان مستقيما في الدنيا واما الذي كان معوجا فتكون عثراته بمقدار اعوجاجه . وكذلك الموازين فقد جعل الله سبحانه وتعالى ميزانا شرعيا يتميز فيه حال اهل الثبات واليقين من احوال اهل الطيش والغرور ألا وهو الآداب الكمالية فكذلك الموازين يوم القيامة وكما ان الراجح لا يتميز من الطائش في الدنيا الا بثقل احدي كفتي الميزان وطيش الاخري فهكذا يكون الوزن يوم القيامة غير انها تختلف في الحقائق لاختلاف النشأتين وكان الله على كل شيء مقتدرا

وليس التصديق والتكذيب في أنباء الآخرة معلقا على مطابقة المعقول للمنقول حتى يقال ان انباء القرآن ما كانت الا تابعة لخرافات المخرفين التي لا يتصورها العقل كما زعموا . كلا . ولكن صحة التصديق لتلك الانباء تابعة لصحة صدق الرسالة ليس الا لانها أنباء غيبة لا يؤمن عليها الا من ثبتت أمانته وكان موثوقا به في جميع اقواله وأعماله ولقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم يدعي الرسالة بين قومه كما ادعاها عيسى وموسي والنبيون من قبله وصدقوه وصدقه من بعدهم المتابعون فلو اننا فتحنا على النبوة أبواب الجدل الآن على النبيين لما كان لاسحاق عليه السلام اليوم من قدم ثابت في طريقها . وكذلك يعقوب وكثير من الرسل الذين لم تكن لهم امم موجودة الى الآن ولكان محمد صلى الله عليه وسلم هو أثبت الرسل قدما في طريق الاثبات العقلي والنقلي ومن انكر رسالته فقد انكر كل رسالة لكل رسول ومتي صح انه لا قدرة لمنكر على اقامة برهان على تكذيبه الا من طريق المكابرة والمغالطة فلا يكون الشك في صدق أنبائه الغيبية الا مرضا مهلكا

وزيغا أوجده استعداد المنكر الشقي الذي طبع الله على قلبه وختم على سمعه وبصره وما كان لعاقل أن يتصور في حال من كان هذا حاله غير الجنون وما كان لنا أن نواجههم الا بما امر الله به نبيه في قوله (قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور)

وأما قولهم ان الآيات الواردة في القرآن الحكيم في شأن الميزان مأخوذة من كتاب يقال له عهد ابراهيم وانه منسوب لاهل البدع وأنه موضوع الى آخر ما زعموا فما هو الا قول قوم باغين يضاهون به أقوال الفلاسفة الذين ينكرون البعث والنشور وانهم والله لكاذبون

وان المطالع البصير ليعلم علم اليقين من مطالعة أقوال هؤلاء الضلال أن مسابقتهم بذكر أسماء الكتب التي وردت فيها أنباء الآخرة من كتب المتقدمين ما هي الا دفعا لما توهموه من أنهم لو انكروا أنباء القرآن لقام من المسلمين من يقول لهم ان الكتب القديمة مشحونة بكل ما تكذبونه فلا يجدون اذ ذاك مخلصا فتسارعوا الى تكذيبها ودعوي أنها مخترعة مبتدعة وما هي الا أقوال رسل كرام وأنبياء صادقين فما كان مثلهم في تلك المسارعة الا كمثل جريم زنديق اتهم في تهمة صادقة قد شهد واقعتها شهود عدول فخاف صولة القضاء وقبول شهادتهم فقام يختصمهم قبل التقاضي وما الباطل ليغني من الحق شيئا ولكن أهل الافك في ضلال مبين

وما كان لعاقل ان يصغي لسفيه مضلال كلما ألقي اليه قول قال انه مكذوب رجما بالغيب فلو أننا طالبنا هؤلاء السفهاء ببرهان التكذيب لما وجدوا سبيلا الا ما هم عليه من السفسطة والزندقة والمكابرة من قولهم ان المتقدمين كانوا مبتدعين وان العاقل ليقول لمن كان هذا قوله اننا لو فرضنا

أن كل ارباب الكتب كانوا مبتدعين فهل يستحيل على مبتدع أن يأتي
بأقوال صادقة فيما ابتدعه ليقوم بها اعوجاج ما ابتدعه في اعين المطالعين
اذ لا حجر على أي مبتدع في أن يخلط الصادق من اقوال بالمكذوب فيما ابتدعه
ومتى كان الامر كذلك لا يكون لسفيه أن يكذب صادقاً في أنبائه لموافقة
المبتدع لها في بعض ما جاء به ان كان المبتدع متأخرا أو موافقاته ان كان
المبتدع هو المتقدم لانا قررنا من قبل أن الانبياء هم مصادر تلك الانباء الغيبية
فيكون منكرها على محمد صلى الله عليه وسلم بين أمرين اما أن يكون جاحدا
لجميع الانباء الاخروية فيكون من الكافرين وقد فرغ ربنا من تحذيرهم
وتبشيرهم من عهد ما قفلت أبواب الرسالة والنبوة وقال لنبيه (ذرهم يخوضوا
ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) يوم يقال لهم ما حكاه بقوله
(هذه جهنم التي كنتم بها تكذبون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) واما ان
يكون عالما بصدق أنباء الآخرة مؤمنا بها غير أنه من المكذبين لرسالة محمد
صلى الله عليه وسلم فلا نلزم اذا باكراهه على التصديق لان الاعشى لا يجبر
على معاناة الضوء الشديد وكذلك مريض القلب لا يقوي على تحمل قوة اليقين
الثابت الذي لا يقوي عليه الا قلوب الاتقياء الذين ادركتهم العناية . وأمدهم
الله بانوار التوفيق والهداية

وهل من الادب أن يواجه القرآن الذي هو وجهة كل مهتد ودليل كل
حائر الى سبل الرشاد بمثل ما واجهه به هؤلاء السفهاء من المواجهة الوحشية
اذ من الادب أن يقف المؤلف الذي أراد أن يلبس الحق بالباطل عند
حدود الجدل المعلومة عند أهلها التي منها اقناع الخصم باثبات الدعوى
بالبراهين القاطعة قبل الحكم . وهؤلاء القوم قد حكموا بأن القرآن كاذب

الانباء من قبل أن يثبتوا أنه من عند غير الله . وهذا هو القرآن ومن جاء
به والذين آمنوا معه كلهم يقولون هو من عند الله فعلى المكذب الآن الذي
يدعي أنه من عند غير الله أن يأتي بالبراهين التي تؤيد دعواه لا من
طريق تكذيب الانباء ولكن من طريق أخرى يعتبرها العقلاء من الطرق
المعتدلة كأن يأتي بنبأ من طريق الرسالة التي كانت قبل القرآن يكذبه
لأن عيسى عليه السلام كثيرا ما تكلم عن أشياء تكون في امته وقد كانت
وكذلك موسى ولقد جاء بعدهم محمد صلى الله عليه وسلم بما لم يأتيا به لا علماً
ولا عملاً ولا آدابا وان نبأه والله لعظيم كما هو معلوم فكان الاولى للرسل
أن يحذروا أممهم من اتباعه ان كان كاذبا بأن يذكروا لهم اسمه ووصفه
وشأنه الذي جاء به ثم يقولون ان ادركتم هذا فلا تتبعوه لان هذا هو الشأن
الذي يعتد به ويستحق ان يحذر كل نبي امته منه ان كان مكذوبا او يبشر به
ان كان صادقا . ولقد جئناهم بأدلة التبشير فأصروا على انكارها . فما لنا
ان نصغي لاقوالهم مع ما هم عليه من المكابرة والاصرار الا اذا جاؤنا بآيات
بينات من التوارة والانجيل مصرحات بذكر محمد صلى الله عليه وسلم وذكر
القرآن ودالات على انهما كاذبان

والا فتكذيب الانباء مع صدق الرسالة لا يكون الا من فاقد التمييز
وفاسد التصور واما تعريضهم بما وقع في زمن المأمون بالقول المجمل الذي
جاؤا به من قبيل التمويه فليس من الجدل في شيء لان المأمون وان كان
قد تفلسف واطغاه الزكاء وحدة الذهن لانه ابن امة سوداء ولكنه لم يقل
بأن محمدا افترى القرآن بل قال انه مخلوق لانه يتلى بحروف واصوات مع أن كلام
الله ليس بحروف واصوات فاستدل بذلك على انه مخلوق لله كباقي المخلوقات

انزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم وهكذا كان اعتقاده في جميع الكتب المنزلة واعتقاد امثاله . وربما كان طبيعيا كباقي الفلاسفة الذين اتبعوا اهواءهم فأنكروا كل شيء آمن به المؤمنون . ولقد قام الامام ابن حنبل في ذلك الوقت مقاوماً له مع غلبة سلطانه عليه فمات هذا بكرامة تقواه وحسن ايمانه ومات ذاك بجحوده وقبح طغيانه . اذ لم تكن ادركته العناية الربانية بالتوبة قبل ان يموت وما ربك بظلام للعبيد وليس هذا العمل الذي جاء به المأمون بقادح في صدق الرسالة حتي يكون لهؤلاء السفهاء التعريض بذكره ضمن أضاليلهم اذ مبدع الاكوان جل شأنه وتقدست أسماؤه لم يأت بوقت من الاوقات من مبدإ الدنيا لم يكن فيه المكذبون ولا يأتي بذلك حتى تنتهي آجالها ولو كان الاتيان بذلك داخلا في النظام الابداعي لكان الاولى به أوقات النبيين ولكن الله سبحانه وتعالى جعل الاضداد متقابلة في كل زمن من النوع الانساني وغيره وذلك لان قوام الحياة ماهو الا العناصر المتضادة فمن أين يجيء الاتفاق على شأن من الشؤن في أي زمن كان فلذلك ترى في كل زمن مايكفيه من كل فريق اذاً فلا يكون قرب عهد المأمون بأيام الرسالة قادحا في صدقها فلقد جاء اليزيد بن معاوية بأقبح مما جاء به المأمون وجاء الحجاج الثقفي بما هو شر منها ولقد عبد قوم موسى العجل في زمنه ولقد فعل اليهود مافعلوه بعيسى مع مشاهدة الآيات البينات فهل كان هذا كله قادحا في صدق النبيين . كلا ان هذا لهو الضلال المبين . ألا يرى العقلاء منكم ان سفهاء الفلاسفة الآن قد قاموا منكرين لكل ماصدق به المؤمنون من الجن والملائكة ولكثير من أنباء القرآن ولكرامات الاولياء ومستلين سيوف اللسانة والسفه على المتوسلين الى الله بهم وذلك لما بينهم و بينهم من العداوة

والبغضاء التي أضرمت نيران الحقد والحسد في قلوبهم لان الفلاسفة ما تعالت هممهم وتطاولت أفكارهم الا الى حد لم يبلغوا فيه غير عقبات الغرور والطغيان التي وقفوا عندها وقد حال بينهم و بين معارج السعداء الطيش واتباع الهوى فما كان لهم من حيلة يدفعون بها عن أنفسهم تلك الحرارة الا انكار حال القوم وكراماتهم والخوض في أعراضهم بما لا يليق بهم لانه لا يسلك طريق الفلسفة الا كل لئيم متمرد . ولا ينهج مع الاستقامة منهج الاتقياء الا كل كريم متجرد . فما كان مثل الفريقين الا كالاعمى والاصم والبصير والسميع (هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون) وذلك لان الكرام اكرمهم الله بنور الايمان فتابعوا الرسل وفازوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة . واما اللئام فرضوا بالحياة الدنيا واطمئنوا بها واصبحوا عن آيات الله غافلين فلو ان السفيهة الشوهاء ذات البذاءة وفحش القول أحست بمنزلتها عند الله وفي قلوب أهل النظر من ارباب البصائر لألقت بنفسها من شاهق جبل أو من فوق منار مهجور ولكن الله سبحانه وتعالى ألقى عليها استار الافتتان والغرور . وسلط عليها من الاغبياء من يزين لها حالها وعملها ليقضي الله أمرا كان مفعولا .

واذا كان الامر كما ذكرنا فلا حاجة الى الكلام على صدق الانباء الغيبية الآن لان ثبوت صدقها متوقف على ثبوت الرسالة كما ذكرنا ولقد أجلنا الكلام على الدين المحمدي الى الفراغ من ازالة هذه القذورات التي ألقاها غلمان البقالين في طريق الموحدين . والله على كل شيء وكيل

وما كان لذلك التأجيل من سبب الا ما علمتموه من أن مصادر تلك الانباء هو الوحي السماوي ولا تثبت امانة متلقي ذلك الوحي الا اذا

ثبتت رسالته، وما انتصب هؤلاء الضلال الا لنفي الرسالة المحمدية وانها لثابتة الاساس قوية البنيان. وقويمة الاركان. بما ذكرناه وماسنذكره بعد فانتظروا انا منتظرون

ثم تأوه الرجل كثيراً واظهر الاسف على حال الامة طويلا وقال انا والله لنأسف على حال اقوام لا ينبغي أن يؤسف عليهم لانهم قوم قد تخلوا عن حلل السكينة والوقار وتحلوا بملابس الطيش والافتتان وما منهم الا وهو لاه عن حاله ومآله بما لا يتلهى به الا كل مغرور ومفتون فاصبحوا عرضة لسهام الباغين. ومطمح انظار المعتدين. وصاروا لا يعتد بهم فكأنهم ماخلقوا الا أنعاما في صورة بشرية ولو انهم كانوا رجالا مؤمنين. واتقياء متدينين. لما طمع هؤلاء السفهاء في اضلالهم وان في قوله تبارك وتعالى (الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك) لعبرة لكل معتبر اذ لولا المناسبة التي بين الزاني والزانية في دناءة الاخلاق ما اجتمعا وهكذا حال سفهاء أمتنا وأراذلها مع هؤلاء الضلال فلو ان المناسبة بينهم في الاخلاق مفقودة لما جمعتهم المحافل الزيغية. والحفلات الجدلية. سيما وقد حكم عليهم الحق سبحانه وتعالى بالنجاسة في قوله (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) ولا يخالط النجس الا النجس وان لم يكن نجسا فلا بد ان يتنجس لان مجاور الشيء يعطي حكمه اذاً فما كان لنا أن نأسف ولا ان نحزن على سفهاء أمتنا الذين ضلوا عن سواء السبيل بشهودهم مشاهد هؤلاء السفهاء التي هي اندية اهل النار. ولا يشهدها الا الكفار والفجار ومن كان هذا حاله لا يبكي عليه وسواء موته وحياته ولله در القائل

اذا شئت ان تبكي فقيداً من الورى * وتندبه ندبا بدمع معندم

فلا تبكين الا على فقد عالم * يبالغ في التعليم للمتعلم
وفقد امام عادل صان ملكه * بأنوار هدى الله لا بالتحكم
وفقد ولي صادق العهد والوفا * مطيع لرب العالمين معظم
وفقد كريم لا يمل من العطا * ينفس عسر الفقر عن كل معدم
وفقد أخ يفديك حبا بنفسه * ويقصيك بالمجهود عن كل مؤلم
وفقد شجاع صادق في جهاده * وقد رفعت اعلامه للتقدم
كذا زوجة ترعي أمانة بعلها * وان غاب عنها غالب العمر أو عمي
وفقد تقي لا يزحزح قلبه * عن الرشد اغراء الغوي المهمهم
وفقد الذي وافى الاله موحدا * وما ظن ماظنت عبيد ابن مريم
فهم تسعة يبكى عليهم وغيرهم * (الى حيث القت رحلها أم قشعم)

ثم قال والله لولا سعة جاه محمد صلى الله عليه وسلم وحلم ربه وكرامته عليه لفعل بسفهاء امته ما فعله ببني اسرائيل الذين قال لهم كونوا قردة خاسئين ثم رفع يديه الى السماء قائلا اللهم افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن اهله فانك اهل التقوى واهل المغفرة ثم قال لقد زعم السفهاء من القوم الظالمين أن كلام الله سبحانه وتعالى الذي حكاه عن المسيح اذ نادي أمه بعد ماوضعته (أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) ما هو الا مأخوذ من كلام اهل البدع من المسيحيين وما انتحلوه الا من كتاب بده كما زعموا وقالوا ان الاناجيل الصحيحة لم تأت بذلك النبأ وان الحواريين الذين كانوا يتكلمون عن الوحي ما تفوهوا بذلك الى آخر ما قالوا

واني لاقول ان القوم والله لفي ضلال مبين فانهم ما وجهوا ما انشأ

عن جهالتهم من الاعتراض الا على الله فكأنهم يقولون له لماذا ذكرت هذا النبأ في القرآن ولم تذكره في الانجيل هذا اذا فرضنا صدق دعواهم أن الانجيل الصحيح هو الذي لم يذكر فيه ذلك النبأ وما كان لعاقل ان يثق بأقوال قوم امثالهم قاموا يلبسون الحق بالباطل ويخوضون في آيات الله بغير حق بل الذي تتسابق اليه افهام العقلاء أن كل كتاب يقتبه هؤلاء الضلال هو الحق وكلما ألفوه أو ألغوه هو الباطل واما احتجاجهم بأن الحواريين لم يذكروا شيئاً من ذلك فما هو الا ضرب من ضروب التغرير والتضليل لانهم ما اثبتوا نزول الوحي على الحواريين بوجه من وجوه الاثبات ولن يجدوا لاثباته طريقا من الطرق الجدلية على ان الحواريين ما شهدوا مولد عيسى عليه السلام حتى يقال ان سكوتهم عن ذكر مولده وما جاء فيه من خوارق العادات دليل على عدم وقوعها . ولو فرضنا صحة نزول الوحي على الحواريين كما زعموا فلا يكون سكوته عن ذكر ما وقع في ولادته دليلا على تكذيب القرآن لان الوحي ما كان خاصا بذكر القصص والانباء بل كان يأتي للارشاد الى طريق الاستقامة وما جاء القرآن بذكر ما كان من امر المسيح الا ليعلم المسيحيون الذين ظنوه الها أن المسلمين أعلم بحاله منهم فما كان اسفهه مفتون ان يحتج على تكذيب القرآن الحكيم بما لم يكن ثابت الصدق والصحة اذ العقلاء الآن لا يستطيعون ان يميزوا صحيح الاناجيل من فاسدها الا بموافقة القرآن للصحيح منها مع مساعدة التواتر والشهرة واني لا ادري سببا لانكار هؤلاء السفهاء عناية الله بمريم عند احتياجها للغذاء في وقت لم يكن عندها فيه ما تقتات به وقد كان يأتيها رزقها من حيث لا تحتسب قبل ولادة هذا

النبي الكريم من عند ربها بلا واسطة وهي قوية قادرة على التكسب فكيف بها وهي في حالة احتياج شديد ألا سحقاً للقوم الظالمين

ولقد كان آخر ما جاء به هؤلاء الضلال في هذا الفصل أن قالوا ان حديث المعراج الذي ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى آدم وباقي الرسل هو مأخوذ من الكتاب الموضوع المسمى بعهد ابراهيم الى آخر ماجاؤا به من قصة ابراهيم عليه السلام وقد زعموا أنها مكذوبة وان النبي ماحدث بما حدث به عن رأيه ولكنه اختلس معنى تلك القصة والقاه الى قومه الى أن قالوا ان قول الله سبحانه وتعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) مأخوذ من آية جاءت في الانجيل بهذا المعنى

فوا عجبا لهؤلاء السفهاء كيف وصل بهم الجهل وطغيان الغرور الى حد أصبحوا فيه ينادون على كل نبأ غيبي انه مكذوب جهلا وعناداً أكانوا يظنون أن كل نبي جاء بآية من الآيات أو أنبأ بنبأ من الانباء يكون ملزماً بأن يأتي لكل سامع عليه ببرهان أو براهين تثبت صدقه والا لما وجب على من لم يره تصديقه اذا للزم أن نكذب أنباء عيسى وموسى حتى يقيما على صدقها في الانباء البراهين لكل سامع يريدان أن يؤمن بها وعلى هذا لا يكون ايمان الامتين بالنبيين قيما ولا صحيحاً حتى يكون ماذكرناه

وان لم يكن ذلك الذي قلناه بلازم في أنباء موسى وعيسى فكذلك لا يكون لازماً في أنباء محمد وابراهيم التي انكرها هؤلاء الضلال بعد ما آمن بها قومها وجاء القرآن مصدقا لها بقوله تبارك وتعالى (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والاض وليكون من الموقنين) أي من

أهل الكشف والعيان وقوله (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) وما صدقه قومه عند الدعوى الا بالاختبار الدقيق وقد كان فيما بينهم يدعى صادقا امينا فأي داع ميز موسي وعيسى عن محمد وابراهيم وقد تواترت أنباء الكل على نسق واحد وكان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الخيار من لم يكن في أمة من جميع الامم ومن أراد البحث عن ذلك فعليه بالآثار فقد قال قائلهم

تلك آثارنا تدل علينا   فانظروا بعدنا الى الآثار

وعلى هذا النمط يكون الانصاف في الجدل والمحاورة والا كان هذي أطفال أو هوس جنون أو مكابرة أعداء معاندين

أم يريدون أن الله سبحانه وتعالى كلما أراد أن يرى نبيا من انبيائه شيئا من عجائب آياته يجعل له ملكوتا غير الذي أراه لغيره اذا لكانوا بمعنى الملكوت جاهلين

أم ينكرون كل خوارق العادات التي كانت على أيدي الرسل كما انكروا كرامات الاولياء انهم اذاً لفي ضلال مبين

وهل من المعيب أن يوافق القرآن الانجيل والتوراة والزبور في بعض الانباء من الالفاظ أو المعاني او يكون موافقا للجميع حتي يقال ان آية (حتى يلج الجمل) مأخوذة من معنى آية الانجيل ويكون ذلك دليلا على اختلاق القرآن من محمد صلى الله عليه وسلم فهل يقول ذلك الا الاغبياء الذين فقدوا الادب والعقل وارادوا ان يفرقوا بين الله ورسله وآياته أليس هذا حكم من احكام الله يسري مفعوله على كل كافر بأي رسول

وعلى كل رسول ان يذكر به قومه انذارا وتخويفا . أليس مصدر الآداب والحدود والاحكام في النواميس الالهية واحدا وماجاء القرآن الا مصدقا لما بين يديه في معنى الانذار والتبشير والدعوة الى الله وبيان الآداب التي ينبغي بل يجب على كل عبد استعمالها فكفر هؤلاء الضلال بآيات الله ورسول الله واصبحوا من الخاسرين

ومن العجب العجاب الذي به يتذكر المؤمنون اقتدار القدرة العلية في تزيين الاعمال لعمالها مكرا واستدراجا أن جاء القوم معجبين بأقوالهم الزيغية ظانين انهم خدعوا الناس بتلك الخزعبلات فصوروا سؤالا تصوروه مفحما وجاؤا عليه بجواب ليظن مطالعه انهم ماتركوا شيئا من البحث الا وأجهدوا نفوسهم فيه فما اشبه حالهم بحال المشعبذ المعروف عند العوام بالحاوي اذ ينادي صبيانه قائلا أما تعلمون اني أحيي الموتى فيقولون وكيف تحيي الموتى ثم يتساءلوا فيما بينهم حتى يظن كل مشاهد وسامع انهم صادقون وانهم لكاذبون . فهل يظن هؤلاء الضلال ان ذلك السؤال والجواب يحدث للمؤمن الصادق ريبا في ايمانه كلا والله لو أن القرآن جاء موافقا لكل مباني الكتب السماوية لما شك شاك من المسلمين في انه منزل سماوي وانه من حكيم حميد . ولو انه جاء ينبئنا بقصة القط والفار التي ذكروا ان سورة الكهف تشبهها لآمن الناس بأنها واقعة لاشك فيها ولو كره المجرمون لعلمهم بصدق نبيهم

ألا هل من قائل لهؤلاء الضلال كيف آمنتم بالمسيح وكتابه مع علمكم بان الغالب من اسلافكم كانوا مبتدعين كاذبين وماوجدتم لدينكم ضابطا يحفظه من الباطل والضياع كما حفظ امة محمد صلى الله عليه وسلم دينهم فهلا

اشتغلتم بضبط آداب دينكم واتفق رؤساء ذلك الدين منكم على طريق واحد يسلكونها حتى اذا اجتمعوا على الحق القوا بالاناجيل المكذوبة في اليم واذ ذاك يكون لعلماء امة محمد صلى الله عليه وسلم ان ينادوهم بما امر الله به نبيه بقوله (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا ارباباً من دون الله) هذا اذا كان المقصد الاهم هو سلوك طريق النجاة اما اذا كان المراد المغالبة بين الامم والاديان والتفريق بين الرسل فما ذلك الا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ولا يكون لذلك العمل من عاقبة ينتهي اليها الا ان كل ذى فطنة من المسيحيين يتيقظ من سنة الغفلة التى جنبت قلبه ناحية عن الهدى لان كثرة الجدل بيننا وبين هؤلاء الضلال تقدح شرر زند قرائحهم المتواري فيعلمون الحق على ماهو عليه ويكون مآل الغالب منهم الى احد امرين اما ان يغدو فيلسوفاً طبيعياً لا يعترف بوجود الاله الا مداراة وخدعة كما هو دأب سفهاء الفلاسفة الذين افسدوا الاعتقادات بتمويهاتهم واما ان يعتقد ما يعتقده اولو البصائر منهم ان الله الواحد فاطر السموات والارض تنزهت عظمته وكبرياؤه عن الحلول في البطون كالاجنة وعن ان ينام او يموت وعن مشابهة الحوادث وعن ان ينزل الى مقعر ملكه فيصلب ثم يعود الى مقره كانه كان سواحاً تحمل المشاق ثم رجع الى وطنه ومتى سلكت افهامهم هذا المسلك جذبتهم جواذب التدقيق والتحقيق الى الوقوف على الحقائق فيرفضوا جميع المذاهب والاديان الا مذاهب اهل السنة التى سلكها الواصلون فاصبحوا عارفين مقربين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الكلام على الفصل الخامس

كتب بعض الادباء الى صديق له لينصح محتالا يحاول مالا يستطيع ادراكه زمنا طويلاً وقد أعيته الحيلة ولم يرتدع عن طلب ما حاوله

قل للمشعبذ ان الناس قد سئموا ⁂ ألعابك الآن فاستأنف لهم عملا
أولا فدع عنك هذا الفن مشتغلا ⁂ بالقوت من وجه حل واختفي خجلا
ظنوك يا وغد مصداقا فبان لهم ⁂ منك الضلال فخذ عن مضوا مثلا
ان البهوق الذي أصبحت تجهله ⁂ يصيب عين غبي ينكح الجملا

هذا مثل من أمثال العوام يضربونه لمن أراد أن يقاوم من لا قدرة له على مقاومته فيقولون وقد أيقنوه مغلوبا . من أراد أن ينكح الجمل أصاب البهوق عينه . والبهوق عندهم علم على أطراف العصي التي يضعونها في الحوايا لحفظ الاحمال من الضياع بربطها بالحبال في تلك العصي

ثم قال اعلموا أيها الاصدقاء وفقني الله واياكم الى طريق الهدى وسبل الرشاد أن هؤلاء الضلال قد علا صياحهم وطال ضجيجهم وعجيجهم وقد تقلبوا في البلاد كجنود ابليس فأكثروا فيها الفساد حتي أقلقوا الحي وجيرانه . كانما يتفقدون فقيدا وما فقدوا غير العقل والادب وانا وان كانوا قد طال تعديهم واستطالت ألسنتهم بما يقلق القلوب ويزحزحها عن مراكز الثبات لم نزل غاضين الابصار ومحولين الافكار عن الاشتغال بمناوشتهم عسى أن يخجلوا أو يجدوا من أنفسهم زاجرا فما وجدناهم الا كامثال الاطفال الذين ما بلغوا درجة التمييز وما كانت أعمالهم الا كاعمال السوقة السفهاء الذين تعودوا أن يسخروا من الافاضل الاشراف من الناس ولو أنهم تصوروا قبيح أعمالهم لاقلعوا عنها خزياً وخجلا ولكنهم قوم استرسلوا وراء

أهوائهم وغلبهم الطيش فأوقعهم في مصارع الفتن حيث تزل الاقدام وما لهم من الله من ولي ولا نصير . فما علينا الا أن نلقي اليهم النصائح عسى أن يصبحوا نادمين

لعل في الناس من يرثي لحالتهم ... فينقذ القوم من أيدي الشياطين
أو يهتدوا برشادي حين أرشدهم ... الى الصواب فينقادوا الى الدين

ثم قال ولكنني أرى أن القوم قد استحبوا العمي على الهدي وأصبحوا كما قال هدهد سليمان فيما حكاه الله عنه بقوله (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) فلا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل

أيها الاخوان زعم هؤلاء الضلال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول القرآن وافتراه ثم قاموا يخوضون في آيات الله بغير حق خوض ازدراء واهانة جهلا منهم بأسرار الكتاب الحكيم وعمى عن ضياء انواره ونيرات اسراره التي انغمس في لججها الراسخون في العلم فأصبحوا ربانيين وفازوا بكرامة الله ومحبة قلوب عباده أحياء وامواتا اذ هداهم الله الى معالم الهدي من قواعد كتابه المجيد الذي هو من قلوب أحبابه في لوح محفوظ وأضل عنه القوم الضالين . وخطف ابصارهم وبصائرهم عن ادراك حقائقه ببوارق صواعق قوله (لا يمسه الا المطهرون) فأصبحوا كاغبياء العوام الذين اذا عثر غبي منهم على درة من الدرر التي القت بها الدهور وحوادث الايام في خبايا الارض المهجورة التي تسمى عند العامه أكواما كفرية ظنها ألعوبة فتناولها الاطفال من يده وربما لهي عنها فاشتراها الخبير بها من أيدي أولئك الاطفال بثمن بخس وكانت سببا لسعادته وما ذلك الا لجهل

العاثر عليها بقيمتها وعلم المشتري بما تساويه وما ذلك الا لحكم سابقة التقسيم الازلي ونفوذ تصرفات الاقدار الالهية كما قال القائل

وقاسم الرزق يعطي ذا ويمنع ذا ... هذا يصيد وهذا يأكل السمك

فكذلك حال أهل القرآن الذين فتح الله اسماعهم وأبصارهم وطهر قلوبهم وحال من طبع الله على قلوبهم وجعل على سمعهم وأبصارهم غشاوة فهم لا يعقلون تصديقا لمعنى قوله تعالى (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتي يروا العذاب الاليم)

ولقد فاقوا العوام في غرور الجهل والافتتان بدعوي العلم والمعرفة والخوض فيما ليس لهم به علم وتكذيب الله ورسوله حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق تصديقا لقوله تعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتي يبين لهم ما يتقون) فهدي هؤلاء الضلال الى معالم الدين الاسلامي واوقفهم على حدوده . واطلعهم على احكامه . ثم اضلهم عنه وصرف قلوبهم عن شهود انواره واسراره لتقوم عليهم الحجة فلا يعذروا بمتابعة من مضي من اسلافهم الذين صادموا النبوة ووقفوا في طريق الرسالة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلين ما حكاه الله سبحانه وتعالى عنهم بمثل قوله (وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا) ثم ابطل دعواهم بما جاء به في آياته من البراهين القرآنية وما زالوا منكرين عتوا واستكبارا كما كان من الامم الطاغية مع رسلهم وكما كان من اليهود مع عيسى ومن فرعون وملائه مع موسى كما سبق بيانه قبل . فأصبح هذا العمل القبيح والقصد السيء الآن مطمح انظار هؤلاء الضلال . ومضمار سباقهم ومرمى سهام اغراضهم واميالهم وما اكتفوا بحمل أوزار انفسهم

بل الفوا بفتحة مشددة على اللام ما الفوه بلام مكسورة من الضلال والزيغ فصولا من باب واحد ليتوهم المطالع ان في البيض دجاجا ويظن السامع ان وراء الصياح معركة ذات غنائم حتى اذا ما تسارع اليها المتسابقون لا يجدون الا جنازة اقامها نساء ابليس فاقدات العقل والدين وما تصايحن على غير فقيد الا ليجعلن الصياح حبالة صيد لايقاع خوان الاخدان في شرك الفتنة القتالة والغرور المهلك . والله لا يحب كل خوان كفور

الاهل يتبصر العقلاء منكم في شؤون هؤلاء الضلال الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وزعموا ان كل الاناجيل مكذوبة وأن من قدمائهم قوم كثيرون اهل بدع وضلالات ثم قاموا على قدم وساق بأقوال باطلة وتمويهات عاطلة يقاومون الحق بالباطل على غير مثال يعهد حيث افتتحوا حوانيت خزي مكتوب على أبوابها ما يشهد بانها مخازن الخزي والجدل ومجال الزيغ والشيطنة وما هذا الامن أفظع الشنائع التى ما سبقهم بها سفيه من سفهاء الامم لانا نرى ان رؤساء الاديان ما اشتغلوا الا بمعانقة اديانهم والقاء النصائح الى افراد اممهم واما هؤلاء السفهاء فقد تركوا افراد اممهم في طغيانهم يعمهون ويسجدون لما صنعت ايديهم من الصلبان ويعبدون نبيا كريما كان آدم اعجب منه في الخلق والتكوين بعد ما زعموا ان قوم موسى اهانوه اهانة شديدة ثم صلبوه وقتلوه ولقد فتنوا قومهم بما فتن به قدماؤهم اهل القرون الماضية منهم بقولهم ان القسيسين منهم يحملون الخطايا عن اهل الكبائر بمجرد الاعتراف من الجاني وان ذلك لمن اعجب العجب اذ يقولون أن الاله لم يحمل خطيئة آدم عنه الا بعد تسليم نفسه للصلب والقتل وهو شخص واحد والقسيس الذي ربما كان من اكبر المذنبين يحمل خطايا كثير منهم بمجرد

الاعتراف أليس هذا بضلال مبين الي غير ذلك من الضلالات والبدع التي أوردوا بها قومهم النار وبئس الورد المورود ثم انتصبوا لاعابة هذا الدين القويم الذي كل من تصفح صفحات التواريخ وتبصر في احوال الامم وشؤون الانبياء والرسل لا يجد من الاديان ما يشابهه أو يقاربه في القوة والتقويم وحسن الاعتدال والاستقامة وانه لصراط الرسل الكرام الذي سلكه علماء هذه الامة فاصبحوا كانبياء بني اسرائيل كما اخبر الصادق الامين

وأما أولئك السفهاء فقد تفننوا في فنون الزيغ والسفسطة ورتعوا في مراتع الجدل والزندقة فاصبحوا كانعام لا رعاة لها ترتع حيث تشاء بلا عقول تردعها عن المراتع الضارة وقد هجروا مناسك الدين هجران المبغض القالي وجاؤكم مجادلين فيما ليس لهم به علم ليردوكم عن دينكم ان استطاعوا كما كان يفعل اسلافهم عند نزول القرآن وطالما حذر الله المؤمنين اذ ذاك منهم بمثل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة) وقوله (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) الى غير ذلك من الآيات التي لا تحصى كثرة

فقام أحد الحاضرين قائلا ان الذي يطلع على مؤلفات هؤلاء القوم ويتجول بفكره في مجال مباحثهم خصوصا في هذا المؤلف لا يشك في أنهم على شيء من العلم والاطلاع فكيف اذا يظن انهم يعلمون الحق ولا يتبعونه مع ما هم عليه من العلم والاطلاع . فقال له الرجل يا هذا ان الغرة والطيش ليدعوان الانسان الى اقبح عمل توقعه فيه المحنة الالهية فيراه

حسناً لتسلط الجهل عليه حتى اذا استرسل في ذلك العمل وتعوده لا يفيده العلم بقبحه شيئاً ولا يزجره عنه الازاجر الخوف. ألا ترى ان الفتاة الحسناء التي قد تفوق في الحسن كثيرا من أندادها متى استرسلت في الغي مع هواها وأطاعت نفسها وشيطانها قد تغدو راقصة أو باغية أو مطربة الى غير ذلك مما يشين أحوال الفتيات حتى اذا تبينت قبح حالها يوماً ما لا يمكنها الاسترسال وغرة الغرور من ترك ذلك العمل الذي صير حالها سيئاً بل ربما كانت تفتخر وتتباهى باتقان صنعها في ذلك العمل مع علمها بأنه عمل قبيح . وهكذا كان حال هؤلاء الضلال فقد حال طيش الغرور وزيغ الافتتان وسرعة الاسترسال في اعمالهم وراء اهوائهم بينهم وبين الحياء والندم مع العلم بأنه عمل لا يرتكبه الا كل مجنون محروم من مزايا الكمال والاعتدال والله لا يهدي القوم الظالمين

لقد زعم هؤلاء السفهاء أن القرآن من عمل محمد صلى الله عليه وسلم وانه ما تناول ما فيه من الانباء الا من الناقلين واستدلوا على ذلك بأن العرب كانوا يعلمون كثيرا من انباء الفرس وغيرهم وان منهم من كان يأتي للنبي صلى الله عليه وسلم بتلك الانباء فيتناولها منه ويجعلها قرآنا مع زعمهم أنها انباء خرافية لا صحة لها ثم أخذوا يذكرون آيات من القرآن ويأتون بما يشابهها من القصص التاريخية وكلما جاؤا بقصة عابوا من سطرها وسموه مبتدعا كاذبا وسموها خرافة من الخرافات الى آخر ما زعموه وأيدوه بتمويهات تضليلية وسفسطة فلسفية وعن ذلك نقول

لقد تقرر فيما سمعتموه من قبل ان الله سبحانه وتعالى خلق السعداء والاشقياء كل على حسب استعداده وقابليته لما يراد به وسداد لا يكلف

الله نفسا الا وسعها بمعنى انه لا يجري على يد شخص عملا من الاعمال الا ما يلايم استعداده وقابليته والا كان ظالما وهذا المعنى هو المشار اليه بقوله تعالى (وما ربك بظلام للعبيد) لانه ما أجري على ايديهم من أعمال ولا اعانهم عليها الا وقد كانت مما يلايم قوابلهم فلا يسوق الى الكفر والفسوق الا من كان اهلا لذلك ولا يشرح بالايمان الا صدور الاخيار فلذلك كان من المعلوم الضروري حتى عند العامة أن الانسان الذى لم تدنس فطرته خباثة القوابل الشيطانية والاستعدادات الوحشية لا يكون ميالا الا الى التفويض والتسليم والانقياد لمن تعرض الى ارشاده ونصيحته متى علم منه الصدق في ذلك وهذه الحال هي مبادى الفوز والسعادة واما الذي غلب عليه شؤم استعداده وقابليته فلا يكون الا مصرا مجبولا على العناد والمعارضة وعلى سوء الجدل وهذا هو مبدأ الشقاء وكلا الحالين يراه الراؤون في طباع الاطفال قبل أن يبلغوا الحلم ثم تربوا مع كل طفل خصاله بنمو قابليته واستعداده ليجري الله سبحانه وتعالى على يد كل انسان ما خلقه لاجله وييسره له ثم يعينه على الاتيان به والى ذلك الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له وبقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام (قال ربنا الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى) فلن يضل عن طريق الهدى نبي او ولى ولا يهتدي الى معالم الرشاد شقي ولا تجد مؤمنا مكذبا برسول من الرسل ولا تجد كافرا مصدقا لهم وان قال قائل ان قوم موسى وقوم عيسى مصدقون بهما فكيف تدعون أنهم من الكافرين نقول ان ذلك التصديق لم يكن طاعة لاوامر الله سبحانه وتعالى بل هو متابعة للهوى والشيطان فلذلك كان وبالا ونكالا عليهم لانه لو كان من

قبيل الانقياد لأوامر الله لما تغالوا في التعصب الى حد التكذيب والكفر بمن ارسله الله من بعدهما مع ما تظاهر به دينه على الاديان من الفتح والنصر المبين والاعتدال وحسن الاستقامة وكمال الآداب فمن كان ذا زكاء وفطنة يرى ان كفران من كفر برسالة النبي الاخير ما كان الا عن حكمة بالغة أسست فيمن كفروا به تلك القوابل والاستعدادات عند التكوين لاحتياج النظام الى ذلك

وربما ظن سفهاء العوام أو أشرار الزنادقة عدم احتياج النظام التكويني الى كفر الكافرين وايمان المؤمنين فيقوم معارضا بقوله ماذا على الله لو خلق الخلق على استعداد وقوابل متفقة وجعل الكل سعداء الم يكن قادرا على ذلك وان هذا الاعتراض لهو المصرع الوخيم الذي زلت فيه اقدام كثير من الامم الذين ابتلاهم الله بالدعوى وطيش الطغيان ليكون ما اراده بهم ومنهم وكان امر الله قدرا مقدورا

وعن ذلك نقول ان هذا المعترض اذا سلك هذا المسلك الذي منشؤه الجهل وفقد الآداب الذوقية قد يلزمه التشوف الى الوقوف على الحقائق والتعطش الى استيفاء المرام واستقصاء المقاصد أن يقول لماذا خلق الله الليل ولم يجعل النهار سرمدا الى يوم القيامة ثم يقوم آخر في مقابلته قائلا لو جعل الله الليل سرمدا ومحى آية النهار لكان أقرب الى الراحة فيقوم مجادل آخر قائلا ولماذا خلق الدنيا وما فيها من الاتعاب والشدائد ولم يترك الناس في راحة العدم الازلي ان كان الفناء بالموت محتما ولم يكن بعد الموت رجوع للحياة ولا عودة أو لماذا لم يخلق الخلق من هذا النوع جميعا في منازلهم الابدية بادئ بدئ حيث لا دنيا ولا دين الى غير ذلك من الهوس الذي لو تتبعه متتبع لمقت جميع الاعمال الالهية لقصر فهمه

وضيق فكرته وظلمة جهله اذ الانسان ما خلق الا هلوعا طاغيا جهولا وجاء من عجل كما قال الخالق الاكبر للقوم الكافرين (خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون) هذا هو حال الطاغين الباغين واما الذين هداهم الله وفتح أسماعهم وأبصارهم فقد علموا عجز الانسان عن الاحاطة بحكمة الله في خلقه فألقوا اليه قياد قلوبهم بانقياد التسليم والتفويض فأراهم من آياته ورقائق اشاراته ما به علموا أن الالوهية لا تصح الا لمن اتصف بالاسماء الحسني ولا يتصف بتلك الاسماء الا من كان كامل الاقتدار على أن يعطي كل اسم حقه بغير تعب ولا تكلف ولو ان اسما منها تغلب على غيره لأبطل مفعوله واضاع حقوقه ويكون ذلك قادحا في صفات الالوهية ومبطلا لصدق مدعيها ومضيعا لواجباتها واذا كان الامر كذلك كان القاهر يستدعي مقهورا والرحمن يطلب مرحوما وهكذا ولا يكون ذلك الا بهذا النظام الذي وصفه الواصف بقوله ليس في الامكان أبدع مما كان ومن سلم سلم ومن عارض خذل وندم فان شئت أن تعلم فتعلم وتبصر لتفهم والا فسلم لتسلم والله يقول الحق ويهدي السبيل

فلذلك نرى أنه لا يخلو زمن من الازمان من السعداء ولا من الاشقياء ونرى أحكام السابقة نافذة في كل من الفريقين رغم كل دفاع ومعارضة فلقد كفر بنو اسرائيل بموسى بعد ما جاءهم بتسع آيات بينات وكفروا بعيسي بعد شاهدوا منه من الآيات ماتوهم به المسيحيون انه كان الها فلهذا ترى أن الفلاسفة في كل زمن يدعون أن كل متدين مخرف وأن كل نبأ جاء بأمور خارقة للعادة لا أصل له حتى بلغ من فسوقهم وكفرهم ان قال قائلهم الناس رجلان متدين لا عقل له وعاقل لا دين

له فجعلوا العقل والدين ضدان لا يجتمعان وانهم لصادقون من وجه وكاذبون من وجه آخر أما صدقهم فلأن العقل الذي زعموه ما هو الا اتباع ظنونهم وأهوائهم وترك الاقتداء بالمهتدين وما من متدين يكون هذا حاله الا ويغدو زنديقا ممقوتا فما كانوا صادقين الا من وجهة ان العقل الذي هم عليه لا يجتمع مع الدين الذي اعتنقه الاتقياء وأما كذبهم فلأن الدين بلا عقل لا يكون وليس العقل الديني الا النور الذي يشرح الله به صدور المؤمنين ليقتفوا به آثار الرسل منقادين لاوامرهم مصدقين لاقوالهم متحققين بأحوالهم (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)

اذاً فليس من العجب أن يرى الناس في آخر الزمن بل في هذا القرن الذي تطايرت شروره وتمالت اسافله وانتشرت فيه الفتن اقواماً مثل هؤلاء الضلال الذين جاؤا بهذا البهتان والافك العظيم ولقد أصبحوا مكذبين لجميع أنباء القرآن تكذيب رجل عاش من عهد آدم الى الآن وكان خبيرا بكل ما كان لا يفوته من أنباء الدنيا فائت لا من طريق النظر ولا من طريق السماع ولو أنهم كانوا عقلاء لقالوا ان تلك الانباء تحتمل الصدق والكذب ولكنهم لتسلط الطيش والجهل على افئدتهم ادعوا انها كلها مكذوبة مفتعلة لا اصل لها ولقد قلنا فيما تقدم اننا لو ألزمناهم باقامة البراهين على أن هذه الانباء كاذبة لما وجدوا جوابا يأتون به الا السفسطة الفلسفية والانكار على قدرة الله ما هي عليه من الاقتدار وعلى ما لا تحيط به العقول ولا يكون منهم الا المكابرة والاصرار كما تكون من البغال القوية اذا ذللت لعمل من الاعمال وان كان فيه الفائدة لها وكان الله على كل شيء مقتدرا

ولو انهم زعموا أن التواريخ التي بأيديهم تكذب تلك الانباء لقلنا لهم انما حفظتم تواريخ اسلافكم الفلاسفة الذين لا دين لهم ولا مذهب الا اضلال المتدينين وازاغة قلوب ضعفاء الايمان لزعمهم أنهم مصلحون ولكنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وما كان لنا أن نتابع قدماءكم مع ما نراكم عليه الآن من تجريح أعراض العلماء العاملين والفقهاء المحدثين وعباد الله الصالحين والخوض في اعراض النبيين ومع ما نشهده منكم من تكذيب الصادق الامين واعابة القرآن الذي أعجزكم واعجز كل معاند كفور ولقد مضي على عهد نزوله ألف وثلاثمائة وعشرون عاما وما أتي آت بسورة من مثله فما كان لمنصف ذي ذوق أن يأتي بمثل ما جئتم به من الزيغ والالحاد ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

ثم قال أولم يعلم الزائغون أن الادلة الشرعية والعقلية التي يستنتجها العقلاء مما قالوه تكذبهم فيما زعموه وسنأتي بشيء منها لا لاقناع هؤلاء المجادلين لعلمنا انه من يضلل الله فما له من هاد ولكن ليعلم العوام ظلمة مناهج الاشرار وقبح موارد الفجار فيجتنبوها لعلهم يفلحون

لأن من الادلة الشرعية التي أرشدونا الى التمسك بها بغير قصد منهم بزخارف اقوالهم التي دونوها في هذا المؤلف تقويماً لقواعد الضلال الواهية . أن قالوا ان النضر بن الحارث كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا يدعو فيه الى الله تعالى وتلا فيه آيات قرآنية وحذر قريشا ما اصاب الامم الماضية الذين عصوا رسلهم من الاخذ الوبيل خلفه في قومه ذلك الرجل في ذلك المجلس اذا قام ثم يحدثهم عن رستم الشديد وعن اسفنديار وملوك فارس ويقول والله ما محمد بأحسن مني حديثا وما حديثه الا

أساطير الاولين اكتتبها كما اكتتبتها أنا فأنزل الله سبحانه وتعالى الآيات التي ذكروها في مؤلفهم في هذا الموضوع ثم بعد ذلك قالوا انه لا يتصور ان العرب كانوا يجهلون خرافات الفرس ومعراج أرتاو يراف وزردشت ووصف الفردوس وصراط جينود وشجرة حوابه الى آخر ماجاؤا به من الاضاليل ظانين ان موافقة القرآن لبعض مافي تلك الانباء تكون دليلا على بطلان الدين الاسلامي وبرهانا على أن مصادره خرافات كما زعموا

ونحن نقول ان ما ذكروه في شأن النضر بن الحارث ماجاء الا دليلا شرعيا على صدق النبوة وصحة التنزيل فما كان حالهم فيما ذكروه الا كحال أحمق جهول كلما عزم على الاصلاح أفسد وبالعكس (ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المبطلون) وبيان ذلك أن الادلة الشرعية التي تقوم بها قواعد الدعاوي ما هي الا من الكتاب أو السنة أو الاجماع وقد جاء القرآن مشيرا الى صدق الإسراء والمعراج . وجاء أئمة الذين هم أهل السنة مصدقين على ذلك ومؤمنين به ولقد اجمعت الامة المحمدية على حصوله وكذلك باقي الانباء التي اوردوها فلا يكون النزاع اذا الا في صحة التنزيل وصدق الرسالة ولقد علمنا مما ذكروه أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يبعث في قوم بسطاء جهلاء لا يعقلون شيئا حتى يقال انهم تناولوا تعاليمه قضية مسلمة وانه خدعهم بتداول تلك الانباء وجعلها قرآنا لانه جاءهم بشيء ماسمعوه من قبل فيكون لمن جاء وراءهم من القرون من اهل الفطنة والذكاء ان يبحثوا في أمره بالبحث الدقيق حتى يتبين لهم الحق من الباطل (كلا) ولكنه بعث في امة كان فيها العدد الوافر من أمثال النضر بن الحارث ومن أمثال من هو أقوى منه شوكة وأكبر مكرا ودهاء وأقسى قلبا وكم

تحزبوا أحزابا وقد كانت لهم الاحاطة التامة بأنباء الامم كما زعم هؤلاء المبطلون وقد قام ابن الحارث يدعي اذ ذاك أنه أحسن حديثا من محمد صلى الله عليه وسلم فما علينا الآن الا أن نطالب زعماء الضلال بسرد ماجاء به ذلك الكفور المدعى من الاحاديث ومن الانباء فنقابلها بالقرآن وبالاحاديث النبوية حتى اذا وجدنا منها مايساوي سورة من القرآن كانت هي أقوى البراهين على أنه مفترى ومكذوب لان محمدا صلى الله عليه وسلم ما أعجز الفصحاء الا بدعوى أنهم لا يأتون بمثله فلو تحققنا أن ذلك الرجل الذي كان يخلفه في مجالسه أتى بأحسن منه كما زعم وجب علينا ان نوافق المكذبين على ماهم عليه واذا لم يكن ذلك وعلمنا أن ذلك الضال لم يترك وراءه حديثا منقولا . ولا خبرا معقولا . وما ترك الا خزيا وخبالا يرثه عنه كل من أعقبه في ذلك العمل . اذا لا نشك في صدق ذلك النبي الكريم

وذلك لان القوم الذين بعث فيهم لو علموا منه مايشين حالة لما صدقوه ثم لا يتصور متصور مهما بلغت به درجته من فساد التصور ان رجلا جاء يدعو أقواما الى دين يخالف أديانهم وينادي بفساد أحوالهم واعمالهم ومعتقداتهم ويدعي فيهم الدعاوي التي تحتمل الصدق والكذب ثم يصدقونه بغير بحث ولا نظر سيما وقد جاءهم بأنباء غيبية لا يصل العقل الى مداركها فكيف يتصور المتصورون انهم يقابلونه بالقبول والتصديق الا بعد جهد جهيد ودلالات واضحات . وآيات بينات . ولقد تبين مما قاله المتقولون في هذا المؤلف انه كان منهم المجادل والمعارض ثم جاءت الانباء التاريخية في السير النبوية ان القوم ماصدقوا بالقرآن وآمنوا بالرسالة الا بعد

الاستكشافات النظرية . والمعارضات الجدلية . فأقنعتهم آياته السماوية واخلاقه المرضية . واحواله الملكية وأحكامه العدلية . وكلماته الفصلية ونزاهته القدسية ولقد كان من ضمن استدلالاتهم أن كانوا يسئلونه عند نزول الوحي عن أشياء فيخبرهم عنها فتسوءهم فأنزل الله تعالى النهي عن ذلك بقوله (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسوءكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم)

فمن ذلك يعلم العقلاء أن مسئلة النضر ابن الحارث قد قامت في وجوه هؤلاء الزائغين مقام الدليل الشرعي على صدق ماجاء به القرآن وعلى صدق الرسالة ولو انهم كانوا من أرباب البصائر لما جاؤا بها دليلا على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتلقى الانباء من العرب ويجعلها قرآنا أولم يكن في العرب من هم المتيقظون فيعلمون مصادر تلك الانباء وكانوا اذ ذاك يجهدون انفسهم في مقاومة رسول الله صلى الله عليه وسلم باستحضار المعلمين له على رؤس الاشهاد ثم يقولون لهم لماذا قدمتم على هذا العمل الذي غير ديننا وأضر بحال آلهتنا . أولم يكن للعرب بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستكشفوا الامر على ماهو عليه ان كان رضوخهم لاوامره ليس عن تصديق قلبي ويقين جازم . أولم يكن لهم عند جمع القرآن في عهد الخلفاء أن يقولوا ان هذه الكلمات تعليمات فلان وفلان في مكان كذا وزمان كذا ثم يقيموا البراهين على ذلك اما سمعتم أيها الاخوان بما وقع لاعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قوله تعالى له (انا كفيناك المستهزئين) وقوله (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فان كان منكم من يجهل ذلك فليطالع كتب التفسير حتى يتبين الامر على ماهو عليه والله يهدي من

يشاء الى صراط مستقيم

اذاً فلا وجهة الآن للباحثين عن صدق تلك الانباء أو كذبها بعد ثبوتها في ذلك العهد الذي جاء بها فيه القرآن ولا يكون الاستدلال على ذلك والنظر فيه في هذا الزمن الا خوضاً وتضليلا وتشويشاً لافكار العامة وتدليسا فلسفيا يراد به تلبيس الحق بالباطل وازاغة القلوب عن مراكز ثباتها ومواقف يقينها لغلبة حال المكذبين الآن على حال المصدقين بحكم الوقت الحاضر الذي أبيحت فيه المحرمات . وفشت فيه المنكرات . وتطاولت الالسن بفحش القول وانتشرت فيه الصحف الزيغية التي هي اعلام الفساد الديني وبريد الكفر وكان هذا كله ملائماً لقوابل كثير من الوجهاء واستعداداتهم فقست قلوبهم واصبحوا كافرين وظهرت فيهم اشارة قوله تبارك وتعالى (ولو اننا نزلنا عليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا) وكذلك كان الامر في كفار قريش فلو ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن على حال ثابت في الصدق واعمال قيمة في الاعتدال لما صدقه المصدقون منهم ولما خذل الله المنافقين والكافرين وأركسهم في جهنم جميعا وان في قول القائل منهم لعمر بن الخطاب لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناك بسيوفنا عند ماقام فيهم خطيبا وقال من رأى منكم في اعوجاجا فليقومني) لعبرة لأولي الالباب اذ القوم الذين بلغت الشهامة والحماس بهم هذا المبلغ لا يقال انهم خدعوا أو تمكن الجهل منهم حتى اتبعوا رجلا متصنعا قد قلب منهم الاحوال . وغير الاعمال . وحول الآمال . وانشأهم نشأة اخرى غير التي كانوا عليها (كلا) والله ان كيد الكافرين لفي تباب

والغاية المقصودة من كلامنا هذا كله ان كل من تتبع الكتب الدينية والسير النبوية وتأمل فيما ذكرناه بعين الناقد البصير علم علم اليقين أن العرب كانوا أهل شهامة ونفوس عالية ودراية تامة وكانوا من ذوي البصائر والادراكات الذوقية وما انقادوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الانقياد الذي جعلهم طوع أوامره الا لما شهدوه من كمال اخلاقه وصدق اقواله وسلامة احواله وصحة اعماله وما كان جبارا متألها ولا فخورا متكبرا بل كان يقول لهم لا تفعلوا بي كما تفعل الاعاجم بملوكهم ان انا الا ابن امرأة كانت تأكل القديد وقد أرشدهم في الزمن اليسير من طريق الكمال التي استكمل آدابها الغالب منهم الى مالم يرشد اليه من كان قبله من الانبياء في الزمن الطويل ولقد كان مما ارشد اليه طوع أوامر ربه اصلاح ذات البين بين المتدينين عملا بقوله تعالى (لكم دينكم ولي دين) وقوله (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى) فكان من شعائره وشعائر امته أن لا يؤذوا من سالمهم من اهل الاديان الباطلة وان كانوا عبدة أوثان وما ذلك الا من كمال التربية وحسن تأثيرها في قلوب الامة حتى الآن واما الامم الأخر فقد تركتهم الانبياء على أحوال لم يمض عليها الا قليل من الزمن وقد تغيرت وما من امة الا وفسدت اخلاقها بعد نبيها في اقرب زمن واما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلم تزل منهم الخيار على ما كان عليه هو واصحابه الى الآن ولو احتج مجادل بأحوال الفلاسفة والمعتزلة وغيرهم من الفرق المخالفة لاهل السنة نقول له ان الزيغ لشجرة ثابتة الاصل في قلوب اهلها من قبل الرسالة وفيما بعدها اذ ما من خلق حسن الا وله اهل من السعداء معلومون عند ربهم وما من خلق سيء الا

وله اهل من الاشقياء قد أحاط بهم الخالق علماً وما خلا زمن من الازمان من افراد هاتين الطائفتين ألا ترى أن اشرار المسيحيين الآن قد انتشروا في الارض لمحاربة هذا الدين القويم وتركوا دينهم تلعب به سفهاؤهم وما استعانوا على هذا العمل الا بالزيغيات الفلسفية لاننا لا نجد من له عناية بمطالعة التواريخ الماضية قديمها وحديثها الا الفلاسفة الذين لم تشغلهم التقوى بأنفسهم بل دأبوا على التباهي والتفاخر فلا يجد مفتخرهم ما يفتخر به الا سعة الاطلاع والاحاطة بانباء الامم الضالة الذين هم اسلافه وكل من ثبتت في ذهنه تلك الانباء تخيلها حقاً وظن ان أنباء الانبياء ومن تابعهم تخاريف لا ينبغي للعقلاء الاصغاء اليها كما يتحققه أولو الالباب من تمويهات هؤلاء الضلال في هذا المؤلف الذي ما تركوا فيه مسلكا للتضليل الا وسلكوه ولكننا نقول ان من كان ذا ذوق سليم وفكر ثاقب وبصيرة نيرة وقريحة وقادة وذهن حاد وكان ذا عناية بالوقوف على الحقائق وبحث في السير التاريخية الصحيحة عن أنباء الرسالة المحمدية وما وقع في مبدئها من كفار قريش وفيما جاءت به الآيات القرآنية من البراهين القاطعة وتبصر في ما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم من كمال الاخلاق ومحاسن الاحوال والاعمال وما أوتي من جوامع الكلم علم أن الكافرين هم الظالمون وتحقق أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الصادق الامين وأن كل ما جاء به من الاقوال حق لا ريب فيه وأن الذي كان يزاحمه بالباطل ويجحد رسالته كان من الضالين والحق يعلو ولا يعلى عليه وما كان الجدل فيه الآن الا وراثة عن موتى القلوب لانك لا ترى ساريا يسري الا في مسارب أمته مهما كان وكيفما كان حتى في أنواع الحشرات والوحوش والطير

وكذلك النوع الانساني فلا ترى الضال الا وراء الضالين ولا المهتدي الا في سبيل المهتدين . وما ذلك الا للارتباط الاصلي بين الطوائف بالمناسبات الاستعدادية . والقوابل التكوينية . وما ربك بظلام للعبيد

هذا هو الدليل الشرعي الذي به يتبين العاقل المتبصر أن كل نبأ من الانباء جاء به الاقدمون وجاء القرآن مصدقا له لابد أن يكون صحيحا واقعيا يجب على كل سامع تصديقه وان انكره المنكرون الذين بينا احوالهم من قبل (ومن أصدق من الله حديثا) وان من الادلة الشرعية لما جاء في العهد القديم من قصص داود وسليمان ويوسف وغيرهم وقد كذب بها هؤلاء المبطلون وزعموا انها كلها خرافات من خرافات اهل البدع ولكنهم ماعرفونا ماهي البدع ومن هم اهلها وكيف كانت احوالهم ولكننا قد علمنا من فحوي ماتقولوه أن اهل البدع ماهم الا المتدينون من كل ملة بالدين الذي تناولوه من الرسل لاننا الآن نرى أن سفهاء الفلاسفة يسمون أئمة الدين من العلماء العاملين والفقهاء المحدثين والائمة المجتهدين واهل الطريق المحققين كلهم مبتدعين ولا ينصرف عندهم وصف عاقل الا الى من زخرف اقواله بالشبه المضلة وزين حاله بالاشتغال بالدنيا وكان ذا خبرة بالاحوال السياسية وترك الدين واهله وشمر ذيله في مسابقة المتشردين عن طريق الهدى الى معالم الضلال ولكننا وكل من كان له المام بالدين وفي قلبه مثقال ذرة من الايمان لعلي يقين من أن هذه الضلالات كلها شؤن دنيوية لاتغني من الله شيئا ولا يستعمل الله فيها الا كل مارق من الدين لانصيب له في الآخرة وكان الله على كل شيء مقتدرا

واما الدليل العقلي فعنه نقول أيها الاخوان ليعلم العقلاء منكم أنه من

القواعد التي اتفق عليها كل من الطائفتين وهما طائفة المقربين الاخيار من اهل الطريق المتصوفين وطائفة الفلاسفة الضالين أن الرياضة التي هي بمعنى كف النفس عن شهواتها تدخل الانسان في عالم الملكوت المعبر عنه عند الفلاسفة بالعالم العلوي ولا خلاف في ذلك بينهما وانه لحق لأن الانسان ماحمل مالم تتحمله السموات والارض والجبال الا لما فيه من الاسرار القدسية التي كانت الشهوات النفسانية والاغراض الهوائية حجبا حائلة بين الانسان وبين مطالعتها في نفسه ومتى زالت تلك الحجب لايكون بينه وبين الملكوت حائل هذا هو موضع الاتفاق بين الطائفتين في المعارج القدسية وما تفرقوا الا عند هذا الموقف فمنهم من صعد الى أعلى ومنهم من نزل الى اسفل ومنهم من وقف موقفه حتى جاءه الاجل فأصبح من النادمين وسنبين حال كل منهم بعد الفراغ من هذا الموضوع الذي نحن بصدده الآن والله يقول الحق ويهدي السبيل.

اذاً فمن المحقق الثابت عند الطائفتين بل وعند كل ذي ذوق أن الرياضة هي روح المعارج القدسية التي يتوصل بها الانسان الى الاختلاط بالعالم العلوي حتى قيل ان الفلاسفة لقد تغالوا في ذلك حتى زعموا ان الانسان لايزال يتفقد المعلومات ويهذب نفسه بالاعمال الرياضية حتى يقابل ربه وجها لوجه فيكون هو هو يفعل كما يفعل وسنأتي بايضاح ذلك عند الاتيان بما وعدنا به من ايضاح أحوالهم واحوال الطائفة الاخرى

وعلى هذا يكون حال المنكر للمعراج الروحي أو البدني كحال العوام الذين لو قلت لهم ان النفوس القوية العالية لتفعل بهمتها في العوالم فوق ما يفعل المعيان الحسود بعينه في محسوده لكذبوك لجهلهم بمواقع النفوس من عالم

الملكوت ولو انهم فقهوا الامر على ماهو عليه لعلموا انه لولا سر الربوبية التي سميت به النفوس نفوسا لما صح لهما أن تتلقى ما تلهم به من الفجور والتقوى المشار اليه بقوله تعالى (ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها) ولكنهم لغلبة الجهل عليهم الذي منشؤه الحجب الشهوانية غفلوا عن هذا البيان الواضح بما اشغلهم الله به عنه من التعمية الواقعة في قوله تعالى بعد الآية السابقة (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) وما كان لنا أن نجول مجالا ما كنا من رجاله ولكن الضرورات قد تبيح المحظورات فلنرجع الى ما نحن فيه من الاستدلال فنقول

ان مفهوم هذا الدليل العقلي يعطي الباحثين في مسألة المعراج دلالة على أنه لاينبغي لعاقل تكذيب من كان قوي النفس عالي الهمة نزيه الاخلاق فيما يدعيه من العروج الى العالم العلوي اما بالروح أو بالبدن لان كل ذي عقل يعلم علم اليقين شدة ارتباط العالم العلوي بالعالم السفلي ارتباطا تأثيريا لايمكن الانفكاك عنه من ايهما بحال من الاحوال وما كان العالم العلوي الا دائرة محيطة بالعالم السفلي بينها وبينه تلازم وارتباط كلي فلو زال احدهما لزال الآخر بدليل قوله تعالى (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) وقوله في آية أخرى (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) وفي أخرى (خالدين فيها مادامت الارض والسموات) اذاً فلا مانع يمنع فردا من سكان احداهن أن يسكن الاخرى الا اذا لم تساعده القوابل والاستعدادات التي هو عليها اما اذا توفرت القوابل والاستعدادات في اي فرد من الافراد صح له أن يزاحم سكان الموطن الذي توفرت فيه قابلية واستعداد المزاحمة فيه وكما صح لجبريل أن يهبط الارض ويجلس في مجلس رسول

الله صلى الله عليه وسلم على صورة دحية الكلبي متجسدا فكذلك يصح لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يزاحمه في مقره الذي نشأ فيه وقد توفرت فيه القابلية والاستعداد ولقد قال صلى الله عليه وسلم في حق عيسى عليه السلام وقد قيل له انه كان يمشي على الماء (رحم الله أخي عيسى لو ازداد يقينا لطار في الهوى)

وعلى هذا يكون كل ماذكره الزائغون من المعارج الروحية والبدنية لاينبغي تكذيبه لاي عاقل سواء كان المدعي العروج هو ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام أو غيرهما من النبيين بالروح أو بالجسد اذ نزاهة النبيين وكمالاتهم وصفاء قلوبهم لابد أن توجد فيهم القابلية والاستعداد لكل ما يكون منهم من الترقي الروحي والبدني لانها نزاهة أصلية فطرية سماوية لا رياضية ولقد جئنا بما يكون في طاقة أمثالنا من البيان وفوق كل ذي علم عليم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اذ الظمآن ربما أروته من البحر مصة الوشل واما ذوا البطر الكفور فلا حاجة لنا بمواساته بالملاح والله لايهدي القوم الظالمين

ثم قال بعد طول تعجب واستغراب من ضلال القوم المنكرين وسباب ظنونهم وقبح اعمالهم وتجاريهم على تكذيب الله وآياته لقد القى القوم بأنفسهم على ابواب جهنم فما اصبرهم على النار وما أعجب ما يأتي به القدر من الاضلال على علم وكان الله على كل شيء مقتدرا

ايها الاخوان لقد ذكر هؤلاء الضلال المعارج الروحية التي عرجها أرباب الرياضات ممن ذكروهم ثم زعموا انها أثرت على القرآن تأثيرا عظيما وعلى الاحاديث حتى صارت هي احد مصادر الاسلام كما زعموا وما كان

ذلك منهم الا لجهلهم بما هو الاسلام كما سبق بيانه من قبل وكما سنبينه في موضع آخر من هذا الكتاب ان شاء الله سبحانه وتعالى . ثم جاؤا بالمعراج النبوي وقاموا مقارنين لها بقصه معراج ابراهيم الذي زعموا أنه منقول عن كتاب موضوع

ثم زعموا ايضاً أنه مأخوذ من كتاب اسمه (أرتاويراف) مؤلف باللغة الفارسية وذكروا فيه قصة معراج شاب مجوسي مسمي باسم هذا الكتاب وقالوا ان قومه قد ارسلوا روحه الى السماء فجاءهم بنبأ من فيها على المنوال الذي ذكر في معراج النبوة وكذلك جاء بحكايات اخرى زعموها خرافات وزعموا أن القرآن مقتبس منها وما تركوا كلاما سمعوه أو طالعوه في التواريخ من هذا القبيل الا وأوردوه مستدلين به على أن القرآن ما جاء بدعوى المعراج الا متابعة لتلك القصص وأن الاحاديث النبوية التي وردت في هذا المعني لا منشأ لها الا تلك الخرافات وزعموا ان اكثرها تحريفا هو كتاب عهد ابراهيم وقد كان ذلك منهم بعد ما جاؤا بقصة المعراج وما ورد فيها من الانباء السماوية وبعد ذكر الخلاف الذي وقع في المعراج هل هو بالروح أو بالجسد . ثم جاؤا بكلمات من تفسير الامام ابن العربي الذي قيل انه لبعض أئمة الطرق الصوفية ولم يكن لابن العربي الى آخر ما جاؤا به من الاراجيف الزيغية . والتمويهات التضليلية . ليكون في الشيطنة لهم شأن عظيم وعن ذلك نقول

أما ما أوردوه من مقابلة الاسماء بالاسماء كقولهم شجرة حوابة وحوميا وباراق . وعزازيل مما جاؤا به من المداعبات التي تشابه مداعبات الاطفال أو هذي المجانين فما هي الا محاورات زيغية لا تستحق النظر ولا الالتفات

لانها مغالطات جدلية يأتي بها أهل السفسطة الذين يحاولون نفي الشيء بأدلة ثبوته وذلك لانه من المعلوم أن كل أمة مهما تقادم عهدها في القرون لا بد أنها كانت مسبوقة بأمم قبلها كان منهم أنبياء ورسل فان الله سبحانه وتعالى نبأ من النوع الانساني أربعة وعشرين الفاً ومائتي الف نبي وما من نبي منهم الا وذكر من انباء الآخرة شيئاً وما كانت الانباء التي ذكرها الزائغون مخترعة لناقليها ولا مبتدعة ولكنها منقولة عن الانبياء وما تنوعت الفاظها بانواع مختلفة الا لاختلاف اللغات في الامم فلو ان الانبياء كانوا كلهم من العرب لكانت الانباء التي تناولتها الامم منهم متحدة اللفظ والمعنى وقد قررنا فيما ذكرناه من العقبات في مبدء الكتاب أن سبوق التواريخ للقرآن بذكر انبائه او بعضها وان كانت متداولة بين قوم مبتدعين أو عبدة اوثان لا يكون دليلا على أن القرآن غير منزل لانه ما من واقعة أو نبأ الا وله أصل صحيح من طريق النبوة فعلى هذا يكون الهذي الذي ذكره الزائغون الآن غير مقبول ولا منظور اليه

وأما مسألة المعراج وما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء في السموات وفي الارض فليس ببعيد عن ادراك التصور لا من جهة العروج ولا من جهة رؤيا النبيين اما من جهة العروج فقد علم مما قاله المبطلون أنه ليس ببعيد لانهم أثبتوا وقوعه لعيسى وايليا وغيرهما وأنكروه من محمد صلى الله عليه وسلم ثم احتجوا على من صوروهم محاجين لهم بأنه لا يوجد نقود زائفة ما لم يتقدمها نقود صحيحة فان النقود الزائفة ما عملت الا على منوال النقود الصحيحة ثم قالوا انه لا يجوز لعاقل أن يرفض التعامل بجميع النقود لوجود نقود زائفة بل قالوا ان وجود النقود الزائفة تدل دلالة واضحة على وجود

نقود صحيحة لا غش فيها ثم أوضحوا البيان بقولهم فكذلك يصدق القول على المعجزات لانه لولا وجود معجزات صحيحة لما ادعى مدع بمعجزات كاذبة ولو لم يوجد دين حقيقي صحيح لما وجدت الاديان الكاذبة ولو لم يشتهر صعود رجال الى السماء حقيقة لما رأينا هذه الخرافات ثم جاؤا يفرقون بين المعجزات الصحيحة وغيرها بقولهم ان صعود أخنوخ وايليا والمسيح الى السماء كان حقيقيا لأن أخنوخ ورد عنه في سفر التكوين في الاصحاح الخامس الآية ٢٤ أنه سار مع الله ولم يوجد . ثم قالوا واما ايليا فقد ورد في سفر الملوك الاصحاح الثاني في الآية ١١ و ١٢ ما نصه . وفيما هما أي اليشع وايليا يسيران ويتكلمان اذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد ايليا في العاصفة الى السماء وكان اليشع يرى وهو يصرخ يا أبي يا أبي مركبة اسرائيل وفرسانها ولم يره بعد ثم قالوا أما صعود المسيح فقد ورد في الانجيل أنه كان وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم الى آخر ما ورد في الانجيل ثم قالوا ان هذه القصص الحقيقية اتخذها الناس عن الذين شاهدوها بأعينهم وهي منزهة عن الحكايات الخرافية مما في السموات وقالوا نه لا شك أن القصص الكاذبة تختلف اختلافا بينًا عن القصص الحقيقية الى آخر ما جاؤا به من التمويهات التي لا يلتفت اليها العقلاء لانها محاورات صبيانية ومكائد كمكائد النساء ولو أن العقلاء بحثوها لوجدوها مكذبة لمدعيها كل التكذيب ومؤيدة للحق تأييدا قويا قويما . وذلك من وجوه

الواحد منها أن تصديقهم بعروج أخنوخ وتكذيبهم عروج محمد صلى الله عليه وسلم ما هو الا هوس بين اذ كل عاقل يعلم علم اليقين ان الذي صعد ثم نزل وحدث بما رأى ثم جاء بدلالات واضحات على صدقه أصدق نبأ

من الذي لم يعلم الى أين ذهب فان قولهم ان أخنوخ سار مع الله ولم يوجد لا يوجد في النفوس أدنى أثر للتصديق بعروجه . وانا وان كنا لا نكذب ذلك خوفا من الوقوع في ورطات الجحود والجدل فيما ليس لنا به من علم ولكن في مقام المناظرة والمحاورة نقول ان اليزيد بن معاوية هكذا كان حاله بعد قتل الحسين رضي الله تعالى عنه لانه قيل انه اختطف ولم يوجد فهل لعاقل أن يكذب من عرج به ثم عاد وظهرت عليه علامات الصدق ثم يصدق نبأ من لم يعد ولم يقل قائل اني رأيته وقد عرج به الى السماء ان هذا لهو الظلم العظيم

الثاني من الوجوه أن قصة ايليا ان حكمنا بصدقها نقول انها هي البرهان الصادق المثبت لمعراج ابراهيم الذي أنكروه كما أنكروا معراج محمد صلى الله عليه وسلم لأنه في حال صعوده نادى قائلا يا أبي مركبة اسرائيل وفرسانها . اذا فليتعجب المتعجبون من روغان هؤلاء السفهاء في محاوراتهم كما تروغ او تزوغ الثعالب المحتالة فانهم زعموا أن قصة معراج ابراهيم هي من الخرافات الوهمية التي جاء بها كتاب عهد ابراهيم الذي سموه خزانة البدع والاختراعات المكذوبة وقد اثبتوا معراجه بنص الانجيل لان العربة التي رفعت ايليا هي التي رفعت ابراهيم وما كانت من نار الا ليعلم ابراهيم أن الاله القادر على أن يطوف به ملكوت السموات والارض في عربة من النار لا يصيبه منها أدنى ضرر قادر على أن يجعل نار النمروذ عليه بردا وسلاما

الوجه الثالث اننا نقول انا لو تحاشينا تكذيب أنباء النبيين لما في ذلك من الانكار على قدرة الله ثم صدقنا نبأ ايليا الذي لم يشهده الا شاهد واحد من ذوي القرابة وما شهد منه غير ركوبه العربة ثم لم يعلم بعد الى أين

ذهب فما هو البرهان على عروجه الى السماء اذ ربما كانت طينته التي دفن فيها في مكان بعيد وحملته تلك العربة اليها بدليل أنه لم يعد الى أهله بعد ذلك فان قالوا ان الانباء التي وردت هي صادقة في الانجيل ومصدقة بعد ما أثبتوه من وقوع التغيير والتبديل فيه نقول لماذا كذبتم القرآن الذي لم يقع فيه تغيير ولا تبديل واستنكرتم العروج بمحمد صلى الله عليه وسلم وربما أن الله سبحانه وتعالى لم يكرم هؤلاء بالعروج بهم الى السماء الا تمهيدا لمعراج محمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يكون لعاقل ان يكذبه وكيلا يكون محلا للاستغراب واستبعاد الحصول . فلو ان في القوم عقـلا . أو عدلا . أو انصافا لما كذبوا هذا وصدقوا ذاك حيث لا حظ لهم في التكذيب ولا في التصديق بذلك بل هو مجرد عدول عن الحق الى الباطل لما في النفوس من الحقد وعلامات الشقا

الوجه الخامس أنهم زعموا ان هذه المعاريج هي المعاريج الصادقة ثم جاؤا بالسؤال والجواب الذي ضربوا له المثل بالنقود الزائفة والنقود الصحيحة ثم قالوا لا يمكن وجود نقود زائفة الا بعد وجود نقود صحيحة . وانا لنقول ان المعاريج التي ذكروها في عهد ابراهيم وما قبله وما بعده من التواريخ هي السابقة لتلك المعاريج التي اثبتها الانجيل . اذاً افتكون أنباء المعاريج المتأخرة هي المكذوبة تطبيقا لصدق المثل المضروب

الوجه الخامس أن النقود الزائفة هي التي لا يتعامل بها المتعاملون ولا يعتبرها المتعبرون مما يدخر للانفاق بل يكون التعامل بها نادرا اذ لا يتعامل بها الا الاغبياء . النادر لا حكم له فلو سلمنا ان هذا المثل ينطبق مفهومه على المعاريج الروحية التي وقعت لبعض المجاهدين من ارباب الرياضات . فهل لعاقل ان

يتصور بعد ما شاهد من صحة الدين القويم . انطباقه على حال نبي كريم . انتشر دينه في الاقطار انتشار الضوء في الآفاق بأقوى مما انتشر به دين موسى وعيسى كما هو معلوم ومشاهد . اذ لو تطرق الانكار لدينه بوجه من الوجوه لتطرق لجميع الاديان . واي مانع يمنع العاقل الذي حسنت ظنونه وسلمت عقيدته من الزيغ ان يقول ان معراج ابراهيم ومعراج محمد صلى الله عليه وسلم ما كانا ليلا الا لانهما معراجا تكريم وتثبيت وهداية وارشاد كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام في مبدء البعثة اذ الليل هو ميدان الصفا والخلوات بين المحبين فلذلك لم يشهدهما شاهد وما على محب اختلى بحبيبه خلوة نال فيها ما نال من الحظ من عذل العذول وسفه الرقيب من شيء

واما معراج عيسى فما كان الا معراج انقاذ واختطاف من أيدي أشرار هموا بما هموا به مما لا طاقة له على تحمله وكان ذلك في وقت تركه فيه كل الاحباب وما صحبه الا تلميذ واحد أنكره وأنكر نفسه وامرأتان وهما الام والخالة فهل لمثل هذا المظلوم المغلوب غير الله اذ ذاك منقذ فما عرج به الا معراج وقاية . ولو أن الحق سبحانه وتعالى عرج به عروج عناية ليريه من آياته كما أرى ابراهيم ليعود لتبليغ رسالته لما اشهد عليه مخلوقا ولكن فاقد التمييز لا يفرق بين قاف الوقاية . وعين العناية . فلو أن للقوم عقولا لعلموا أن الله سبحانه وتعالى ما رفع الانبياء الذين رفعهم الى السماء ولم يعدهم الى الارض الا رحمة بهم لانهم ما ظهروا الا في أزمان الامم القاسية قلوبهم الذين حقت عليهم كلمة العذاب وحكمت عليهم سابقة الشقا وانه لمن المعقول أن صاحب الاخلاق الكريمة اذا وجد بين قوم فاسقين فاسدة أخلاقهم يكون معذبا منغص العيش شديد النكد دائم الهم كثير الاحزان

فما كان الله سبحانه وتعالى أن يترك احباءه بين قوم قد تكاثر أذاهم وفسدت اخلاقهم يتقلبون على جمر الاسف ونكد العيش . فان قال قائل ان كل الانبياء كانوا كذلك وما وجدوا الا بين امم طاغين وقد طال عمر نوح حتى بلغ الالف من السنين بين قوم يسخرون منه فلماذا لم يرفع الله كل الانبياء نقول ان الله سبحانه وتعالى ما خلق انسانين منذ خلق النوع البشري متشابهين في الاوصاف خلقا وخلقا من جميع الوجوه بل خلق كل انسان فردا في مملكته الذاتية لا يشاركه فيها مشارك ولا يعادله فيها معادل ولو ان عاقلا نير البصيرة بحث في احوال الرسل لعلم اختلافهم في الشؤن مع اتفاقهم في الدعوة الى طريق واحد . ولقد قام نوح يدعو قومه زمنا طويلا بالحكمة والموعظة وما تأذي وما تضجر الا عند حلول الاجل الذي كان فيه موعد اهلاكهم بحكم القضاء المبرم فلو قارنا حاله بحال عيسى عليه السلام الذي كان يعمل الاعمال التي بها توهموه الها اذ كان كثير الفرار من الناس طويل العزلة عنهم . دائم التضجر من احوالهم شديد الشكوى مما هم عليه من القسوة لعلمنا الفارق بين الرجلين وعلى هذا المنوال يكون القياس عند العقلاء الذين يحبون ان يعلموا احوال النبيين فما كان الله سبحانه وتعالى ان يخلق المسيح عليه السلام او غيره من النبيين الذين لا طاقة لهم بمعاناة الشدائد ولا قدرة لهم على سياسة ارباب القلوب الغليظة على فطرة ليس لها قابلية لمصادمة الاعداء ولا لتذليل الجبابرة ثم يتركهم بين خلقه في عذاب اليم فلذلك كان اختلاف الشؤن الالهية في معاملة النبيين فمنهم من اراحهم الله بالموت ومنهم من رفعه اليه ومنهم من اراحه بالقتل ليغنم درجة الشهادة وتكون تبيعته على من ظلموه ومنهم من اقام صورته بقيومية جبروت سلطان قهره في العالم

ليظهر معه آثار رحمته التي بها يخرج السعداء من الظلمات الى النور وكان الله عزيزا حكيما . ومنهم من جعله لسان الغيرة وصولجان كرة الانتقام فأهلك قومه (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون) وان في الاشارة . لما يغني عن العبارة . وما كان الخطاب الا لذوي الذوق والتمييز (وما عليك اذا لم تفهم البقر)

(الوجه السادس)

ان قولهم أنه لولا وجود معجزات صحيحة لما ادعى مدع بمعجزات كاذبة الى آخر ماقالوه وما أرادوا به الا تفويق سهام الطعن الى محمد صلى الله عليه وسلم ولكن لجهلهم بالمكافحة في الحروب وكيف تفوق السهام وعجزهم عن تحديد النظر لاصابة المرمي قد أصابت السهام بطونهم فانفجرت وظهر خبثها وريحها المنتن (ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله) وذلك لان هؤلاء السفهاء لم يثبتوا على حال واحد فيما هم فيه من الضلال والاضلال والفساد والافساد لأنهم في كل كتبهم أنكروا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا لم يأت بمعجزة قط وعلى هذا القول يكون عيسى عليه السلام هو آخر من جاء بمعجزة من النبيين فتكون معجزاته مسبوقة بمعجزات غيره فيكونون بذلك القول قد فتحوا أبواب الجحود لليهود الذين الى الآن ماصدقوا عيسى وقد كنا على يقين من كفرهم لما جاء به القرآن من التصديق على رسالة المسيح وصدق نبئه والآن قد قام قومه مكذبين للقرآن فلا يجد اليهود اليوم برهانا قويا يقاوم ما ادعوه من انه ابن يوسف النجار وانه كان ساحرا مبينا ولنا الآن أن نقول لو كان نبيا لظهرت عليه علامات النبوة ولساعدتها أعماله حتى لا يكذبه مكذب وحينئذ تسود وجوه

سفهاء المسيحيين حيث لا حجة لهم يقاومون بها أقوال الامتين الا الاباطيل التي ابتدعوها في الاناجيل . التي اعترفوا بأنها باطلة ومنها ما هو مخترع مكذوب ولما استطاعوا أن يقيموا الادلة على صدق ما ادعوه منها صادقا وحينئذ يكون لكل مسلم أن يقول لهؤلاء السفهاء انا معشر المسلمين قد آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم لا لأنه جاء بمعجزات ولكن لانه كان أكمل الناس وأفصح الناس وأكبرهم همة وأوفرهم عقلا وأقومهم عملا وأوسعهم علماً وأعدلهم احكاماً وأرقاهم في درجات التدبير سياسة وما سمعنا بمثله في النوع الانساني من عهد آدم الى الآن فعلمنا أن حكمة الحق سبحانه وتعالى تتعالى عن أن تخلق إنساناً كريماً مثل هذا الانسان وتتركه هملا فلذلك صدقنا أقواله وتابعناه في أعماله منقادين لاوامره التي لم نعلم لها معادلا في العدل ولا مقاوماً في التقويم ولقد جئتم تجحدونه بما زعمتموه من أنه تناول دينه من أقوال الامم السابقة ظناً منكم ان هذا يكون سبباً لنقص محبتنا له ونقض العهود التي بيننا وبينه فما ازددنا فيه الا حباً وما زادتنا اقوالكم الكاذبة الا يقيناً حتى وان كانت صادقة لانكم بذلك قد أثبتم أنه جمع بين العلم الوهبي والكسبي وانه كان كثير الاطلاع واسع العلم ولو انه جاء بهذا القرآن الحكيم من عنده الذي لم يأت بمثله موسى ولا عيسى ولا أحد من المخلوقات لكان ذلك كفاية له في المدح وكمال الشرف ورفعة المجد الذي لا يعادله فيه معادل بل لو كنا أمثالكم في درجات الجنون لتوهمناه الهاً لاننا لو قابلنا القرآن بكل الكتب المنزلة لظهر لكل مطالع مميز أنه هو الافصح والابلغ والاجمع للحكمة والاقوم في القيل وانه لأحلى في مذاق أهل الذوق الافضل من كل ما يشتهي واذ ذلك يكون

لقائلنا أن يقول لكم بعد أن يضاهي بين ماجاء به المسيح الذي زعمتم أنه هو وأبوه في السماء ان الذي جاء بقرآننا أقدر وأكبر وأعظم من أن يكون بينه وبين المسيح أدنى نسبة يتوهمها المتوهمون انه يجاريه في الحال والحكمة اذاً فماذا تقولون ياسفهاء الاحلام ويا سخفاء العقول ويامرضى القلوب ويا أعداء المروءة ويا حلفاء الزيغ ويا نساء ابليس انكم اذاً لمن الخاسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً وانا لنترك الكلام في شأن عيسى وموسى ومحمد صلى الله عليه وسلم الآن حتى نصل الى موضعه من هذا الكتاب في الخاتمة ان شاء الله تعالى ثم نعود الى ما كنا فيه فنقول والله يقول الحق ويهدي السبيل

لقد قلنا فيما تقدم ان الرياضة التي هي بمعنى تهذيب النفوس هي روح المعارج وسلم العروج لارواح المتريضين وقلنا ان طائفتي الفلاسفة والصوفية قد اتفقتا على ان الرياضة تمكن المتريض من العروج الى الملكوت السماوي وقلنا انهم قد اختلفت في ذلك شؤنهم ووعدنا ببيان ذلك الاختلاف وقد آن أوان ذلك البيان فنقول

لقد انقسم أهل تلك المعارج الى ثلاثة اقسام كما ذكرنا قبل فمنهم الصاعد ومنهم النازل ومنهم الذي وقفت به همته فأصبح من النادمين والى الحالين الاولين يشير قوله تعالى (كلا ان كتاب الابرار لفي عليين) وقوله (ان كتاب الفجار لفي سجين)

وما كان اختلاف أولئك القوم في الشؤن الا لاختلافهم في النوايا والاحوال لاختلاف القوابل والاستعدادات والله على ما أقول وكيل

وبيان ذلك يشير اليه قوله تعالى (منكم من يريد الدنيا ومنكم من

يريد الآخرة) وقوله تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من خلاق) وقوله (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً)

فكان من القوم من راض نفسه بالكف عن الشهوات والأغراض لكي يتهيأ بذلك الى الاحاطة بالمعلومات الكونية فيكون في أرقى درجات العلم الكسبي حتى اذا ماوقف على حقائق المعلومات كان له الحق في أن يتصف بوصف حكيم الذي هو مدلول لفظ فيلسوف في لغة من اللغات وهذا هو حال الطائفة التي اذا تعالت همة فرد من افرادها وكان ذا نفس قوية انتهى سيرها به الى أعلى مؤثر في المؤثرات العلوية من طريق التخيل والظن فظن انه هو الاله الاكبر ولقد تعرضت تلك المعلومات لابراهيم عليه السلام في مبدء امره فتداركته العناية الالهية واختطفته من هذه الطريق المخيفة المهلكة الى طريق النجاة كما حكى الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله (فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي) الى أن قال (لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين) يريد من اهل هذه الطائفة الذين اتبعوا الظنون . فخالطهم الجنون . وظنوا انهم هم المهتدون . وما كان لنا أن نتكلم على أحوال هذه الطائفة الآن لانا في طريق نبتغي الوصول الى نهايتها بياناً وايضاحاً حتى يتبين الرشد من الغي والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فمن كان هذا حاله كان من الذين ردوا الى أسفل سافلين بعد رقيهم في المعارج الروحية واليهم الاشارة بمثل قوله تعالى (ثم رددناه أسفل سافلين) لان الذي يدخل دار الخلافة متسللاً بلا اذن ولا مرشد لا ينتهي أمره الا الى الطرد والحرمان مهما بلغ به السير والتجول في افنيتها بل ربما قوبل بالنهر والزجر المنيف والله لا يحب المعتدين

وأما الفريق الثاني وهم الذين وقفوا مواقفهم العلوية وما صعدوا ولا نزلوا فأصبحوا نادمين فهم الذين كفوا نفوسهم عن الشهوات حذر الوقوع في المناهي الشرعية ليصلوا بذلك الى رضوان الله تعالى والى الاقتدار على سلوك طريق النجاة التي هي سبيل الاخلاص التي لا يسلكها الا من امتطى الجواد الذي ضربنا به المثل في كتابنا المسمى (بمثبت العقل والدين في الرد على سفهاء المبشرين) وما هو الا الدين الاسلامي الذي ارتضاه الله لاحبائه أنبياء كانوا او رسلاً او مؤمنين من أول فرد من أفراد النوع الانساني الى أن تنتهي آماد الدنيا فمن كان هذا حاله ترقى به اخلاقه الكمالية من طريق الفتوحات الربانية الى نهاية قابليته واستعداده فيقف هنالك موقف الضعفاء عالماً بأن وراء مرماه مرامي ماوصل اليها مد بصره فيغدو كظمآن عاقه عائق عن ورود ماعلم أنه قريب منه من الموارد العذبة وقد وردها الواردون (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

وأما الفريق الثالث وهم أهل الاختصاص الذين منهم الرسل والانبياء وأكابر الاولياء الذين هم الورثة للنبيين فهم الذين لا يزالون في رقي وصعود حتى لا يبقى بينهم وبين مطلوبهم الذي هو أهم المطالب الا قدم واحد وذلك القدم هو المشار اليه بقوله تعالى ثم (دنى فتدلي فكان قاب قوسين

او أدنى) وتلك المعارج منها ما يكون عن رياضة وهي معارج أهل المجاهدات ومنها ما يكون اصطفائيا وهي معارج الرسل الكرام ومن سبقت لهم العناية من المقربين الذين أصبحت سيآتهم حسنات الابرار ومن أراد أن يعلم كيف تكون حسنات قوم سيآت آخرين فليطالع من كتاب الفتوحات مقابلة المقامات بأضدادها التي جاء بها ذلك الامام الكامل الذي عرف بأنه مربي العارفين فقد جاء هناك مبينا حال التوكل مثلا ثم يرجع الى بيان ترك التوكل وهكذا فعل بكل مقام من مقامات السالكين فمن سلك تلك المقامات كان من الابرار ومن رقي الى اضدادها كان من المقربين فتكون تلك الحسنات بالنسبة لمن تحقق بما وراءها سيآت والله يقول الحق ويهدي السبيل

وما أوردنا هذا الكلام الا ليعلم أولوا الالباب أن المعارج الاصطفائية التي دعى الله اليها أحباءه ليطلعهم على عجائب مملكته العظمى لا تقاس بها المعارج الروحية التي ينالها المتريضون على أي حال كانوا أي سواء كانوا سعداء أو أشقياء وكذلك لا تقاس المعارج الاصطفائية ببعضها لما قررناه سابقا اذ قلنا أن منها ما يكون داعيه العناية ومنها ما يكون داعيه الوقاية كما سبق بيانه وويل للمكذبين وما كنا مكلفين أيها الاخوان بأن نبصر القوم الذين جعل الله على أبصارهم غشاوة حتى يتبينوا الامر على ما هو عليه لما في ذلك من معارضة الاقدار الالهية في أعمالها ولكنا منوطين بارشاد من شاء الله أن يهديهم والله لا يهدي من هو مسرف مرتاب

فليعلم العقلاء منكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان الا سراجا منيرا داعيا الى الله باذنه ولقد بينا لكم من قبل قليلا من قواعد

دينه وسنأتيكم بأكمل ايضاح في النهاية والله ولي التوفيق والهداية فمن وجد منكم من نفسه شائبة ارتياب في دينه أحدثتها تمويهات هؤلاء الضلال فليطالب هؤلاء المنكرين ببرهان التكذيب فان مدعي الصدق مثلا اذا لم يجد برهانا يساعده على صحة دعواه الا الشهرة والتواتر والاجماع لكان له الحجة البالغة اذ لا يجد متدين أي دين دليلا على صدق دينه الآن الا هذا البرهان واما المكذبون فقد جاؤا ببهتان عظيم

فان قالوا ان نبيكم ما عرف ما هو المعراج الا من أنباء المتقدمين كما زعموا نقول ليس الشأن هنا دعوى معرفة اسم المعراج ولكن الشأن هل عرج به أم لا وذلك أمر ادعاه بين قوم عقلاء فصحاء أهل نباهة وادراك وقد حاجه في تلك الدعوى الغالب منهم وأقام لهم البراهين الدالة على صدقه وصدقوه وآمنوا بأنه ما حدث الا بما رأى وما كان الخلاف بين علماء الامة في العروج هل كان أو لم يكن ولكنه كان في حاله هل كان بالروح أو بالجسد وسنتكلم على ذلك بما يقنع كل مجادل

وان قالوا ان الامور التي شاهدها في السماء لا يقبلها العقل وما هي الا منقولة عن خرافات المتقدمين كما زعموا . نقول ان نبأ المعراج جاء من طريقين طريق القرآن وطريق الحديث فاما طريق القرآن فقد أجمل الله في الاخبار به كل الاجمال كما يعلم من مطالعة الآيات التي جاءت في موضوعه في سورة الاسرى وفي سورة النجم ولقد علم العقلاء صدق القرآن من طريق اليقين التي لا يتخللها ريب بوجه من الوجوه الزيغية وما علينا من هذي المجانين من بأس

واما طريق الحديث فقد ثبت منها صدق العروج والاسرى بكل

حديث منقول في هذا الشأن وما كنا مكذبين بأي حديث سمعناه منها سواء اتصل سنده أولم يتصل لموافقة كل الاحاديث الكتاب والسنة وهذه هى القاعدة التي أسسها رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتناولين لحديثه الشريف وما علينا من بأس في قبولها كلها اذ العقل السليم لايجد مانعا من قبولها وذلك لوجوه منها ماذكرناه قبل من ارتباط العالم العلوي بالسفلي وجواز حلول من تتوفر فيه شؤن القوابل والاستعدادات في أيهما حل كما سبق ايضاحه لان الله سبحانه وتعالى ليس بعاجز عن الاتيان بخوارق العادات ولو بحثنا في كل مصنوعاته لوجدناها كلها على غير مثال معهود ومن زعم أو يزعم أن قدرة الله تحكم عليها الطبائع والعادات فما هو الا كافر جهول ولقد أشار الحق سبحانه وتعالى الى عظم قدرته بمثل قوله (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) فمن كان مؤمنا بأن الله سبحانه وتعالى هو الموجد لجميع الموجودات ثم يشك في قدرته على أن يبدل حالها فليس بذى عقل ولا فكر سليم

اذا فليس من المحال رقي من اراد الله من البشر رقيه الى السماء بأي حال يريد

وعلى هذا يسوغ لنا أن نتناول جميع الاحاديث الواردة بالقبول والتسليم وان وجدنا فيها تناقضا فما علينا الا التأويل الذى يزيل التناقض ان استطعنا اليه سبيلا ولكن أهل العدوان ربما أولوا آيات القرآن الحكيم التي لاتقبل التأويل الى مايلائم أغراضهم واذا صادفهم حديثان بينهما خلاف لفظي شنوا الاغارة على الرواة ظلما وعدوانا وما الله بغافل عما يعمل الظالمون

جاء القوم السفهاء ينكرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بعثه ويجحدون المعراج جهلا بشؤن الالوهية . وتعجيزا للقدرة العالية . واتباعا للهوى واسترسالا وراء التعصب الملي الذي أركس الجهلاء في جهنم جميعا لما سمعوه من أنه رأى آدم وغيره من الانبياء الى آخر ما أوردوه ثم سموه خرافة

وانا لمرشدوكم أيها الاخوان الى معالم الحق المبين لتقفوا في مطالعة مؤلفات هؤلاء الضلال عند حد قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) وما من نادم تحيط به حسراته يوم القيامة وتعلو عليه زفراته أشد ندما ممن يصيب بسيآت ظنونه الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو ينكر على أولياء الله احوالهم وما من طريق للجهلاء اسلم من طريق تسليم الاحوال لاهلها واعني بالجهلاء اهل الغي والزيغ الذين اضلهم الله على علم واحاط بهم الغرور والطيش فظنوا ان اولياء الله كاذبون وان قدرة الله لاطاقة لها بقلب العادات الطبيعية التي عليها الاشياء لظنهم انها حقائق لايمكن قلبها وما علموا ماهي الحقائق اذ لا يحيط بحقائق الاشياء علما الا موجدها وما اجهل من يجهل كثيرا مما في نفسه و يدعى علم ما عليه غيره والله على كل شيء وكيل

فاما استنكار القوم العروج بالجسد فما هو الا جهل مهلك وضلال بين وذلك لاننا لو سلمنا صدق الحديث الوارد عن عائشة عليها السلام فلا نجد فيه وقفة توجب الشك في صدق الحديث النبوي لانه من المعلوم انها ما كانت تقضي ليلها متيقظة حتي يقال انها جاءت مكذبة للاحاديث

ولكنها ما شهدت الا ما علمت . ولو قلنا انها لم تنم في تلك الليلة لكان لقائل ان يقول ان قدرة الله صالحة لان تمثل لها مثل نائم كيلا يزعجها تفقد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لم تجده كما انه لا حرج علينا ان قلنا انه أسري به بروحه حالة كونها متجسدة كما تتجسد الارواح النورانية ولا يهولنا مسألة شق صدره وغسله بماء زمزم وافراغ الحكمة فيه فان ذلك امر كان ملكوتيا لا يدري كيف كان الا من تولاه من الملائكة اذ من المعلوم انه لم يكن عمل طبيب جراحي ولا فتكا بمدية جازر كما توهمه اهل الفسوق والجدل ومتى كان أمرا ملكوتيا لا يستبعد وقوعه للجسد البشري او للروح المتجسدة الا كل غبي مفتون لان الاله القادر على رتق فتق الاجساد الطبيعي الذي يحصل بالآلات الجارحة وعود الجسد على ما كان عليه بالحال التي لا يعلمها احد غيره الا من طريق الظن قادر على كل عمل يريده ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

وانه لمن المعلوم ان المعراج ما كان له من داعية الا ما اراده الله سبحانه وتعالى من اطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على عجائب مصنوعاته ليكون ايمانه الذي هو بمعنى العلم هنا علما عيانيا لا تخالط أنواره ظلمات الشبه بوجه من الوجوه وليخبر أمته بما هو الامر عليه في الشؤون الغيبية التي ضل عنها أبو العلاء المعري فقال

ماجاءنا من قال منهم أنه * في جنة من مات أو في نار

وماعني بقوله منهم الا الاموات ألا فاعجبوا لغباوة ذلك الضال وقد كان أزكى أهل زمانه ولفساد فكره اذ كذب انباء النبيين وانكر البعث بعد الموت محتجا بذلك القول الفاسد مع علمه بأن النائم لا تصل اليه انباء

من حوله من المتيقظين بحال من الاحوال كما لا يصل نبأ ما يراه في نومه اليهم وهو بجانبهم ونصب أعينهم مع أن روحه لم تفارق جسده مفارقة كلية فكيف اذا يكون حال الميت الذي انتقلت روحه الى عالم غير الذي كان فيه فهل يطمع طامع عاقلا كان أو معتوها في أن تصل انباؤه اليه مع تباين الحالين تباينا كليا فلذلك أرى الحق سبحانه وتعالى نبيه أرواح النبيين متجسدة بالحال التي شاهدها ليعلم هو وأمته علم اليقين أن البعث لا ريب فيه ثم تم له البيان بحال آدم عليه السلام الذي أراه اياه مع بنيه ليعلم كل من بلغته دعوة الرسالة أن الجزاء لا بد منه ثوابا وعقابا وما كانت أعمال الله سبحانه وتعالى بخالية عن حكم علية فويل يومئذ للمكذبين وان من عجائب الصدف أن الامام ابن عربي محيي الدين رضي الله تعالى عنه كان يطوف حول الكعبة والناس في شديد ازدحام فرأى من طريق الكشف روحا متجسدة في الطواف تتخلل أجساد الطائفين وهم لا يشعرون فحبس نظره عليها حتى أدركها وقال لذلك الجسد من انت يرحمك الله فقال له أنا السبتي أخو هارون الرشيد وقد كان قطب زمانه فسأله عن أشياء واجابه عنها ثم غاب عن بصره وما برح من مكانه وكثيرا ما يرى أولياء الله الارواح متجسدة ويخاطبونها ولكن أهل الزيغ في ضلال مبين

وليعلم كل منكم أيها الاخوان أن النوع البشري ما تحمل امانة أصعب ولا اشد خطرا من تبليغ الرسالة ولا يكلف الله سبحانه وتعالى بها الا من علم منه القيام بأداء واجباتها علما وحالا وقولا وعملا ولا يكون هكذا الا من علمه الله واطلعه على كثير من أسرار الربوبية اطلاعا عيانيا

ليكون متثبتاً في أمره صادقاً في عزيمته داعياً اليه على بصيرة من الامر وما كان المعراج روحياً كان أو بدنياً الا لهذه الدواعي وعلى أي حال كان به العروج فما كان الا محمولا حملا ملكوتياً يجهله الزائغون وينكره المضلون وما كان البراق الذي حمله من الدواب التي تشارك المنكرين في أوصافهم البهيمية من أكل وشرب وبراز وما كان مسرجاً ولا ملجماً بما تسرج وتلجم به الدواب ولكنها شؤون ملكوتية لا يعلم كيف كانت الا بارئها ومبدعها (فلا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل)

ولكن من أعجب ماوقع من هؤلاء الضلال أن قالوا ان بسم الله الرحمن الرحيم مأخوذة من كلام بعض الكتب القديمة المحتوية على رسائل كان أول كل رسالة منها بسم الله المعطي الغافر الرحمن العادل فلو فرضنا أن البسملة كانت في كل كتاب منزل او غير منزل بحروفها والفاظها هذه فهل يكون وجودها في القرآن قادحاً في صحته وهل جاء القرآن بطريق في العبودية والآداب تخالف طريق النبيين والكتب السماوية وهل افتتح صاحب تلك الرسائل رسائله بهذا القول الا بالهام من الله او نقل عن رسول من رسل الله او لكون الرسائل منزلة

وعلى هذا يجب على المؤمن الحق ان يسأل اهل الباطل بقوله اذا كانت البسملة كما تزعمون وقد علمنا بركتها واسرارها واتخذناها مفتاحاً لكل عمل نرجو بركته والانسان لا يعامل الا بظنه ونيته وقد اصبح حالنا في اعتقاد البسملة وجميع آيات القرآن يقيناً لا ظنياً انه من عند الله . فما حالكم ايها السفهاء في كلمة الكفر التي افتتحتم بها عباداتكم اذ تقولون

بسم الآب والابن والروح القدس اله واحد مع علم كل عاقل ان تعدد الآلهة ممنوع وانه لا يكون الابن اباً ولا الاب ابناً ولا يجتمع الوصفان في موجود واحد الا اذا كان الأب اباً لغيره والابن ابناً لغيره فمع التناسل والتسلسل يصح ان يكون الأب بعد ما كان ابناً صار أباً كما هي حال البهائم والآدميين وجميع المخلوقات فكيف اذاً تتصورون كون الأب ابناً وأباً ومعهما ثالث ويكون الكل واحداً فان كان التصور معقولاً يدركه المتصورون فقرروه لنا تقريراً ندركه من طريق التصور . وان كان ذلك امراً وهمياً فتثبتوا بأي طريق توهمتموه

ألا قاتل الله الغبي وقومه ٭ ومن كان ميالا لغي غباوته
ولا سر يوماً بالغبي صديقه ٭ ولا فرحت بالوغد اخت لخالته

ثم قال الا لعنة الله على الظالمين الا هل من قائل لهؤلاء الاغبياء اتنكرون القيامة وما فيها ام تعترفون بها وما فيها فان انكروها علمنا انهم من الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا وظنوا انهم الى الله لا يرجعون ومن كان هذا حاله كان هو وعبدة الاوثان سواء فلا حاجة لنا بجداله . وان اقروا بصدق القائلين بالبعث والنشور فليسألهم السائل عن حال القيامة كيف يكون ومن أين وصلتهم أنباؤها واذا لم يكن فيها نار ولا جنة ولا ميزان ولا صراط فماذا يكون فيها فان أجابوا بوجود أشياء غير التي جاء بها القرآن فليقل لهم بأي حال تميزت أنباؤكم عن أنباء القرآن حتى يكون الوثوق بها أقرب من الوثوق بآيات الكتاب الحكيم . فان قالوا ان الانجيل صادق الانباء فليقل لهم انه قد تشابه على الناس أمره بمغايرة بعض الكتب لبعض

واعترافكم بأن من الاناجيل ماهو مصطنع ومكذوب ثم يقول يا أيها السفهاء ما وجهتكم في تكذيب أنباء ما اطلعتم على أصولها وماجاءكم رسول من الله بتكذيبها انكم والله لفي ضلال مبين فهل كانت موافقة القرآن للأنباء التي تناولها القدماء عن الانبياء سبباً في فتنتكم ام اصبح اقتنافكم بالمسيح سبباً في كفركم بآيات الله ورسله أم انتم من شياطين الانس الزائغين الذين افتتنوا بفلسفتهم الطبيعية فأصبحوا خاسرين

ثم قال واعجباً لطغيان من لايستحي ولا يخاف كيف يورده النار وبئس الورد المورود قام القوم السفهاء يزعمون أن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه كان أحد المعلمين لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه كان ملازماً له فهل من عاقل يرد هؤلاء الضلال عن غيهم بقوله اذاً يكون سلمان أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم وأعقل منه وأوعى وأفصح كلاماً وأرقى منزلة فلماذا لم يكن عند القوم بمنزلة كمنزلة محمد صلى الله عليه وسلم ولماذا لم يدع انه صاحب الفضل ولماذا لم تأتونا بحقيقة من الحقائق الكثيرة التي استفادها محمد صلى الله عليه وسلم من سلمان الفارسي كما زعمتم وكيف يكون ذلك مع ماهو معلوم أن سلمان وغيره من كل الصحابة كانوا يستفيدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما يحتاجون اليه من التعاليم والآداب وهل تكون اشارته له بأعمال المنجنيق دليلا على انه كان يعلمه القرآن او لم يقل له ربه (وشاورهم في الامر) ألا هل من صاعقة كصاعقة عاد وثمود الذين جحدوا انباءهم وسموها خرافات كخرافات العجائز تختطف كل من تغالى في البغي وتجول في مجال الجحود الى حد لا يخاف فيه لومة لائم (وما هي من الظالمين ببعيد)

(الكلام على الفصل السادس)

قل للنزيل وقد طالت اساءته ☆ يامزعج الجار لاحييت من جار

أترك هواك وكن للرشد متبعاً ☆ فظلمة الغي قد تلقيك في النار

أتدعون وأنتم مظلمون عمى ☆ تنوير أفهام أهل النور بالقار

ثم نادى ذلك الرجل اهل ذلك النادي وقد غربت شمس ذلك اليوم ونادى منادي الصلاة بحي على الفلاح قائلا أيها الاخوان لقد أمسينا وأمسى الملك لله الواحد القهار وسنصبح ان شاء الله نحن وأنتم في كنف الله وفي كنف رسول الله وفي كنف القرآن العظيم وفي كنف بسم الله الرحمن الرحيم

ثم قال لقد افتتحنا يومنا هذا باسم الله وبحمد الله اختتمناه فبكروا في الغد بكور الغراب فما اجتمع جماعة من المؤمنين الا وفيهم ولي الله لا هو يعرف نفسه ولا القوم يعرفونه ثم انصرف قائلا عند سماع الاذان اللهم ان هذا اقبال ليلك وادبار نهارك وأصوات دعاتك اغفر لي اللهم احينا مؤمنين طائعين. وتوفنا مسلمين تائبين. واجعلنا يوم الفزع الاكبر آمنين. وثبت اقدامنا على الصراط المستقيم وادخلنا برحمتك وكرمك في جنات النعيم يابر يارحيم ياحليم يا كريم

ثم لم تشرق شمس الغد من هاتيك الليلة المباركة الا وقد تم الاحتفال واستقبل القوم قادمهم الى الجنة ببشاشة القبول وهشاشة الترحاب فجلس مكانه بالامس ثم استدعى ذلك المؤلف وقال . اللهم اني اسئلك الآن أن تدفع عني كيد الحاسدين وظلم الظالمين وشر المعاندين واحمني تحت سرادقات عزك يا اكرم الاكرمين وباعد بيني وبين اعدائي كما باعدت

بين المشرق والمغرب واخطف عني ابصارهم بنور قدمك واضرب رقابهم
بجلال مجدك واقطع اعناقهم بسطوات قهرك . واهلكهم ودمرهم تدميرا
كما دفعت كيد الحاسدين عن انبيائك . وضربت رقاب الجبابرة لاصفيائك
وقطعت اعناق الاكاسرة لاتقيائك واهلكت الفراعنة ودمرت الدجاجلة
لخواصك المقربين وعبادك الصالحين فاغثني واعني على جميع اعدائي
انك على كل شيء قدير . اللهم من كادنا فكده ومن تعدى علينا فخذه
ومن اراد بنا وبالمسلمين ضررا او سوأ فعليك اللهم به فانه لا يعظم عليك .
يارب العالمين

ثم تأمل في ذلك المؤلف طويلا وقال بعد ما تبسم ضاحكا متعجبا
من سفه القوم وسوء افتتانهم . لقد صدق القائل ان اكثر مصارع
العقول تحت بروق المطامع وما أوقع هؤلاء القوم في ورطات هذا المقت
الأبدي الذي اركسهم في جهنم جميعا فالبسوا الحق بالباطل الا خسة
الطباع التي الجأتهم الى الطمع فيما لا مطمع فيه بغير تمييز بين النافع والضار
ولقد قيل رأس العقل التمييز بين الجائز والممتنع واني لاعجب من هؤلاء
الانعام كيف يرزقون ولكن الامر كما قال الشاعر

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل * ويكدي الفتى في دهره وهو عالم
ولو كانت الارزاق تجري على الحجا * هلكن اذا من جهلهن البهائم

ثم قال ما اقبح الحماقة وما اضرها باهلها وما من حماقة اشد ضررا
من حماقة من جاء يهدم قواعد دين قويم متين مضى عليه ثلاثة عشر
قرنا وهو منيع الاركان قويم البنيان . وهل تعمل معاويل الزيغ والزندقة
في قوائم الحق القويم شيئا لان هذا لهو الضلال البعيد .

قيل لبعضهم ايسرك ان يكون لك مائة الف درهم وتكون احمق
قال لا والله قيل ولم قال لأني أخاف أن يجني علي الحمق جناية تذهب
بالمال ويبقى الحمق . وقال بعضهم من جهل المرء أن يعصي ربه في طاعة
هواه . ويهين نفسه في اكرام دنياه . وهل من عصيان اكبر من معادات
سيد المرسلين . وهل من اهانة أشد ضررا من التقرب الى جهنم بافساد
عقائد المسلمين

ثم قال واعجبا لحليف المزابل كيف لا يقع الا في أعراض الملوك .
وهل من الأدب أن يفتخر جاهل بسمة جاه الانبياء وبنسبته الى بعضهم
مجرد انتساب ديني مع ما هو عليه من قبح الاخلاق وقد قال القائل

أيها الفاخر جهلا بالنسب   انما الناس لأم ولأب
انما الفخر بعلم راجح   وبأخلاق حسان وأدب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته (اعملي يا فاطمة فان
محمدا لن يغني عنك من الله شيئا) فكيف اذا يسوغ لهؤلاء الجهلاء التفاخر
بالانتماء لدين المسيح وما علموا ما هو الدين ولو أنهم تدينوا بدينه الحقيقي
لانزلوا الناس منازلهم ولما خاضوا في ما ليس لهم به من علم ولا لآبائهم
ثم اشتد غضبه فقال (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا)
ولقد ورد في كلام النبوة . من لا حياء فيه لا خير فيه . واذا لم تستح
فاصنع ما شئت

ولقد علمتم أيها الاخوان ما كان عليه المسيحيون والمسلمون من
الروابط الودية . من عهد النبوة المحمدية . حتى الآن وعلمتم ما كان من
سفهائهم في هذا الزمن اذ جاؤا من السب وسوء الأدب بما لم يأت به سن

أسلافهم الا بعض افراد كانوا من حلفاء الطايش والفتون وما كانوا الا ممقوتين في أعين عقلاء تلك الأمة وما كان لهم من سيرة تذكر. ولا من أخبار تنشر. واما سفهاء هذا الزمن منهم فقد قذفوا بأنفسهم في مهواة الهلاك من حيث لا يشعرون وما كان لحالهم فيما جاؤا به من الاضاليل من شبه الا حال سفيهة جاورت كراما قد أحسنوا جوارها وعاملوها بما تقتضيه اخلاقهم الطاهرة فكانت كلما مالوا الى اكرامها أضمرت لهم الاهانة حتى قويت شوكتها فأطلقت لسانها عليهم بالسب والقول الفاحش واستعملت معهم كل قسوة وفظاظة وخيانة وقامت تدبر كل حيلة لكيدهم والله لا يهدي كيد الخائنين

لقد جاء القوم في هذا الفصل السادس بما يضحك أولي الالباب وما محصله الا أنهم استدلوا على أن قوم محمد صلى الله عليه وسلم كانوا عقلاء وكان منهم في زمنه من يسخر من الاوثان وعبادة العابدين لها ويعترف لله بالوحدانية ومنهم من كان على علم بدين ابراهيم عليه السلام. وانهم كانوا يبحثون كل البحث على الاديان الصحيحة. وذكروا ابياتا لبعضهم في هذا الشأن تدل على أن صاحبها كان ذا خبرة بالدين الحنيفي وكان يوحد الله وزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتخذ عقيدة ذلك الرجل عمدته في اقامة دينه وزعموا أن آراء زيد بن عمر أثرت على دين محمد تأثيرا عظيما وأنه استغفر له ولم يستغفر لأمه وما ذلك الا لانه كان يساعده على مباديه الدينية الى آخر ما زعموه. ثم اعترفوا للنبي صلى الله عليه وسلم بالمهارة والزكاء ووفرة العقل وحسن السياسية. ثم اعترفوا بأنه اتي من أحكام التوحيد بأمور نافعة بعد ما جاؤا بما جاءت به صاحبة منار الحق الخاطئة من أن آيات القتال الواردة

في القرآن الكريم دلة على أنه من مخترعات محمد صلى الله عليه وسلم. وبعد هذا كله دعوا الناس الى تلاوة الانجيل ومتابعة المسيح عليه السلام والاعتراف بألوهيته الى آخر ما جاؤا به من الخرافات التي تزري بقدر من يتفوه بها ان كان السامع عاقلا وله من الذوق نصيب يدرك به ما أضمره المتكلم من فحوى الكلام اذ الكلام ما هو الا صور تتجسد بها أرواح ضمائر المتكلمين. فتجتذبها اوعية الآذان لتعرضها على نقاد تصورات المخاطبين. فلا يقبل ما كان منها معلولا الا من لا يحسن التصور والله يقول الحق ويهدي السبيل

زعم السفهاء من القوم فيما قبل هذا الفصل أن أنباء عاد وثمود واصحاب الفيل كانت من الخرافات المعروفة في قريش وانها كانت تذكرها العجائز في أنديتهن صباحا ومساء الى آخر ما زعموا وانه لكلام مدهش لا من طريق أنه ضرب من الجنون لا ولكن من طريق أنه صدر من قوم جاؤا بأنباء كثيرة من كتب متفرقة وأوردوها تواريخ ولم تثبت صحة وجودها في تلك الكتب فأثبتوا بذلك أن لهم في الاطلاع والمعرفة القدم الثابت والنظر الواسع ولكنهم لما ادعوا دعواهم الباطلة في أنباء عاد وثمود وأصحاب الفيل أحدثوا في القلوب شكا في حالهم يفيد أن النصوص التي جاؤا بها في مؤلفهم ما هي الا تعاليم فيلسوف ماهر زنديق ألقاها اليهم ثم تركهم في خوضهم يلعبون لانهم لو كانوا أهل اطلاع ونظر وكانت لهم قلوب يفقهون بها لسبق الى فكرهم ما أدركه المطالعون لاقوالهم الزيفية الآن من أنه لو كانت أنباء عاد وثمود معلومة هنالك لقريش كما زعموا وكانت من تخاريف العجائز منهم لكانت هي الضربة القاضية اذ ذاك على رسالة من جعلها قرآنا وادعى أنها من الوحي السماوي ولكانت سببا في نفور من آمنوا

به منه . ولقالوا له مقالة قوم موسى لموسى ما حكاه الله عنهم بقوله (قالوا أتتخذنا هزوًا) فأجابهم بقوله (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) فهل لعاقل أن يتصور أن رجلا عاقلا كاملا شهدت له بالزكاء ووفرة العقل ومكارم الاخلاق وحسن الآداب اعداؤه . وشهدت برفعة من اقتفى أثره الى ذروة المجد أحباؤه يصدر منه عمل كهذا العمل الذي زعموه فيأتي بخرافات سمعها الاطفال من عجائز الحي كما زعموا ويدعيها وحيًا بين قوم عادين منكرين متكبرين وبين أمة آمنت برسالته لما تحققوه من كمال عقله ونزاهة أخلاقه تالله ان هذا التصور لا يكون الا من ذي عقل مفقود وجنون مشهود أو اضلال مقصود (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا) وان تعجب فعجب قولهم ان نبأ أصحاب الفيل من الخرافات مع أن تلك الواقعة الشهيرة النبأ ما كان بين الزمن الذي كانت فيه وبين زمن البعثة الا اعواما لا ينقرض فيها كل من شهدها وما كانت تلك الواقعة الا في مواطن قريش وبين منازلهم اذًا فيكون تكذيب هؤلاء الضلال لجميع الانباء ما هو الا من هذا القبيل وانهم اذًا لهم الكاذبون لأننا ما سمعنا بمن كذب واقعة الفيل من كفار قريش الذين كذبوا القرآن والرسالة وجحدوا الألوهية وكانوا كلما جاءهم بآية قالوا ان هذا الا افك مبين . فكانوا هم الاحق بتكذيبه في دعوي وقوعها والوقوف في وجه قائل ذلك القول وقوف المجادل المحق وربما كانت تنهاز دعائم دعواه اذ ذاك بتلاطم أمواج ذلك الافتراء المتتابع الذي ما جاء بمثله مخلوق غير المشعبذين الذين لا حرفة لهم غير الاباطيل واختلاق ما لم يخلق . وهل لمتصور أن يتصور أن انسانا يدعي دعوي باطلة بين أقوام عقلاء أهل نباهة ثم يبني قواعد دعواه الباطلة

على الاكاذيب والخرافات المتداولة بينهم ثم يغدوا مؤيدًا منصورا في الحياة وبعد الممات ثم تمكث دعوته ألف عام وثلاثمائة عام . وهي مرفوعة الاعلام كأنها غرة في جبهة الايام . أظن أن ذلك الهذي لا يحوم حول دائرة التصور بوجه من الوجوه . الا هل من متأمل . الا هل من متبصر قوي الشوكة ذي نعلين يصفع بهما وجه كل بطليل مهبول

قام القوم الضلال بين شبان أزمانهم وفي وجوه جهلاء العامة في اوقاتهم قيام الفتيان الذين اغتصبوا حرفة الراقصات وأخلاق الباغيات فأصبحوا ممقوتين في أعين الخلق والخالق وانها لحرفة تشين الاحوال . وتزري بالرجال لا خجلين ولا خزايا يقولون ما نقله عنهم أصحاب هذا المؤلف . وما كان لهم أن يتتبعوا آثار هؤلاء السفهاء الذين جاؤا بما أوردناه مجملا . وسنأتي به مفصلا . فنقول والله يقول الحق ويهدي السبيل

ذهب القوم الذين ما شبهناهم بمن وصفوه العوام بوصف الخول الا لجرأته على الفظائع وعدم المبالات والاكتراث بلوم اللائمين . واعتراض المنتقدين . الى أن قريشا كان منهم من هم الموحدون والباغضون لعبادة الاصنام وزعموا أن أولئك القوم الذين كان عددهم اربعة أشخاص كما زعموا كانت اعتقاداتهم هي مبدأ أصول الدين الاسلامي ثم أوردوا شعر زيد بن عمرو دليلا على ذلك وأيدوا ذلك الدليل بأن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر له ولم يستغفر لأمه وقالوا انه كان ممن لهم اليد الطولى في تعليم النبي صلى الله عليه وسلم

ألا فاعجبوا أيها الاخوان . من هؤلاء الخوان . كيف أودي بهم الجهل وأدام الى أن لا ينظروا كيف تكون عاقبة مكرهم فكأنهم ظنوا أن

لايصغى لما قالوا الا من لاعقل له فوهوا بأباطيلهم تمويها لا يتوهم صدقه الا كل غبي مفتون وذلك لان الشعر الذي أوردوه لا يوثق به برهانا الا على من يدعي أن الله سبحانه وتعالى ما كان معروفا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانه ما كان على وجه الارض من موحد قبله اذا فيكون لمورد ذلك الشعر أن يقول له كذبت لان زيد بن عمرو كان من الموحدين وكان قبل محمد . ولكن هذه الدعوى لم يدعها مدع لا في زمن محمد ولا في مابعده اذ اليهود كانوا موحدين لا يعلمون لله شريكا وكم من أمم انبياء ورسل كانوا موحدين قبل نبوة هذا الرسول الكريم وكم كان في الكون من أديان مختلفة وكان الغالب من أهل تلك الاديان يعتقدون وجود الله ووحدانيته حتى أن عبدة الاوثان كانوا يقولون ما حكاه الله عنهم بقوله (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) كما ذكرنا سابقا في وجه هؤلاء الضلال في الاستشهاد بتلك الاشعار أو بعقائد هؤلاء الاشخاص الذين ذكروهم أولم يعلموا أن الله الفاعل المختار كلما اقتضت ارادته ايجاد موجود يغاير حاله حال الموجود في الزمن الذي يكون قبل وجود ما تعلقت الارادة والقدرة بايجاده يهيئ له استعدادات وقتية تجري عليها احكام الوقت سواء كان صلاحا أو فسادا فيما يراه الناس وان العقلاء ليعلمون ذلك ولقد شاهدنا وقائع ذلك في مثل واقعة العرابيين التي جعلها الله سببا لضعف الايمان في قلوب كثير من الناس وقلوب الغالب من الوجهاء وسببا لهجر المناسك الدينية من القوم الذين أصبحوا لا دين لهم فكنا في ذلك الوقت لا نسمع من الاطفال مما تلهج به ألسنتهم الا التغني بقولهم

يا ديني يا مه منا ديلي يا مه وكانت هي مفاتيح الاغاني العرابية في

ذلك الوقت وما كانت الا نعيا للدين والمناديل التي تضعها النسوة على وجوههن ورؤسهن عند التستر عن أعين الناظرين وما زالت تلك الاغاني اغانيهم حتى استغنوا عن الدين والمناديل بالتمدن والابتذال وكذلك اذا اقبلت الاقدار بخير سابقتها الالطاف ببوادره فما كانت بواعث الخير التى بعثت زيد بن عمرو ومن معه الى تفقد الدين الحقيقي الا بوادر الطاف . وعناية اسعاف . حتى اذا جاء صاحب النبوة وجد قلوبا ملهوفة . وافئدة مشغوفة الى ماجاء به من الحق ولكن كثيرا من الناس لا يفقهون . ولن يتحقق ماذكرناه الا من كان ذا أذن واعية وقلب يقظان له عيون تبصر سريان الاقدار الالهية في الاكوان والله على ما اقول وكيل

وما كان استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الرجل الا لما علمه منه من صدق العزيمة على الرشد لو وجد مرشدا بدليل مانقل عنه من قوله لربه . اللهم لو انى أعلم أي الوجوه أحب اليك عبدتك به ولكني لا اعلمه وما كان هذا القول منه الا عن طوارق اذعان . وبوادر ايمان فأي نبي يسمع عن رجل هذا الكلام ولا يستغفر له وان في ذلك القول لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد وذلك لان ذلك الرجل العاقل كان في أمة اجتمع فيها اليهود والنصارى وعبدة الاوثان فما ميز دينا من الثلاثة عن الآخر ولو أنه وجد في احد الاديان الثلاثة خيرا لاتبعه ولكنه ما رأى الا قوما ضالين فهجر الكل والتجأ الى جناب الحق سبحانه وتعالى ليهديه سواء السبيل

فلو اننا قلنا ان الله سبحانه وتعالى بث في قلب ذلك الرجل وامثاله طلائع الحق وبوادر الدين في دياجي تلك الظلمات الزيغية مقدمة لانوار

الرسول الكريم كما يكون الاسفار البين للشمس قبل بزوغها أيكون ذلك نقصا في درجة النبوة أو عيبا في الدين (كلا) ان القوم لفي ضلال مبين

فيا ايها العقلاء سلوا هؤلاء الجانين عن الوعد والوعيد الذي جاء به زيد بن عمرو في شعره بالجنة والنار من أين أتى بهما وعن توحيد الاله من أين عرفه وعن الموؤدة والتي حرمها وأحلها اليوم علماؤهم ما كان منشأ هذا كله هل جاء به زيد بن عمرو من تلقاء نفسه أم هو من الروابط الدينية التي تدين بها الخليل عليه السلام وكذلك سلوهم كيف علم أن الله سبحانه وتعالى له اسماء منها الغفور ومنها الرحمن هل كان ذلك من نبأ الانبياء أو من مخترعات زيد. أظن ان كل عاقل يعلم علم اليقين أن هذا كله كان من الدين الحنيف الذي زعم زيد أنه لم يكن في ذلك الوقت من القوم من هو على ذلك الدين غيره كما نقل عنه أولئك الضلال بقولهم انه كان يسند ظهره الى الكعبة عند ما أدركه الكبر ثم يقول يامعشر قريش والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم من احد على دين ابراهيم غيري

ثم سلوا هؤلاء الاوباش هل خالف اسحاق ابراهيم في دينه الى دين آخر أو خالفهما يعقوب أو خالف داود جدوده أو خالف موسى الكل أو جاء عيسى مخالفا لدين داود وموسى فان زعموا مخالفة واحد الباقين فقد كفروا وضلوا ضلالا بعيدا وان انطقهم الله جل جلاله بالصدق واعترفوا بأن دين الكل واحد وانهم كانوا على دين ابراهيم فسلوهم ماهي الدواعي التي اخرجت محمدا صلى الله عليه وسلم عن هـذا النظام النبوي والارتباط الديني وقد كان أشبه الكل في كمال الاخلاق بأبيه ابراهيم بل

كان هو الشمس التي علا نورها واشتد ضوءها فاحتجبت تلك النجوم بكمال ذلك الضياء (والله ذو الفضل العظيم)

أيها الاخوان تأملوا في سفه هؤلاء السفهاء وقبح اخلاقهم اذ يقولون ان العرب ما اطلقوا على زيد ومن معه وصف حنفاء الا لانهم تركوا دينهم فوصفوهم بوصف حنيف الذي معناه باللغة العربية والسريانية نجس أو مرتد كما زعموا. فهل هؤلاء الضلال اعلم من محمد صلى الله عليه وسلم بلغة قومه وبمقاصدهم ان كان كما زعموا انه هو محكم القرآن أم هم اعلم أم الله اذا كان القرآن من الله كما تحققه المسلمون فكيف يكون ذلك الوصف ذميا ثم يصف الله به ابراهيم أو يرضاه محمد لابيه وصفا ان هـذا لهو البهتان العظيم

وانه لمن علامات الجهل بمواقع الخطاب قولهم ان قول النبي صلى الله عليه وسلم في زيد انه يبعث يوم القيامة أمة وحده هو بمثابة التصديق على مبادي زيد ومدعاه تالله انهم لفاسقون

وذلك لانه مامن مؤمن ولا مؤمنة ولا نصراني ولا نصرانية ولا من اليهود من يقول بخطأ زيد في اعتقاده ومباديه. وما كان قول النبي صلى الله عليه وسلم أنه يبعث أمة وحده الا لعلمه بأن الله سبحانه وتعالى يجمع الرسل يوم القيامة ثم يقول لهم (ماذا اجبتم) فيكون كل رسول شاهدا على امته وما كان زيد بتابع لرسول من الرسل وما كان مخالفا لرسول منهم بل كان حاله في الاعتقاد موافقا لما جاؤا به بدون متابعة فلا بد أن يكون في المحشر امة وحده لانه ليس بعاص ولا بطائع. ولكنه كان على اعتقاد مطابق للواقع ومن كان هذا حاله كان قليل الخوف

وضعيف الرجاء يوم القيامة لانه لارجاء الا عن عمل صالح أو معرفة تامة ولا خوف الا عن قسوة وعصيان وليس في الموقف من يكون هذا حاله الا من كان كزيد بن عمرو لانه لاعمل له يرتجي به رفع الدرجات والقبول ولاجريمة يخاف عقباها فيكون وحده امة لا كالامم لانه لايجد امة يتحيز اليه يكون حالها كحاله فكأنه يكون غريبا من جميع الامم فان عصاة الامم التي أرسلت اليها الرسل معذبون وطائعوها مثابون بأعمالهم واهل الفترة لامعذبون ولا منعمون واماهم فمن المرجون لامر الله ولا ينال المفاز والنعيم الا بحسن الظن وسلامة الطوية هـذا هو معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان لاينطق عن الهوى ولكن الظالمين في ضلال بعيد

ولقد جاء هؤلاء الضلال من الخزعبلات الزيغية بما لم يكن في حسبان المطالعين ولا تتصوره مدركات السامعين ولا يأتي بمثله الا سفهاء المتلاعبين فما حاكوا بتلك الخزعبلات الا ذوى العبث من الاطفال الذين يتنادون أو يتناجون بمثل قولهم لبعضهم حال التحاور الصبياني بالمناوشة الهزلية (لفتك مالفتك وكلتك خرى ستك) وما ذلك الا لجهلهم بما هي النبوة وماهو القرآن وماهو القول الحق اذ لو كانوا ذوي أذواق سليمة وقلوب تفقه القول لما قالوا أن سورة الكهف من خرافات العجائز كما سبق ايراده والتكلم عليه بما تسعه عقولهم اقتداء بقوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اخاطب الناس على قدر عقولهم وانا لنقول الآن ونقسم بكل قسم اقسم الله به في القرآن وانا لصادقون . لو ان سورة الكهف او القرآن كله لم يأت بكلمات تحوي من الاسرار ورقائق الاشارات ودقائق الحقائق الا قوله تعالى في وصف

حال اصحاب الكهف اذ قال (وضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا) لكانت هـذه الآية الشريفة أقوم حجة وأقوى دليل وأوضح برهان على أن الله سبحانه وتعالى هو صاحب القول الحق المحكم لما حوته هذه الكلمات من الحقائق وما تحتها من الاسرار والاشارات التي لا يقف على حقائقها ولا يحيط بها علماً الا من علمه الله سبحانه وتعالى وأطلعه على أسرار صنعته ولطائف تكوينه ألا فاسألوا الاطباء عن معنى الضرب على الآذان وكيف يكون وبماذا يكون ولماذا خص قائل هذا القول الآذان بالذكر دون جميع الحواس وكيف يكون حفظ الاجسام الزمن الطويل بوجود جميع احساسات الحواس فيهما خلا الآذان ولذلك قال ذلك القائل الذى علمه الراسخون في العلم من هو (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) وهل كان ذلك التقليب لتلك الاجسام الا لتستريح الجنوب من طول الاضطجاع فكانت تنقلب بغير شعور كما يتقلب النائم اذ لو سلبت الاحساسات الحيوية لمارت كما تمور اجساد الموتى ولو انها كانت غير فاقدة الاحساس وطال بها الاضطجاع على جنب واحد لتمزق ذلك الجنب ولكن الحكمة الالهية قد فعلت بهم من الصنع البديع مالا يعقله الا من هو العالم بأسرار التكوين (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) ألا فأتونا بطبيب ماهر مجرب عالم بفن التشريح وقد درس جميع العلوم والفنون الطبية فان جاءنا بما يوقفنا على حقائق هذه الكلمة واسرارها وما ذكرناه من الاستفهامات بكلام صادق ثابت الصحة واضح البيان اكون اذ ذاك اول معترف بأن القرآن جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه وان لم يأت بشيء من ذلك وادعي ما يدعيه الفلاسفة من ان حفظ الحياة على الاجسام الزمن

الطويل بالحال التي جاء بها القرآن غير معقول نقول له انك لجهول كفور وانا والله لمؤمنون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون

فمن ابن لمحمد صلى الله عليه وسلم هذا العلم الذي صدرت عنه هذه الكلمة التي لا يعقلها الا العالمون ولا يصل الى نهاية ما تشير اليه من الحقائق التكوينية والابداعات التركيبية والنظامات الخلقية الا من يرشده الله سبحانه وتعالى اليها بوحي او تلقي الهام فهل قالت له مارية القبطية هذا القول او تعلمه من زيد بن عمرو كلا ان كيد الكافرين لفي ضلال

ثم قال لقد تخيل القوم خطأهم وعلموا عبثهم وخافوا مقت القلوب لهم فتوهموا انه ربما رد عليهم رادٌّ بما قالوه من انه اذا كانت مصادر الاسلام كلها لأقوام متفرقين فما لكم نسبتم الدين لمحمد اليس ذلك من الاجحاف بحقوق اهل هذه المصادر ثم انكم ان نسبتموها لاهلها وقلتم ان محمدا نقلها عنهم فلا يتصور العقل ان هذا العمل كله مع ماهو عليه من الظهور لم يكن لمحمد فيه اثر الى آخر ماجاؤا به

ثم اجابوا عن ذلك الرد المتوهم بضرب مثال المهندس الماهر الذي يجمع الاحجار والاخشاب وغيرها مما تحتاج اليه المباني فيصورها قصرا مشيدا ثم اعترفوا له صلى الله عليه وسلم بالحذق والمهارة وكمال العقل وسعة المعرفة والعلوم وشدة الحذق ورقة البلاغة الى غير ذلك من الاوصاف الكمالية ليتوصلوا بذلك الاعتراف الى اثبات اقتداره على الاختلاق والتصنع ثم شبهوا مازعموا انه تناوله من القوم من الانباء والاعتقادات بمياه متواردة من جهات متعددة صبت في مكان واحد فصارت كنهر متغير اللون والرائحة وزعموا ان دينهم كالنهر الصافي الذي ظهر من ينبوع واحد ثم

دعوا الناس اليه ليكون سببا لنجاتهم

ثم قالوا انه لم يخلص لمحمد من آيات القرآن الا آيات القتال لانه هو الذي ابتدعه من بين قومه بغير تعليم وجاؤا بغالب آيات القتال الصادرة في القرآن كما اوردوها في بعض مؤلفاتهم التي قابلناها بما فسقها واثبت ضلالهم في كل ما كتبوه فيها والآن نقول على وجه الاختصار

ان القوم قد ارشدونا الى معالم الرشد بأقوالهم هذه فما على الحكم الا ان يتبصر والله خير الحاكمين

هذا هو النهر الذى جاء به محمد ما زال جاريا الى الآن وهذا هو نهر المسيح عليه السلام لم يزل بين جدران ديارهم فان ارادوا بالنهر الكتاب أي القرآن أو الانجيل فليذق الذائقون من كل نهر شربة حتى يتبين العذب الفرات من الملح الاجاج من جميع الالفاظ والمعاني ودلائل الرشاد والارشاد في الكتابين ومتى اغترف الحكم من كل نهر غرفة بيد الاطلاع او السماع فوصلت بها تلك اليد الى ذوقه تصور الصواب في الحكم وان كان غبيا

وان كان المراد بالنهر هو العبادات والآداب الكمالية فما على الحكم الا ان يجمع بين أقوم ركن من صلاة الرسولين الا وهو الفاتحة من صلاة محمد صلى الله عليه وسلم التي علمها لأمته . والدعاء الذي امر به عيسى عليه السلام قومه ان يصلوا به الذي فيه قوله آتنا خبزنا ومتى تبصر الحكم فحوي الخطاب من ركني الصلاتين علم مزايا القائلين وهم المصلين وسيأتي الكلام على ذلك بعد اجل قريب

واما آيات القتال التي ذكروها فقد بينا مواقعها في كتاب مثبت العقل والدين ردا على الخاطئة صاحبة منار الحق وسنورد قليلا من ذلك القول

لينبه المطالع ان لم يكن متيقظا بصيرا فنقول

انما الدليل الشرعي على امر الله نبيه بالقتال هو وقوعه من الانبياء السابقين من بنى اسرائيل وغيرهم كما يشهد بذلك كل كتاب سماوي واما الدليل العقلي فان كل عاقل يعلم علم اليقين انه لا يستقيم أمر من الامور قام به قائم وقاومه قوم عادون الا بالقتال متى كان ذلك الامر يستدعى الدوام والبقاء دهورا سيما اذا نشأ ذلك القائم بذلك الامر بين قوم جبارين أقوياء اولي نفوس أبية وأنفة وتعاظم وما امر الله سبحانه وتعالى نبيا من انبياء بقتال قوم ضعفاء قط اذ لا يكون ذلك من مقتضيات نزاهة الحكمة العلية عن العبث في اعمالها ألا ترى قول قوم موسى فيما حكاه الله عنهم اذ قال لهم (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خائبين) فأجابوه بقولهم (ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون) وليس بمجهول ان العداوة والحسد وشدة الغيظ والحنق لا يربوا رابيها في قلوب من تلبس بها الا اذا قوي المحسود وارتفع شأنه وتعالت كلمته فكلما ازداد كمالا ورفعة في مراتب المجد اشتد حنق حساده وتجمعوا على معاداته وايصال الاذى اليه ومن المعلوم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن من الرسل من هو مقارن له في صفاته واعماله وانتشار دعوته وقد كان كثير الحرص على ايمان القوم الكافرين شديد الحزن على شدة جحودهم لانه كان مأمورا بتبليغ الدعوة لكافة الخلق فلذلك كان جهاده وقتاله الشديد وما كان ذلك الا عن امر الهي اذ ليس من الحكمة ان يأمر الله نبيا بتبليغ دعوة الحق لكافة الناس ثم ينهاه

عن القتال او يتركه وشأنه كلا ان اهل الجحود لفي ضلال مبين اذ لو كان الامر كذلك لما ايد الله موسى بآياته البينات ولا اعان عيسى على اعماله الروحانية ثم لما كان محمد صلى الله عليه وسلم رجلا عربيا قرشيا كامل الهمة علي النفس شريف الحسب لم يكله الى خوارق العادات بل اسعفه بالفتح والنصر المبين ولولا ذلك لبطش به وبقومه القوم المجرمون ولله در القائل

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى ... حتى يراق على جوانبه الدم

فلو أن للقوم عقولا يعقلون بها أحوال الرجال. أو أذواقا يميزون بها مراتب اهل الكمال. من أعمالهم وأحوالهم واقوالهم لعلموا الفارق بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه السلام بمجرد الاطلاع على سيرة كل منهما اذ الكمالات البشرية والاخلاق الشريفة والهمم العالية لا تخفى على من يتبصر في سير الفئتين ويتفقد مآثرهم وان هذا لمصداق المثل الذي اشتهر بين العامة حتى في أفواه أطفالهم اذ يقولون من جهل أصله فدلائله فعله وليس من المعارف الاصلية والادراكات الذوقية اذ يحكم المميز بين اهل الكمال بالفضل وكمال الشرف لمن جاء يشفي مريضا أو يبرأ اكمه او ابرص او يخلق من الطين طيرا فان هذا وما شابهه ليس من الكمال في شيء لانها اعمال روحانية تابعة للاختصاصات التكوينية التي خصصتها الارادة لافراد من النوع الانساني موافقة لمقتضيات النظام التكويني فلقد سمعنا من العجائب الكونية أن امرأة تظهر في كل عام في فيافي بعض الاقطار شديدة النفور ممن يراها ومن خواصها أن من ذبحها وشرب من مرقها يخبر بالمغيبات الى غير ذلك من الاحوال التي جاءت بها عصا موسى وجلد بقرة قومه وعمل بعض

العقاقير التي اذا وضعت على مرض زال وكذلك الشؤن التي تصدر على أيدي أرباب المجاهدات الرياضية الخارقة للعادة وما يصدر من المعيان اي الحسود الذي ربما آمات من قصد موته في الحال حيث يتكبد من المشاق غير نظرة واحدة ومن كان ذا عقل واعتدال وانصاف فى الموازنة اذا تأمل في شؤن الرسولين يرى أن عيسى عليه السلام ما جاء في أعماله واقواله بأ كثر مما جاء به كثير من أتقياء امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين كانوا ربانيين ولا تكون كثرة العمل دليلا على التفاوت في الفضل فقد قال الله تبارك وتعالى (انه من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعا) ولكننا مع المشابهة في كثير من الاعمال والاقوال بين المسيح عليه السلام وبين كثير من اكابر هذه الامة لانجد بدا من حفظ حقوق النبوة له عليه السلام اذ لا يوازي ولي نبيا قط والا لكان الاولياء الذين جاؤا بما جاء به عيسى من الاعمال كعيسى وليس كذلك ولكان الواعظون من امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين جاؤا من بلاغة القول وثمرات الحكمة بما لم يأت به نبي من بني اسرائيل مقارنين للمسيح في الشرف حاشا أن يتصور مسلم عاقل ذلك . كما لا يتصور من له ادنى ادراك ذوقي أن رسولا من الرسل يساوي محمدا صلى الله عليه وسلم في كمالاته وعلو همته كما سيأتي بيانه ولا ينكر علينا مانقول الا كل صعلوك جهول

ثم قال ايها العقلاء أما دعوى الوهية المسيح أو بنوته فقد سقطت شرافات قواعدها وجدرانها الزيغية . من عهد الرسالة المحمدية . وسقطت منزلة مدعيها من اعين الخلق والخالق بما جاء به الذكر الحكيم من البراهين

القطعية والدلالات العقلية والقول الفصل الذي لا يعارضه الا كل أفاك أثيم وانها لدعوى باطلة مهزولة القوي لاتقوم لها قائمة الا اذا ادعاها المدعي بين اقوام ضلال جهلاء استولت على عقولهم بساطة العته وغفلة الغباوة أولئك القوم الذين طبع الله على قلوبهم واصمهم واعمى ابصارهم فاصبحوا في مقاعد افتتانهم وديار جهلهم جاثمين الذين اطاعوا افرادا سفهاء يتركونهم في مظلات منازلهم ليحملوا خطايا النساء بمجرد الاعتراف وربما كان الحمل بينهم متبادلا واستغفر الله والله على كل شيء شهيد

ثم قال ولقد تقرر لكم في تصحيح الترجيح ومثبت العقل والدين ما فيه الكفاية لبطلان تلك الدعوى ولو كنتم على يقين ثابت وايمان صحيح صادق لما طلبتم بعد الكتاب الحكيم دليلا ولا اتخذتم الى البحث في هذا المبحث سبيلا . فليس بعد السراج المنير بيان . ولا وراء العقل السليم ميزان . ولكن الشأن كما قال الله سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين في سورة الكهف التي كذب بها المجرمون (من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا)

ثم قال وأما ما ذكروه من أمر اسماعيل واسحاق عليهما السلام فلا يعد عند العقلاء الا من قبيل مثل العوام اذ يقولون (قرعة تباهت بشعر بنت ابن خالتها) وما كنا ممن بلغ بهم الحمق وسوء الافتتان الى الخوض فيما لا يعني من الفضول في القول الذي لم يعلم له عالم من حقيقة الا رب اسماعيل واسحاق سيما وقد نهانا الله عن مثل ذلك الخوض بقوله (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) ولو أن الفضل يكون بين الفضلاء بالبركة في النسل لكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه الذي

رزقه الله بمائة ولد من صلبه يجاهدون في سبيل الله ببركة دعاء النبي له أفضل من عيسى عليه السلام الذي لم يأت بولد واحد ولو أن كثرة الانبياء في نسل الافاضل يحدث أفضلية لكان آدم افضل من كل مخلوق سيما عيسى عليه السلام فانه مامن نبي ولا رسول ولا ولي ولا مؤمن ولا مؤمنة الا وهو من نسل آدم عليه السلام وعلى زوجته الكريمة رضوان الله وصلواته . ورحمته وبركاته عليهما وعلى من صلح من ذرياتهما وكان الله بعباده خبيراً بصيرا ثم ان كل ذي ذوق سليم حتى من العامة ليعلم علماً أدبياً أنه لاحظ للمسلمين ولا للمسيحيين في تفضيل أحدهما عن أخيه ولا يحب لن يبحث في هذا المبحث الوخيم الذي لا يميل الى البحث فيه الا كل أخرق مخروم العقل لايدري أي الخصال أكمل ولا يميز من الاعمال ماهو القبيح والاحسن وأما ماجاؤا به من ضرب الامثال وزخرفة الاقوال فقد قام الحق في مقابلتها من قبل أن تقاومها في قلوب أهل الايمان يدافعها بقوة اليقين وصدق الايمان ونور المعرفة حتى زهق الباطل (ان الباطل كان زهوقا) ثم قرأ ذلك الرجل قوله تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا) ثم مزق ذلك المؤلف بأشد مايمزق به الثوب الذي شبت النار بذيله أو الكتاب الملن بجروب . من ضعيف ممقوت لقوي محبوب . وقال

أقول وقد شاهدت أسنى المشاهد ... وما كنت خصماً لا ولست بشاهد
ولكنني مثلت حالي وحال من ... رأيت بجاسوس سعي خلف رائد .

وما زاد الا من أراد افتتانهم ... وخيبة مسعاهم ببث المفاسد
فجئت أرى ماذا وياشؤم ما أرى ... واني أناجي الآن أهل التشهد
أرى اليوم أقواماً اذا قلت مالكم ... فعد تم لنا في حينا كل مرصد
يقولون أزمعنا على هدم دينكم ... وتخريب ماتدعونها بالمساجد
وتخفيض اعلام الديانة كلها ... ودمغ مغانيها وتلك المعاهد
وجئنا الى التثليث ندعوا شيوخكم ... وصبيانكم كي يطهروا بالتعمد
فناديت هل في القوم ياقوم مطمع ... وهل لكمو في فعلكم من مساعد
فقالوا وجدنا الكل في هجر دينهم ... كذات ملال أعرضت عن مواعد
ومنهم أناس ساعدونا بزيغهم ... وزخرفة الاقوال ضد المعضد
فقمنا لندعوهم سراعاً لديننا ... عسى أن يفوزوا بالنعيم المؤبد
وكي يسجدوا لاسم الصليب ويخضعوا ... لعيسى اله الناس في كل معبد
فقلت ومن عيسى فقالوا بقدسه ... هو الاب والابن الوحيد التعدد
فقلت وهذا الخلط من أين جاءكم ... وما من اله للورى غير سيد
ولو أنهم كانوا ثلاثاً لعاقهم ... بسابقة التدبير خلف المقاصد
وأنى يكون الاب والابن واحدا ... أسهل ثبوت اثنين في ذات واحد
ومن ذا الذي منهم أتى متجسدا ... وقد كان محكوماً لطور التجسد
فان كان حشر الكل في بطن مريم ... فياشؤمه حشر بأضيق مرقد
به كانت الاكوان من غير حاكم ... اذاً لغدت مثل الهباء المبدد
وان كان ابن الله قد حملت به ... ولم يك خلقاً للاله الممجد
تقول لماذا ما تشابه خاله ... بحال أبيه في امتناع التولد
ومن لم يشابه أصله كان ظالماً ... لمن حمله حين قذف المنذد

وشتان ياروح الغباوة بين من اذا ما ارتوى بالامس يظمأ في الغد
وبين عظيم قد تعالى سموه عن الملح والماعون يا شر معتدي
الا فاذكروا وجه التشابه انه بعيد عن الادراك فأتوا بمسند
والا فلم يولد كذلك لم يلد يذودان ريبها الشك عند التردد
وان خلتموه كلمة قد تكونت نقول كلام الله غير محدد
اذ الكل من كل الوجود كلامه ومن لم يصدق كان افجر جاحد
ألم يتكلم ربنا غير كلمة اذ أكان وصف العي وصف الاماجد
تعالى اله العرش عما ظننتمو وما ظنكم الا كاحلام راقد
ألا هل لرؤياكم ترون معبرا سوى ذي ضلال مفسد متعمد
يدس لكم سم الضلال لتهتدوا لما ابتدعوه من ضلال التعمد
وأكل خمير خمروها ليسحروا بتخميرها من بكروا للمعابد
فيا شؤمه تعسا له من معبر يعبر عن رؤيا الخصي بمولد
وسحقاً لوغد يدعي العلم كاذبا وما علمه الا كطيش المعربد
يظن كثير النفع ضارا وعكسه ويفسد بالاضلال حال المقاصد
فخير لكم أن تقبلوا النصح والهدى ولا تعبثوا بالدين من غير مرشد
فما ينبغي في الدين جهل تعصب ولا سوء تصميم لضال ومقتدي
فما أهلك الباغين الا غرورهم وتقليد أهل الزيغ أقبح مورد
الا قل لمن قاموا يقولون اننا أتينا لهدم الدين دين محمد
أيا معشر الاشرار يا عصبة الخنا ويا جمع الاوباش من كل شاود
ضللتم ضلالا ما سمعنا بمثله ولا في خرافات الوهيدي بن معبد
أماتم اله الصلب شر اماتة واسلمتموه العدو المعاند

وبالقتل قلتم ثم بالموت تؤمنوا فيا ام حنا كيف يا حن تسعدي
لمصلب رب فصلته يد العدا وظلما أعدوه لاشنع مشهد
ألا قبح الله الجهول وجهله وألجأه للخزي لا للتمرد
فما ذنب طه يا مجانين عندكم وما كان الا خير هاد ومرشد
وما عيب قرآن حكيم تكاملت به كل آيات الرشاد لمهتدي
أتى ساترا عوراتكم وعيوبكم بنفي الذي لم تثبتوه بشاهد
سوى فرد تلميذ تخوف فاختفى وخائفة بغي العدو المهدد
وما جاء جبريل المقدس كاذبا ولكنه والله أخبر رائد
وأصدق قوال تنزل موحياً الى خير مبعوث بأكمل مرشد
ألا تخجلوا يا أخسر الناس صفقة اذا قيل للاعضاء في الموقف أشهدي
من الزور والتزوير والافك عندما تقولون ان العبد بالرب يفتدي
وان عبيدا يصلبون الهكم ويؤذونه بالقتل يا شر أعبد
فحبكوا عيسى يحاكي نعاسة محبة حلاف صبا للمفند
كتاب أبي شادوف ينبئكم به فما أنا بالراوي ولا بالمؤيد
ولكنني يا قوم أقبلت ناصحا لكم فاقبلوا قولي بغير تردد
فقد جئتكم أبغي التودد زائرا مشوقا لرؤياكم على غير موعد
ألا فامنحوني لفتة من قلوبكم لما قلته عن حسن ظن ومقصد
لعل فتاة الحي منكم اذا رأت محاسن أقوالي وصفو مواردي
تميل لارشادي اذا جئت ناصحا وتجعلني في عينها شبه اثمد
والا فما زلتم حميرا ولم يزل بكم كل ضال للخرافات يهتدي
عليكم عذاب الله أضحى محتما ولعنته في الليل والامس والغد

أبي الله الا ان تكون جهنم   كفينا لظاها موئل المتمرد
اليها فسيروا كيف شئتم فانما   يجازى بما ينويه كل مجاهد
ويا معشر الاسلام ماضر دينكم   وأطمع فيه كل ظال ومفسد
سوي زيغكم عنه وبعد قلوبكم   عن الرشد والايمان كل التباعد
وعن فهم آيات الكتاب كما أتت   وعن منهج الناجين أهل التعبد
وما ضركم الا الذين تفلسفوا   وزاغوا فقالوا لا نقر لموجد
نراها قوي فعالة بطباعها   تسمي عقولا فعلها لا بمقصد
وهذا هو الكفر الصريح وانما   طوياتهم تخفي على كل ناقد
وقد الجأوكم للجحود جهالة   بزخرفة الأقوال في كل مشهد
فكانوا كانصار النصارى عليكمو   وما كان منكم غير طول التجلد
ومنكم كسالى قلدوا كل زائغ   وقد قابلوا الداعي بنوم التقاعد
سهوا بالملاهي غفلة عن صلاتهم   لكيلا يكونوا في المفاز كمسعد
كأن فروض الدين تحت اباحة   يخير في اتيانها أي قاصد
وما هي الا واجبات تحتمت   على كل يقظان قوي وراشد
أما علموا أن الصلاة مواقف   ينال مزايا سرها كل وافد
ألا هل لمن ينسى الاله فضيلة   وهل لكسول حظوة بمقاصد
أضاعوا حقوق الدين حتى اضاعهم   وحتى دعاهم للعمى كل قائد
وقال لهم حنا وبولص تابعوا   الهًا صلبناه ومات لنفتدي
فما حالكم في الجهل الا كحالهم   ألا ساء حال المدعي والمقلد
فما اعوج سير في الفساد كسيرهم   وقد قفذوا قفذ الحمار المقيد
وما اكترثوا بالمهلكات أمامهم   ولا مايلاقوا عند ضيق المراقد

فلو ترك الاوباش منكم وشأنهم   لكانوا لعيسى اليوم أول ساجد
لأن ظلام الجهل أعمى قلوبهم   فما ميزوا الموجود من حال موجد
ألم يفقهوا أن الذي اوجد الورى   تنزه عن اكل وشرب ومولد
وهل ينزل الجبار من فرج مريم   وتقهره رغما شؤن التمهد
فتمسح عنه امه من برازه   قذورات ما يلقيه في الامس والغد
ويا ليت شعري ان رأيناه خاريا   على نفسه اذ ذاك في كل مرقد
بماذا اذا ندعوه ياعصبة الخنا   الى الرشد فاهدونا عسى اليوم نهتدي
ألا هل لعبد أن يقول لأمه   الى سيد الخارين يامريم اسجدي
فتعسًا لقوم ما احسوا بخزيهم   وقد سجدوا للجهل في غير مسجد
فلو أنكم يامسلمون عقلتمو   معاني حديث مسند عن محمد
كذا لو تدبرتم من الذكر محكما   أتى يرشد الصادي الى خير مورد
لكنتم على بعد تفرون منهمو   فرار أنيس من تعيس معربد
ولكنكم تستهزؤن بما به   يناجونكم جهلا بكيد المعاند
وكم من بعوض يؤلم الفيل مصه   وقد يفسد البرغوث احلام راقد
فصونوا عن الاوباش وطئ نعالكم   ولا تدخلوا حان الخنا والمفاسد
وتوبوا عباد الله عن رؤية الذى   يحاربكم بالمكر لا بالمهند
ولا تأمنوا مقت الاله وسخطه   فكم ضر حال الزائغين بمهتدى
وقيل ابطشوا بالمجرمين وجارهم   وبطش شديد البطش ادهى مبدد
فما بالكم من بعد ما أن قد هداكمو   واكرمكم بالمصطفى خير قائد
توافون اهل النار من حيث اركسوا   حوالي مبانيها بتلك المشاهد
فوالله لو أن البصائر نورت   لشاهد كل شر تلك المقاعد

ولكنها حجب على الناس أسدلت … ليخفى مصير الجحد عن كل جاحد
بك اليوم يا مولاي لذنا تبرأ … من الجار والمجرور من كل معتدي
ويا ربنا يا مذهب الحزن والعنا … ويا مهلك الباغين عند التمرد
أزل عن ضياء الدين ظلمة جهلهم … ورقق حجاب الطيش عن كل مفسد
وبين لعباد المسيح ضلالهم … لعل ضليل القوم للحق يهتدي
عهدناك يا مولاي بارا ومحسنا … وذا رحمة مشفوعة بتودد
ألا هل يحول السخط يا رب بيننا … وبين رضاك اليوم يا خير منجد
وتتركنا للمقت والفوت والجفا … وأنت لنا أوفي مرب وسيد
تعطف تحنن يا الهي تكرما … بنفحة رضوان لنا تأتيك عن يد
فنحن لئام يا كريم فبعد ما … تعهدتنا بالطف في كل معهد
تريناً من الاعراض والمقت ما نرى … وما انت الا خير ورد لوارد
فصل الهي بكرة وعشية … على خير مشهود واعدل شاهد
وموسى وعيسى والنبيين قبلهم … صلاة بتسليم الى يوم موعد
واوصل حبالي بالمحبين واهدني … الى نصرة الدين القويم المؤيد
وقوم بسيف النصر حالي وحيلتي … وجمل به احوال كل مساعد
عليك صلاة الله يا خير مرسل … ويا خير من أوصى ويا خير مرشد
وارجوك يا كهف اللهيف هشاشة … اذا ما تلاقينا على الحوض في غد
وبالله فاشفعها بحسن شفاعة … لناظم هذا والمليجي احمد
وأكرم أبي والام يا خير شافع … اذا ما دعوا للعرض أم محمد

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

ثم جلس الرجل مستريحا واستدعى بكأس من الماء القراح فلما روي

قال لا حول ولا قوة الا بالله العظيم مالي أرى الناس يتقلبون في شؤونهم طوع أهوائهم واغراضهم تقلب الانعام في مراتعها كأنهم حشرات هائمة على وجوهها لا يهتدون الى الرشاد بالارشاد ولا يميزون الغوي من الهادي ولقد مالت قلوبهم الى زعماء الزندقة بأشد مما كانت تميل به قلوب المتقدمين الى الهداة المرشدين . ومال الوقت قد صار مظلما واهله يتخبطون في مساعيهم تخبط العشواء في الغياهب الحالكة مع ان السراج الذي اهتدى به السابقون لم يزل شديد الضياء كثير الحفاظ يتلى في مجامعهم غدوا وعشيا وما زالت مؤلفات المرشدين الذين شيدوا قواعد الدين بين ايديهم وفي خزائنهم وملء مكاتبهم وهم اليها لا ينظرون . كأنهم عمي لا يبصرون . فواعجبا لصنع القدرة ذات الاقتدار . وواعجبا لسرعة نفوذ الاقدار . ويا دهشة العاقل من رؤية هذه التقلبات الوقتية . وسرعة حلول المقادير الالهية ورضي الله تبارك وتعالى عن صاحب الحكم العطائية في مناجاته حيث يقول الهي ان اختلاف تدبيرك . وسرعة حلول مقاديرك . منعا عبادك العارفين بك عن السكون الى عطاء . واليأس منك في بلاء ثم تغير حال الرجل واضطرب واصفر لونه وارتعدت فرائصه خوفا من الله سبحانه وتعالى وطال شخوص الحاضرين اليه حتى صار كل شاخص لا يكاد يرتد اليه طرفه وقد استطلع كل من القوم من حال ذلك الرجل دهشة الموقف الهائل وشدة الكرب يوم الفزع الاكبر ثم قام ذلك الرجل باكيا منتحبا يترنم بقول القائل

فرض على الناس ان يتوبوا … لكن ترك الذنوب اوجب
والصبر في النائبات صعب … لكن فوات الثواب اصعب
والدهر في تصريفه عجيب … وغفلة الناس عنه اعجب

وكل ما يرتجي قريب ... والموت من كل ذاك اقرب

ثم اتبعه بما سمحت به قريحته فقال

ونكبة الطيش لا تحاكي ... وخزي يوم المعاد انكب
يساق للحتف كل من قد ... غدا له الطيش شر مركب
الجهل صرع غدا مهابا ... لكن صرع العلوم اهيب
وليس يغني اطلاع من لم ... يغدو بتأدينا مؤدب
ومن بغير الفروض اضحى ... يبغي التداني فما تقرب
وكل راجي الاله عفوًا ... بلا متاب فذاك اشعب
فيارفاقي وآل ودي ... ومن عليهم أخشى وأرهب
اهل الملاهي تنافسوها ... وحاولوها من كل مذهب
والقوم قوم الهدى قليل ... منهم وحق النبي المهذب
وما تحامي بلا اعتزال ... من خاف جارا في الناس أجرب
فلا توالوا من لم يوالي ... كل الولاء النبي والرب
ولا تحابوا من قد أجازوا ... على الاله الممات والصلب
فهم لدينا عبيد سوء ... لهم ترأى في الشرك مأرب
فحاذروهم وخاصموهم ... ان واجهوكم في أي مسرب
وهم جذام فجنبوهم ... فشر عدواهمو مجرب
ولن تحبوا الفرار منهم ... فما سوى الله قط مهرب
اليك ربي وجهت وجهي ... واليوم ربي اليك أرغب
فصل ربي على حبيب ... لكل أهل الوفا محبب
ولا تدعني أهيم جهلا ... ولا تكلني الى المذبذب

من لم يفته في الناس فرد ... سوى تقي اليك يهرب
فيا الهي أأنت ترضى ... وما لقلبي سواك مطلب
لمن تراه ارتضاك ربًا ... مع المسيحي الشقي يعذب
حاشاك يا من عهدت عدلا ... أن ترضى طرد المحب كالكلب
فيا الهي تول قلبي ... فأنت مني اليه أقرب
واقبل متاب الذين تابوا ... واخرس لسان الذي تذبذب
وصب ربي البلاء صبًا ... على المعادي من أين يذهب

ثم نادى وأسفاه وامصيتاه واحسرتاه ويا حر كبداه على بقايا هذه الامة العظمى التي لم يشهد الله سبحانه وتعالى لأمة من الأمم في كتاب من كتبه السماوية بمثل ما شهد به لها في محكم كتابه المجيد اذ قال وهو أصدق القائلين (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) و بقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) ولا معني للوسط الا الاعتدال في السير والاستقامة كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم خير الامور أوسطها ولقد وصف الله السابقين من افرادها بكل وصف جميل في آيات القرآن و بين ما يكون عليه الخيار منهم من الاخلاق ولقد كان الغالب على حال المتقدمين منهم التقي والخوف والحياء. واجتناب مانهى الله عنه واتباع اوامره وكثرة الذكر والتجمل بمحاسن الآداب وتحاشي الشبه الزيغية . و بغض الفلسفة المنطقية. وأهلها وتكفير الطبيعيين والتباعد عن الملحدين والاحتفال بما يعني وترك مالا يعني من القول والعمل الى ما لا يسع المقام استقصاءه هنا ومن الاخلاق الأدبيه والأعمال المرضية حتى كانوا في اعين عقلاء الأمم كالآساد الضارية والاقلو

الكبرة لا يكاد مواجههم أن يطيل النظر الى وجوههم مما يخجله ويرهبه من سطوة الجلال وهيبة الوقار فكانوا كما قال الامام البوصيري رضي الله تعالى عنه في بردته الميمية

أحل أمته في حرز ملته ... كالليث حل مع الأشبال في أجم

والآن قد هاجرت الى الله أوصياؤهم . وتسارعت الى الاجداث اتقياؤهم وأمناؤهم . وما تركوا فينا الا بقايا خلف خلف من بعدهم فيا شؤمهم من خلف ما سارعوا الا الى اللهو وما هم الا اوباش احداث اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وركنوا الى خزعبلات السفهاء منهم الذين تدينوا بالتمدن واحتضنوا الحضارة فصاروا كناقصات العقل والدين . وقد عمدوا الى ما شيده اسلافهم من الدين فهدموه . ثم تعاونوا على اعانة الباطل فشادوا قواعده بخزعبلات تمويهاتهم واقاموه . فلا تسمع منهم اعتراف معترف بفضل المتقدمين . ولا ترى الا عائبا لأعمال افاضل الأئمة المجتهدين . ولا ترى من سفهاء العامة الا مغرورا بزخرفة اقوال اهل الزيغ والزندقه ولا من اهل الجدل مزدريا بكمالات الدين السابقة واللاحقه . حتى اصبحوا مسرح افكار القائل ولله دره

يا حسرة الآباء في اجداثهم ... اذ اخجلتهم خيبة الابناء
يا دهشة الاموات ان ردوا ولم ... يجدوا الذي ظنوه بالاحياء
ان لم نشيد ما اقام جدودنا ... تبا لنا والله من خلفاء

ثم اتبع ذلك بقوله

يا اهل هذا العصر يا فصحاءه ... والعالمون ومعشر النبهاء
ايليق بالانسان بعد شهوده ... سبل الرشاد ومنهج الادباء

ان يصبو خلف ذوي الرذائل هائما ... في الغي طوع تقلب الاهواء
حتى اذا اربت الشرور بقلبه ... جحد المهيمن موجد الاشياء
تربو الشرور مع الغرور متى ربا ... وتهيج حمى الطيش في الاعضاء
ما اسرع الطغيان ان ضرب الغنى ... اوتاده في مرتع اللؤماء
ما اقرب الشيطان للانسان ان ... آذانه صمت عن النصحاء
ما اوقح المفتون ان سمحت له ... صدف الظروف بهجعة الرقباء
او بالتعالي بعدما انضمت به ... حشرات معشره لقدات خفاء
او ان تطاول في الفنون مطالعا ... ليكون معدودا من العلماء
وليوسموه اذا غدا متكلما ... فيقال هذا خاطب العلياء
ما افخر المحروم ان دانت له ... بعد الدناءة عالة الضعفاء
ما اغدر المغرور ان سبقت له ... نعم الاله بوفرة ورفاء
ما اجرأ المفتون ان لم ينهه ... عند التعالي زاجر العقلاء
ما اقدم الغاوي على اغوائه ... ان لم يخف من سادة فضلاء
يا قوم ويح صغيركم وجهولكم ... من شقشقات اسافل البلغاء
هم زخرفوا ما صنفوا بعبارة ... في طي زخرفها اشد بلاء
دسوا سموم الزيغ فيما دونوا ... فظننتموها نفحة الحنفاء
لكنها شبه تضل ضجيعها ... وتذوده عن مشرب الظرفاء
أولم يجئكم مرسل ببيانه ... كالبدر شق غياهب الظلماء
أوصى بأن لا تعدلوا في سيركم ... عما يوافيكم مع الامناء
فهجرتمو تعليمه ووقفتمو ... طوع المذبذب موقف السفهاء
وغدا التمدن والحضارة دأبكم ... وهما ودبي ديدن الحمقاء

فبدا لنا من حالكم مالو بدا   لأخي الرشاد لمات بالاغماء
لكنكم عمي القلوب تقودكم   للغي كل غبية عمواء
قل للمبشر يامبشر انما   بشرتنا ياذا العمي بعماء
شرك خفي في جنون ظاهر   وظنون سوء جالبات عناء
ياليت امك لم تلدك وليتنا   لم نأت في زمن انتشار الداء
ان الوباء أخف منكم وطأة   ياموطئا لأصاغر الجهلاء
أنتم شياطين الزمان وعندنا   من هم لكم منا من النصراء
يافيلسوف وانت اجرم من طغوا   أتكون عونا للطريد النائي
أفسدت احوال العوام بما به   أصبحت تهذي ياأخا المرضاء
وغدوت حربا للعقائد معلنا   بجحود غالب صادق الانباء
أنكرت كل كرامة لمقرب   وطفقت الفجر مارق ومرائي
مازلت تنعي بالجرائد ديننا   وتبغض الاموات للاحياء
حتى استخفوا بالفرائض كلها   واستحسنوا الاتيان بالفحشاء
فغدوت قوادا تقود الى الزنا   والى المعاصي الكل كالأجراء
ولكم ذميم يستحل محرما   اذ كنت قدوته واكل رباء
لا كنت ياهذا ولا كان الذي   يوليك عطف محبة وولاء
أخفيت دين الله بعد ظهوره   حتى لنا وصلت يد الجرآء
ثكلتك امك ياكفور ألم تكن   عبدالمجري الشمس والجوزاء
وهو الذي ينهى ويأمر في الورى   وهو الولي ومعلم العلماء
ونهى الافاضل عن متابعة الهوى   كيلا يميلوا طوع كل هواء
ولعله ان ابن آدم لم يكن   ذاتي علم وهو في الاحشاء

بل أخرجوه من البطون كأنه   مقذوف موج أو نبيذ عراء
وعلى التوالي عرفوه كما ترى   هل انت أعمى ياقليل حياء
أوصاه ان لايستقل برأيه   فيظل طوع جواذب الاغواء
فلم انثنيت عن الرشاد لما به   صرنا نعدك اتعس الخطباء
جاء الكتاب بمعجزات لم تكن   الا لتخرس ألسن الخصماء
فغدوت تنكرها وجئت مؤولا   آي الكتاب بشقشقات شقاء
هل نار ابراهيم تعصى ربها   ان قال كوني رحمة كالماء
أوليس من جعل الحرارة طبعها   ذا قدرة فعالة علياء
ألجاهل انكار مالم يدره   هل كنت منه واقفا بحذاء
او كنت شاهد خلقها اذ كونت   عالج فؤادك ياشقي بدواء
انا وقد كنت الكذوب لو اننا   ملنا الى التضليل والاغراء
أوصح ذا لأقمت حجة قائل   شؤم القوابل قادكم للظاء
اذ ليس في الامكان ارشاد الشقي   ان صح حكم الطبع في الاشياء
فاعقل اذا قولي ولست بعاقل   ان التلون صبغة الحرباء
ان يحضروك تقول اني مؤمن   واذا خلوت كفرت باستهزاء
وتقول قول المؤمنين وتنثني   للزيغ كالملهوفة العجلاء
تبا لمن درسوا العلوم على عمى   وتبصروا ببصيرة عمياء
سحقا لقوم يشهدوك كأنهم   ولدان ام بادرتهم بغذاء
فتريق في افواههم ما احرزت   اذ هم على ظمأ لأي رواء
يامسلمون تفطنوا وتعقلوا   اني لكم من ارحم النصحاء
فالامر للعقلاء صار معلقا   مابين اثبات ونفي البلاء

من قوله بي كان ماقد كان في … بدء وبي ماقد يراه الرائي

فاذا علمنا انه هو عالم … بعالم الاموات والاحياء

وهو المدبر للورى وشؤنهم … تدبير مولى محكم لولاء

قلنا اقتداو الحق جل جلاله … يأتي بما يخفى على الحجباء

واذا جهلتم مانرى وتواردت … ريح الفتون توارد الانواء

وعلى القلوب سطا الجحود بجنده … والم جيش الطيش والخيلاء

قلنا لكم ياويلكم من عصبة … سقتم الى البلداء كل بلاء

ياجيرتي يارفقتي يا اخوتي … هلا حفظتم لي حقوق اخائي

ووعيتموا ما القي في آذانكم … فقلوبكم للرشد خير وعاء

اني اعيذكمو بمن رفع السما … وأزال ظلمة ليلها بضياء

من ان تسوقوا للبلاء نفوسكم … بخداع محتال شديد دهاء

اشقاه شؤم هواه واستعداده … طوع المشيئة بل وسبق قضاء

ان ابن آدم كيف كان ميسر … ومسخر ككواكب العلياء

لايلهكم عن ربكم تمويه من … اضحى بواصلكم بشر اذاء

فتصرموا عنه لهدى نبيكم … وقفوا مواقف رشده بازائي

ايسوغ ان تصغو لمغرور طغى … فغدا يقود لما وراء الخناء

خوف وخسران وخيبة طامع … وخطيئة عظمت واكل غواء

ايضل ضالكمو بخدعة زائغ … يدعو لحوض بلية سوداء

ونبيكم والله اكرم مرسل … لكمو ابان طريقة السعداء

فاستكشفوها من مآثر اهلها … من اصبحوا في الناس كالغرباء

لا من خطابة زائغ ومذبذب … يطغي ليغدو اعظم العظماء

لكنه عند العظيم محقر … ولسوف يعلم خيبة النكباء

ماجئت أعنى مارقا من بينهم … لا والذي أوحى لكل سماء

لكن أوجه كل لومي للذي … لايهتدي لمذاهب الأمناء

ان الفسوق تمكنت أطنابه … من كل سارفي دجا الوعساء

ترك المناسك وامتطى من فكره … مالا يقيه تلاعب الاعداء

فتأملوا وتجملوا بمتابكم … وتنصلوا مما مضي ببكاء

وتحببوا وتقربوا بوفائكم … وتجنبوا بالذكر كل جفاء

وتحفظوا من زائغ ومبشر … أضحى يصيح بمشهد الغوغاء

غوغالئام بالسباب تجملوا … فتحملوا ثقلا من الغرماء

ويل لهم يوم المعاد اذا دعوا … للعرض يوم تفقد الشفعاء

ورأوا العذاب فأصبحوا في حسرة … في طيها متتابع الاغماء

وعموا فكانوا كالذي يخطوا على … شوك القتاد بليلة ظلماء

ودعوا فصموا ويلهم للعرض اذ … كان المخاصم أوجه الوجهاء

اذ تخجل الجاني حقارة حالة … في جانب السفراء والسمراء

ذرهم يخوضوا يا أخي ويلعبوا … ان الرذائل مبدأ الارزاء

واصبر فان الله أجل خزيهم … لمجامع عدت لفصل قضاء

صلى الاله على النبي وآله … في كل صبح مسفر ومساء

عد الرمال مع الحبوب كذا النوى … وهواطل الامطار والانداء

والآل والصحب الكرام ومن أتى … يهدي سبيل الرشد والشهداء

ثم قال اني ياقوم لأعجب كل العجب ممن لا يعترف بوجود موجده مع مشاهدة عجائب آياته . والعجب العجاب ممن يعترف له ويعرفه ثم

ينكر اقتداره على جمع أجزائه واحيائه بعد مماته . والاعجب من ذلك كله قول من يقول انه كان والدا ثم أصبح مولودا . وانه مكث في بطن مريم وفي حجرها زمنا محدودا . وانه كان يأكل ويشرب وينام . وانه تقلبت به أطوار البشرية ما بين جنين وطفل وغلام . وما علينا من بأس أن نقول هذا هوس أو ضرب من ضروب الجنون . وكم في الناس من غبي ومعتوه ومفتون ومجنون . على أن العبث في القول والعمل مما لا عقول لهم ليس بالامر العجيب ولا اشراك الذين أشركوا بربهم لظلمة قلوبهم بأمر في الاقتدار الالهي مريب . ولكن العجب ممن يدعى أنه متدين بدين الاسلام . وما نرى حاله مع ربه الا كحال بهيمة الانعام . فأما في أمر دينه فما هو الا في جبن وجهل شديد . واما في أمر دنياه فما تحقق الا بحقيقة قول جهنم يوم القيامة هل من مزيد . فياقومنا ما هي العلامة التي تميزتم بها عن المخالف لدينكم . وما هي الحقيقة التي تحققتم بها من حقائق ايمانكم . أتظنون انكم بمجرد الايمان وقراءة القرآن تدخلون ملكوت الرب كما يزعم ضلال المسيحيين . أم تتوهمون انكم بمجرد الشهادة لله بالوحدانية تكونوا من خيار المسلمين . كلا ان الامر وراء ما تظنون . وان الحق والله خلاف ما تتوهمون . اما سمعتم قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فأروني أي طريق اتخذتموها مأمنا من ذلك العذاب . وأي واق يقيكم من كل وعيد أتاكم به محكم الكتاب . لقد اشتغلتم والله عن مآلكم بما نراه فساد أحوالكم . وما من حسن التفاتكم الا الى مسابقة من هم في الضلال

من أمثالكم . ولقد أوقفكم الجهل في موقف الحيرة والضلال حيارى القلوب . وما منكم الا وهو في ريبه يتردد كأنما هو مجرد من العقل مسلوب . فمن قائل ان المؤثر الاكبر خلقني وخيرني في أعمالي . وجمل همتي هي المنوطة بمآربي وآمالي . وهذا هو الذي زعم العقل والمعرفة . واشتهر فيما بينكم بأنه من زعماء الفلسفة . ولقد بينا لكم غلطه في غير موضع من كل كتاب . وعرفناكم انه حليف الشرك الخفي وانه ممن حقت عليهم كلمة العذاب . ومن جاهل فتح فاه باهتا حينما شخص ببصره في مجامع المبشرين . حتى كأنه انما تربى بين أقوام من عبدة الافيال أو الوثنيين . ظانا أن هؤلاء الضلال على علم بصحيح الاديان . لانهم جاؤا مجادلين في كثير من آيات القرآن . ألا يتبصر الجاهل منكم بأمر دينه في شؤن هؤلاء الاشرار . ثم يتذكر أحوال القوم الذين سبقونا بالايمان من الاكابر والاخيار . أيها الجهلاء أخير انتم ام أبوا بكر الصديق أخير انتم أم الفاروق ابن الخطاب عمر رضى الله تعالى عنهما أخير انتم أم باقي الخلفاء الراشدين أخير أنتم أم عمر ابن عبد العزيز أخير أنتم أم مالك ابن أنس الذي كتب الشعر على بشرته بقلم القدرة مالك حجة الله في أرضه أخير انتم أم محمد ابن ادريس الشافعي الذي كان من الاوتاد . أخير أنتم أم أبوا حنيفة النعمان الامام الاعظم الذي صلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة أخير أنتم أم الامام ابن حنبل الذى فدى شرف القرآن بروحه وجسده . أخير أنتم أم خيار الامة الذي عبدوا الله حتى صاروا ربانيين يقولون للشيء كن فيكون ألم يأن لكم أن تتفقدوا آثارهم حتى تعلموا كيف تكون الرجال وتفقهوا مزايا الدين انكم والله لفي

شك مريب فعلى ماذا عكفتم وفيم ترددتم أتعكفون على أصنامكم الذين نطق الشيطان في أفواههم وتمكن من قلوبهم حتى أضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل . أم تترددون في أمر دين ملأت أنواره الاقطار . وكم اودع قلوب المتفقهين فيه من انوار واسرار حتي بهر العقول ام تشكون في امر نبي ما احاط بكنه وصفه الجميـل واصف . ولا تمكن من الوصول الي ادراك حقيقة ذاته الشريفة عارف . ومن جهل منكم شؤنه صلي الله عليه وسلم فليطالع صلوات العارفين به عليه الذين منهم الامام ابن مشيش عبد السلام رضي الله تعالى عنه اذ قال اللهم صل على من منه انشقت الاسرار وانفلقت الانوار وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فاعجز الخلائق وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق فرياض الملكوت بزهر جماله مونقه وحياض الجبروت بفيض انواره متدفقه ألى آخرها وانها لمسطرة هي وكثير من صلوات العارفين في صلوات الاستاذ الشيخ احمد الدردير رضي الله تعالى عنه . او يتبصر في صلوات ابن عربي الامام محيي الدين رحمه الله حيث قال اللهم أفض صلة صلواتك وسلامة تسليمات على اول التعينات المفاضة من العماء الربانى وآخر التنزلات المضافة الى النوع الانساني المهاجر من مكة كان الله ولم يكن معه شيء ثاني الى مدينـة وهو الآن على ما عليه كان محصي عوالم الحضرات الخمس في وجوده وكل شيء احصيناه في امـام مبين وراحم سائلي استعداداتها بنداجوده وما ارسلناك الا رحمة للعالمين الى آخر ماجاء به من الدر المنظوم والمعاني التي لم يحاكيها من قبلها من القول منطوق ولا مفهوم وما أوجد الله امثال هؤلاء وفتح لهـم ابواب فتوحاته الربانية الا ليكونوا قدوة لامثالكم وأمنـاً من الشك والشرك

لضعاف افئدتكم ومرضا قلوبكم فلم لم تطلبوا سبل النجـاة من مآثرهم الفاخرة ولماذا لم تتبركوا بمطالعة اسرارهم العاطره انكم اذًا لانفسكم لمن الظالمين ثم اجل ذلك القوامل بقية القول الى الصباح واستجمع أطراف ردائه عازمًا على الرواح وقال لاخوانه استودعنا كم الله الذي لاتخيب لديه الودائع ثم انصرف مستغفرا وقال ليكن كل منهم اذا اصبحنا بعون الله لباب هـذا المكان اول قارع وانصرف خلفه القوم حيث لامسرب لهم الا المتاب والتقوى . ولا مآرب لطويات عزائمهم الا التمسك من الدين بالسبب الاقوى (والله يهدي من يشاء والله ذوا فضل عظيم)

فلما أدبر الليل بدياجيه وجنوده . واقبل النهار بما فيـه من طيب مشهدة ومؤنس شهوده أقبل القوم على موعدهم مسرعين مثنى وفرادى وما تواصل مددهم وتكامل عددهم الا وقد أقبل ذلك الزاجر زائرا بهيبة وقاره وسكينه سكونه وانكساره وقد كان يناجي ربه بمناجات صاحب حزب الشكوى فما وافي القوم حتى وصل الى قوله اللهم انا أصبحنا لانملك لانفسنا دفعا ولا رفعًا ولا ضرا ولا نفعا فقراء لاشيء لنا ضعفاء لاقوة لنا واصبح الخير كله بيدك وأمر كل شيء راجع اليك اللهم وفقنا لمـا به أمرتنا واعنا على مابه كلفتنا واغننا عن كل شيء بفضلك ورحمتك واجبر كسرنا وما فات منا بعنايتك وكرمك وأيدنا بالتوجه اليك بحولك وقوتك يامالك ياقدير ياسميع يابصير ياقريب يامجيب ثم مازال يتضرع ويبكي الى وصل الى قوله الهي قد عجزت قدرتى وقلت حيلتي وضعفت قوتى وتاهت فكرتي وأشلكت قضيتي وساءت حالتي وبعدت أمنيتي وعظمت حسرتي وتصاعدت زفـدتى واتضح مكنون سريرتى وسالت عبرتي وانت ملجئي ووسيلتي

واليك أرفع بثي وحزني وشكايتي وارجوك لدفع ملمتي يامن يعلم سري وعلانيتي الهي بابك مفتوح للسائل وفضلك مبذول بالنائل واليك منتهى الشكوى وغايه المسائل الهي ارحم دمعي السائل وجسمي الناحل وحالي الحائل وشبابي المايل يامن اليه رفع الشكوى ياعالم السر والنجوى يامن يسمع ويرى ويامن هو بالمنظر الاعلى يارب الارض والسما يامن له الاسماء الحسني يامن له الدوام والبقايارب عبدك قد ضاقت به الاسباب وغلقت دونه الابواب وتعذر عليه سلوك طريق أهل الصواب وزاد به الهم والغم والاكتئاب وانقضى عمره ولم يفتح له الى فسيح تلك الحضرات ومناهل الصفو والراحات باب وتصرمت ايامه والنفس راتعة في ميادين الغفلة ودنى الاكتساب وانت المرجو لكشف هذا المصاب يامن اذا دعي أجاب ياسريع الحساب يارب الارباب ياعظيم الجناب ياكريم ياوهاب رب لاتحجب دعوتي ولا تردمسئلتي ولا تدعني بحسرتي ولا تكلني الى حولي وقوتي وارحم عجزي وفاقتي فقد ضاق صدري وتاه فكري وتحيرت في أمري وانت العالم بسري وجهري المالك لنفعي وضري القادر على تفريج كربي وتيسر عسري رب ارحم من عظم مرضه وعز شفاؤه وكثر داؤه وقل دواءه وضعفت حيلته وقوي بلاؤه وانت ملجاؤه ورجاؤه وعونه وشفاؤه يامن غمر العباد فضله وعطاؤه ووسع البرية جوده ونعماؤه وما زال يبكي ويتضرع حتى تم تلك المناجاة ثم تلاها بحديث رسول الله صلي الله عليه وسلم اذ قال . تم نورك فهديت فلك الحمد . عظم حلمك فعفوت فلك الحمد . بسطت يدك فاعطيت فلك الحمد . ربنا وجهك اكرم الوجوه وجاهك اعظم الجاه وعطيتك افضل العطية واهنأها

تطاع ربنا فتشكر وتعصى فتغفر وتجيب المضطر وتكشف الضر وتشفي السقيم وتغفر الذنب وتقبل التوبة ولا يجزى بآلائك احد ولا يبلغ مدحتك قول قائل سبحانك سبحانك ثم قال اللهم اجعل اول يومنا هذا صلاحا واوسطه فلاحا وآخره نجاحا ثم اشرقت الشمس فقال أشرق نور الله وظهر كلام الله وثبت امر الله ونفد حكم الله استغيث بالله ماشاء الله لاقوة الا بالله تحصنت بخفى لطف الله وبجميل ستر الله وبعظيم ذكر الله وبقوة سلطان الله دخلت في كنف الله واستجرت برسول الله صلى الله عليه وسلم برئت من حولي وقوتي واستعنت بحول الله وقوته اللهم استرني في نفسي وديني واهلي ومالي بسترك الذي سترت به ذاتك الاقدس فلا عين تراك ولا يد تصل اليك فاحجبني من القوم الظالمين بقدرتك ياقوي يامتين وصلى الله على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

ثم قال ان من الفوائد المأثورة والفرائد الموفورة أن من كان له الى الله حاجة يحب قضاها فاليجلس مستقبل القبلة على طهارة بدنية وتوجه واخلاص ثم يقول اللهم صل على النور الساطع الذاتى الاحدى يامددي خذ بيدي وعليك معتمدي بألف ألف كهيعص حمعسق بدوح بدوح بدوح وعلى آله وصحبه وسلم مائة مرة ثم يسأل الله حاجته فانها تقضى كائنة ما كانت ثم قال وبها الاذن والاجازة لكل داع

وقال أيها الاخوان انكم لتشاهدون برأيا العين مانحن عليه من الحزن الشديد والهم المديد والاسف الزائد والحسرة المدهشه واظنكم تظنون ان منشأ مانحن عليه من هذا الحال المحزن هو تعدي العادين

وبغى المعاندين وجرثة المجرمين من السفهاء الذين تمادي غرورهم واستطالت شرورهم بما جاوًا به من الخزعبلات الخرافية والتمويهات التضليلية كلا والله ذلك لم يكن عندنا في حسبان العناية بمعدود ولا فيما نحن بصدده بالامر المقصود لانكم تعلمون ان العاقل لايحزنه حال المخترعين لضروب الملاهي والشعوذة لعلمه بأن استعداداتهم وقوابلهم لاتقبل بفتح التاء ولا تقبل بضمها الاعلى ما يلايمها وما خلقت له فلا لوم علي اهل الاستعدادات والقوابل فيما ابتدعوه من الملاهى ولكن اللوم علي من يحوم حول حاناتها ويتلاهي بملاعبها عما يعنيه

ان تسمعوني فما في الكون لاهية   الا الغرور وشوْم الطبع والشبق

ألا ترون ان المشعوذ قد يضع ألعابه في افواه الطرق ليستميل اليها قلوب المتفرجين فلا يقبل عليه الا الصبيان وجهلة النساء وأوباش الرجال الذين فقدوا مزايا العقل والمعرفة وهل كان حال هوْلاء السفهاء وحال من يأوى الى مجامعهم الزيغية الا كحال من ذكرنا فما كان لنا ان نهتم بشوْنهم ولا أن نشتغل بشعوذتهم ولكنا نتضرر ونتضجر شدة الضجر من حال من كان منكم قليل المعرفة بامر دينه عديم الثبات في ايمانه ويقينه فما حالنا معكم الا كحال رجل عاقل يرى في حال أخيه الشقيق آثار مبادي الجنون فيحزن عليه فمن شام منكم من نفسه شبهة في ايمانه أو شكا في صدق رسالة هذا النبي الكريم فلينادي ربه بما حكاه الله عن بعض الانبياء بقوله (رب لا تشمت بى الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين) ثم قال لقد وعدناكم وعدا صادقا فيما سبق ان نبين لكم بعضا من مزايا دينكم القويم حتي بمقابلتها بمزايا الاديان قبله تعلمون فضل نبيكم المأمون

وصدق رسالته فنقول

جاء كل رسول من الرسل يدعوا أمته الى طريق النجاة ومعالم السعادة الدنيوية والاخروية بما يلقيه الله اليهم من التعليمات الأدبية والاحكام التشريعية اما بوحي أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فطلب نوح عليه السلام ومن بعده من الرسل التي تعاصت عليهم أممهم من يعظوه بما تلقوه عن ربهم فلم يجدوا في أممهم من يعي ما يقولون فكان من امرهم ما كان من استحقاق العذاب وانصباب البلاء عليهم حتى جاء موسى عليه السلام قومه بما جاء به وأيده الله سبحانه وتعالى بتسع آيات بينات فآمنوا به وبما جاء به من الاحكام الشرعية ولم يجد فيهم من هوذوا قابلية تقبل التخلق بالآداب الكمالية ففارقهم عند ما جاء أجله وهو في شدة أسف وكآبة احزان وأشهد الله وآياته عليهم وكان ما كان منهم بعد موته وحال حياته ثم جاء عيسى عليه السلام قومه بما جاء به من الآيات البينات وما كانو الا من بقايا بني اسرائيل الذين كثيرا ما قتلوا من انبياء كما أخبر الله سبحانه وتعالي عنهم في كتابه الحكيم فقام يخاطبهم من الوعظ والارشاد بما تسعه قلوبهم بضرب الامثال التي يراها المطالعون للعهد الجديد وما وجد فيهم من يتلقي عنه اسرارا من الاسرار الملكوتية الا الحواريين الذين سموهم رسلا وما كان من أمته من له ادراك ذوقي يسترشده به عن امر دينه وعن طريق الوصول الى الغاية الابدية بل كانوا أقواما جهلاء لا يأتونه الا بالمرضى والعمى وكل أكمه وأبرص لينالوا الشفاء ببركته وربما فارقوه بعد ما يروا الآيات وهم في شك مريب كما يتبارد للمطالع على الانجيل من فحوي كلامه . وما زال يتعهد الصيادين

للسمك بالمواعظ ويطوف البلاد وحيدا أو في شرذمة قلية من المتفرجين الذين لا هم لهم الا الاحاطة بحاله كيف يحيي الموتى وكيف يبرأ الاكمه والابرص وذلك لأنهم كانوا من أمره في شك مريب وكان الغالب منهم اقواما متمسكين بشريعة موسى كتمسك العوام بما نقلوا عن اسلافهم ووجدوا عليه آبائهم حتى فارقهم برفعه الى السماء كما يقول القرآن المجيد أو بالقتل والصلب والموت كما زعم سفهائهم

ثم بعد ذلك جاء محمد صلى الله عليه وسلم رافلا في حلل كماله مرتديا رداء سكينته وجلاله قائما في قومه مقام الغربا متخلقا فيما بينهم بأخلاق الادباء حتى جاء ابان نبوته وقد كانوا يشاهدون منه علاماتها التي تناولوها من الرهبان والكهنة مثل الشامة والعلامة التي كانت بين كتفيه الشريفين ففجأه الوحى الذي جاء به جبريل عليه السلام وضرب الرحمن جل جلاله بكفه الذي لا يعلم كيف هو الا هو بين كتفيه فوجد برد انامله في صدره فعلم علوم الاولين والآخرين فقام يبلغ دعوته وينشر رسالته وقام الاطغياء منهم في مقابلته يقاومونه طورا بتعنت السؤال وتارة بقبيح الاعمال حتى عاجله ربه بالنصر والفتح المبين كما هو معلوم من القرآن ومما سطر في كتب التواريخ والسير المشهورة المتواترة ولا حاجة للاطالة بذكرها

فجاء صلى الله عليه وسلم في رسالته بأكمل الالقاء والتلقي لمساعدة ظروف الاحوال له ومعاونة الاقدار ولكمال استعدادات قومه وقوابلهم فكان كما قال لهم حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم وقام فيما بينهم يدعوا الى ثلاثة أشياء بثلاثه أشياء يدعوا الى الله بالحكمة لذوي الالباب الذين استنارت قلوبهم والى اصلاح الاحوال المعاشية بالموعظة والى الايمان بالآخرة والعمل لها

بالتي هي أحسن

وما كان جهاده فيمن جاهدهم بقوة قتاله لغرض من الأغراض الدنيوية كما يظن زعما الفلاسفة وسفهاء القوم الضالين الذين ما علموا من الدين الا ظاهرا من القول . ولكنه كان ليتمكن من تأسيس قواعد الدين في قلوب القوم بحال لا تبيدها الدهور ولا تفنيها الايام ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها لقوله تعالى (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث) وما حدد هذا المكث بأجل فلذلك كانت غايته القيامه وان قل عدد القارئين له والعاملين به مع طول الامد ولذلك قال جل شأنه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) يريد من النسخ والضياع الى يوم ينفخ في الصور وتذهب الريح اللينة بارواح المؤمنين قبل تلك الصيحة التى أشار الله اليها بقوله (ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون)

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا الى اصلاح الاحوال المعاشية التي لا قوام لها الا الاكل الحلال والاعتدال في جميع الاحوال بمعلومات تعلمها عن ربه وحيا والهاما ما بين أوامر ومناهي قد أحاط بها الامام الغزالى علما فجمعها في كتابه المسمى باحيا العلوم ثم فصلها تفصيلا فابتدأ الاوامر بالتوبة التي معناها الرجوع الى الله اجماليا وهذا الرجوع يشمل الاقلاع عن الشرك وعن المعاصي وعن كل ما يبعد عن مكانة القرب والتمكين وعما يشعر بنقص في أحوال الكمل المقربين فكانت توبة كل تائب على قدر حاله مع ربه ثم تصورها رضي الله تعالى عنه مركبة من علم وحال وعلم كما هو مقرر في ذلك المؤلف الذي هو ضالة كل مسترشد الى طريق الفوز والنجاة والله يهدي

من يشاء الى صراط مستقيم

ثم بين رضي الله تعالى عنه كل ما أمر الله به سبحانه وتعالى عباده في كتابه العزيز من الاوامر التهذيبية وسماها مقامات يقيم بها السالكون السائرون الى الله بالتدريج ثم ينتقلون من مقام الى مقام بعد التحقيق بالمقام الذي ينتقل منه السائر الى غيره فمن أراد ان يقف على حقائق تلك المقامات فاليدرس ذلك المؤلف الشريف بتحقيق وتأمل حتي يهتدي الى نهاية ما ترمي اليه سهام أغراض ذلك العارف الاكمل والامام الافضل

ولقد كان من تلك المقامات مقام التوكل الذي تشير الى وجوب التحقق به آيات كثيرة من القرآن الحكيم وقدمقته القوم الضالون من الفلاسفة وسفهاء الامة الذين اتخذوا الحضارة وسيلة الى الحقارة عند الله وعند الصفوة من عباده وجعلوه علامات الكسل ومجلبة الفقر والتقهقر الذي قابلوه بالتقدم ولا أعلم لذلك التقدم من غاية الا ادراك دركات السعير التي خير الله فيها عباده بقوله (لمن شاء منكم ان يتقدم أو يتأخر

ثم بين ذلك الامام رضي الله تعالى عنه المناهي وسماها موبقات وأوضح ضرر كل موبقة منها وعلم المطالعين طريق الفرار من غوائل تلك الموبقات فمن شاء ان يتعلم التقوي ويعرف كيف يكون تخلص الانسان من حبائل أشراك الشياطين فليتبصر في ذلك البيان فانه تبصرة وذكري لاولي الألباب ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

وما كان ذلك الامام رحمه الله نبيا ولا رسولا ولكنه فرد من افراد الاتقياء من أمة محمد صلي الله عليه وسلم تتبع آثاره واقتفي اخباره واهتدي بمعالم أنواره وتحقق باسراره فعلم ما هو الذي جاءت به الرسل فاصبح

وراشدا مرشدا مهتديا هاديا والله يقول الحق ويهدي السبيل

ثم لما أصلح رسول الله صلى الله عليه وسلم قلوب من صحبوه بما ذكرناه استنارت بصائرهم وتنزهت افئدتهم عن محبة الدنيا والتكالب عليها قام يرغبهم في الآخرة بالتي هي احسن بمثل قوله لمعاذ ابن جبل رضي الله تعالى عنه لما سأله بقوله يا رسول الله بم أتقي النار فأجابه بقوله بدموع عينيك وبمثل قوله لاصحابه لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقوله لو تعلم البهائم ما تعلمونه من الموت ما أكلتم منها سمينا وقوله ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة من الترغيبات القوليه والحاليه والعملية حتى غدا الغالب من قومه كأنه يرى الآخرة وما فيها بعيني رأسه كما يشهد بذلك قول سلمان الفارس له عند ما سأله كيف اصبحت يا سلمان فقال أصبحت كأني أرى عرش ربي بارزا وأرى أهل الجنة في الجنة يتنعمون فيها واهل النار في النار يتعاوون فيها فقال له صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم ثم لما استبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم باستنارة بصائر قومه وعلم شهادة الله سبحانه وتعالى لهم بما سبق بيانه قبل واستأنس بكمال الايمان وثبات اليقين من احوالهم جاء يقربهم الى مقامات القرب والتمكين بالحكمة التي القاها اليهم في مثل قوله لي وقت لا يسعني فيه غير ربي وقوله عن الله سبحانه وتعالى ما تقرب اليه عبدي بشئ أحب الى من اداء ما افترضته عليه ولا زال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها . فلو انه صلى الله عليه وسلم جاءهم بمثل هذا الحديث في مبدء أمره اذ كانوا كأهل هذا الزمن في حالة ايمان لاحقيقة

له لما فقهوا لهذا القول معني ولكذبوه كما كذبه اغبياء الفلاسفة الذين ما ذاقوا للقرب طعما ولا علموا ما هو القرب الذي يكون من الله لعباده الاخيار الاصفياء وكذلك كان قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول يا ابن آدم ان ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسى وان ذكرتني في ملاء ذكرتك في ملاء خير منه وان دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا وان دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا وان مشيت الي سعيت اليك وان سعيت الي هرولت اليك وان سألتني اعطيتك وان لم تسألني غضبت عليك فكان كل ذلك وامثاله من طريق الحكمة التي أشار اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله لا تعطوا الحكمة لغير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم وما لها من أهل الا الاتقياء الذين يعلمهم الله ويجعل لهم من ظلمات الجهل مخرجاً ويرزقهم المعرفة من حيث لا يحتسبون وما أحسن دقيق اشارة الصديق رضي الله تعالى عنه الى نهاية المقامات القربية التي يتحقق بها الصديقون التي تفطن لها العارفون من قوله . العجز عن الادراك ادراك . وذلك لأنه اذ اتقرب العبد من ربه بالنوافل حتى أحبه وتولاه كما يتولي الصالحين باتحاد الارادات والمرادات والأخذ بناصيته الى معالم السعادة لا يدري العبد اذ ذاك من هو القائم به لأنه شاهد في نفسه ما لم يكن يعهده فيها من قبل وقد أحيط به من كل جهاته ومعالمه الحسية والمعنوية وزج به في موج من الانوار القدسية فصار كله نورا والله على كل شيء قدير

جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاء به من التنزيل والذكر الحكيم وتكلم بما تكلم به في قومه من الاحاديث الصحيحة وحفظها عنه قومه بغاية الدقة والضبط لانهم هم أهل لا اله الا الله وكانوا أحق بها

وأهلها كما قال القرآن وما كانوا أحق بها الا لان استعداداتهم وقوابلهم قابلة لكل كمال وخلق حسن بدليل شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحدهم بقوله رحم الله أباذر لو لم يخف الله لم يعصه وبدليل أن عمر بن الخطاب لم يعص الله في الجاهلية ولا في الاسلام وبدليل ان عليا رطى الله تعالى عنه ما وصفوه بقولهم كرم الله وجهه الا لأنه لم ينظر الي عورة مدي عمره حتى ان عمر بن العاص ما افتدي منه عند القتل الا بكشف عورته فحول بصره عنه وأقاله وهكذا كانت استعداداتهم كلها كمالية فلذلك ضبطوا قواعد الدين واركانه من بعده وحفظوها حتى تناولها التابعون وتابعوا التابعين حتي الآن بكل دقة وصيانة فجاء العلماء الذين هم ورثة الانبياء من بعده فيما دونوه استنباطاً من القرآن الحكيم ومن أقوال الذي كان لا ينطق عن الهوى ومن أحواله وأعماله بما لم تأت به أمة بعد رسولها كما هو مشاهد ومعلوم لمن يعقل ومن لا يعقل وما سمعنا بمن عاب هذا العمل الصالح الذي لولا توفيق الله سبحانه وتعالى لمن قاموا به وعنايته بهذه الامة لم يكن كما ترونه الآن فقد جمعت أبواب المعاملات الفقهية جميع مايحتاج اليه الانسان في حفظ الآداب الانسانية وصيانة روابط النظامات الاجتماعية مما لو تعامل به المتعاملون ما بغي خصمان على بعضهما ولقد أحاطت فصول العبادات من الآداب القربية بما لو استقصاه متجمل بأنوار الهداية واسرار التوفيق لكان صديقا ولقد طالعتم من أنباء أتقياء المتقدمين ما به علمتم صدق وسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله علماء أمتي كانبياء بني اسرائيل ولكن شياطين الفلاسفة قد القوا اليكم ان المحققين من أتقياء هذه الامة الذين اشتهروا بالتصرف في عوالم الملك والملكوت كانوا

في اعلى طبقات الجنون وطالما كان الكفار يقولون هذا القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد به القرآن الحكيم وما كان بالمجنون كما قالوا ولا كان أتقياء أمته مجانين كما زعم السفهاء الضلال ولكنهم قاموا داعين الى الله على بصيرة كما أخبر بذلك الله سبحانه وتعالي في قوله لنبيه (قل هذة سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني)وما كانت سبيل رسول الله صلي الله عليه وسلم الحضارة والتمدن الذى دعى اليه الممقوتون الآن حتى يقال لهم هم ورثة الانبياء ولكن طريقه القويم وصراطه المستقيم هو ماعليه اهل التحقيق الذين كانوا قليلامن الليل مايهجمون و بالاسحار هم يستغفرون واذا مروا باللغو مروا كراما الذين لا تلهم اموالهم ولا اولادهم عن ذكر الله الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما الذين هم في صلاتهم خاشعون الذين هم من عذاب ربهم مشفقون الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة . الذين لا يخشون الا الله . الذين وصفهم الامام البكري صاحب ورد السحر بقوله

الهي باهل الانكسار وحقهم ومن بك قد نالوا المقام المعظما
ومن اطلقوا الاكوان حبا وطلقوا السمنام ولم يشكوا لزاد ولاظما
ومن مرغوا للخد في ترب ارضكم ومن للهوي بالسقم والحال اسقما
عبيد ولكن الملوك عبيدهم وعبدهمو اضحي له الكون خادما

وما كانت الملوك عبيدهم الا مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم من اطاع الله اطاع الله له كل شيء ولما ورد في بعض الكتب السماوية عبدي اطلعني تكن ربانيا تقول للشيء كن فيكون فهؤلاء هم الذين عناهم الله بقوله (ومن اتبعني) ان كنتم تعقلون

وما كانت عناية الله بهم الا لانهم هم محط نظره من خلقه فخلقهم واختارهم لخدمته . ووالاهم بمحبته . وخصص وجودهم في زمن هذا النبي الكريم لما بينهم وبينه من المناسبة الاستعدادية فصدقوه وآمنوا به ايمانا لا تزلزل ثباته حادثة من الحوادث ولا عارض من العوارض فلو اننا قارنا بين ايمان جميع من عبدوا العجل في أيام موسى عليه السلام و بين ايمان عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه حينما كان في الجهاد في خلافة أحد الخلفاء الراشدين وحاصروا مدينة من المدن ومكث الحصار أياما فقال لقومه ضعوني في منجنيق وارموا بي على أعلى السور وأنا أقاتلهم حتى افتح الباب فقالوا له الا تخاف الموت اذا رميناك قال لا قيل ولم ذاك قال لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته أسر لي أني سأكون واليا على مصر والى الآن ما وليتها وما كان رسول الله كاذبا فانظر الى ايمان ذلك الرجل الكامل كيف أداه الي المخاطرة بنفسه لشدة يقينه بصدق هذا النبي الكريم وماذلك الا لماشاهده من شؤن كماله . وصدق حاله ومقاله فأين حال هذا المؤمن من حال القوم الذين عبدوا العجل وقالوا لنبيهم لما رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم (اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون) وانكم لتعلمون أن في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من هو أكمل من عمرو بن العاص ايمانا وأشد منه يقينا فقد قال علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه لو كشف عني الحجاب ما ازددت يقينا ومن كان هذا حاله كان سعيدا في الدنيا والآخرة ووجيها ومن المقربين كما كان عيسى عليه السلام وكما كانت أنبياء بني اسرائيل

ثم غلا دم ذلك الرجل فاحمرت وجناته واقشعر جسده فارتعد

وارتعش وكان كما قال القائل

واني لتعروني لذكراك هزة * كما انتعش العصفور بلله القطر

وكما قال آخر

اذا اهتزت الارواح شوقا الى اللقا * نعم ترقص الاشباح ياجاهل المعني

ثم قال أيها الاخوان ان نبيكم صلوات الله تبارك وتعالى عليه نبي لا كالأنبياء ورسول لا كالرسل وعالم لا كالعلماء وأديب لا كالأدباء وظريف لا كالظرفاء وخليفة لا كالخلفاء وأمته أمة لا كالأمم وأصحابه أصحاب وأنصار وأحزاب لا كالاصحاب والانصار والاحزاب وخلفاؤه خلفاء لا كالخلفاء ومن تفقد تواريخ الأمم وأنبيائهم والكتب المنزلة عليهم وأمعن النظر وأتقن المقارنة وحقق التأمل وكان ذا بصيرة نيرة يعلم الفارق بين الفريقين ويتحقق حق اليقين ان الله سبحانه وتعالى اتخذ هذه الأمة ورسولها صفوة خلقه واختارهم من خيرة عباده وجعلهم زينة الدنيا وعرائس الآخرة وما عنيت بالأمة من كانوا أمثالكم وأمثال علمائكم وفقهائكم الذين عناهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) ولكني أعني بالأمة القوم الذين أشار الله اليهم بقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) والله سبحانه وتعالى لا يقبل الا شهادة من كان عدلا مقبول الشهادة ولا يكون العدل الا مؤدبا ظريفا معاديا للعدول والميل الى طريق الشيطان والشهوات كما كان القوم الصالحون منهم فلو أنكم ذووا أذواق سليمة وأفكار ذات موازين صحيحة لخجلتم من نسبتكم الى هذه الأمة عند ذكر الخيار منها

ثم قال ان من كلام عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه. أيها الناس

أجملوا في الطلب فالرزق مقسوم وفي القنوع بلغة والزمن الآتي يفوت كالذي مضي والذي مضي كأنه لم يكن وكل ما هو آت قريب ولولا أني أميت بدعة وأحيي سنة ماسرني أني أعيش فيكم ساعة واحدة. فأين هذا الخطيب المرشد من ضلال خطبائكم وعلمائكم الآن الذين لا يحثون الا على الحضارة والتمدن ويزعمون أنهم أبلغ القوم قولا وأهداهم الى الرشاد ارشادا انهم والله لكاذبون وما كانوا الا كما قال الشاعر

تميم لطرق اللئم أهدى من القطا

أولئك قوم كانوا ناطقين بالحق هادين الى الصواب ومع ذلك كانوا يستغفرون الله من وعظهم خوف الخطأ والنسيان أو معارضة الاعمال للاقوال وأما الواعظون منكم الآن فيخوضون في الخطأ خوضا ويغرقون في مراحيض الضلال غرقا ثم اذا هجعت قرائحهم واختبأت في زوايا أشداقهم ألسنتهم أخذ منهم التفاخر والتباهي والخيلاء والاعجاب بأنفسهم مأخذا عظيما وما أقبح هذا العمل وما أسوأ حال من كان هذا حاله

ثم قال ان من وصايا بعض السلف الصالح لبعض الوعاظ قوله اذا أحسنت القول فأحسن العمل ليجمع لك مزية اللسان ومزية الاحسان والقوم الآن لسان طويل وخير قليل وحال وبيل ومن كلام الحكماء اذا أراد الله بقوم سوأ منحهم الجدل ومنعهم العمل فكأن هذا القائل كان مع علمائكم المتشدقين وخطبائكم المتفلسفين الا لعنة الله على القوم الفاسقين

قيل للفضيل ابن عياض ما أعجب الاشياء فقال قلب عرف الله ثم عصاه ثم قال الشهوة خادعة القلوب وغادرة الالباب ومستحسنة للقبائح وما

من عطب الا وهي له سبب ثم قال القلوب المعلقة بالشهوات محجوبة عن الله تعالى والقوي من غلب هواه . والكريم من كف أذاه . وانا لنرى من عقلائكم الآن أقواما يؤذون الله ورسوله متابعة لاهوائهم وتنفيذا لاغراضهم فأصبحوا موضع اشارة قول القائل

اذا رزق الفتى وجها وقيحا * تقلب في الوقاحة كيف شاء

فأين أنتم اليوم من أولئك القوم أولئك كانوا قوما عدولا أمناء أدباء اتقياء أصفياء أبرياء شهد الله لهم في كتابه بما سبق ذكره قبل من الآيات القرآنية التي تشير الى أوصاف المؤمنين وما وصفهم القرآن الا بأوصاف مجملة حفظا لناموس البلاغة وقواعد الايجاز ومن أراد ان يعلم كيف كان حال الخيار من هذه الامة فليتفقد مآثرهم من مؤلفاتهم

حكي عن ذي النون المصري أنه وصف له عابد اشتهر بالزهد والتقوي فذهب لزيارته فلما أقبل عليه وجده يبصق تجاه القبلة فانثنى راجعا وقيل له لماذا قال لأنه فاقد الادب ولقد اشتهر القطب الجيلاني بالاعرج لانه مد رجله يوما في محرابه فعوتب على ذلك فثناها أربعين سنة لا يرسلها تأديبا لنفسه وتنصلا من هفوته حتى ظنوه أعرجا ولو أننا جئناكم بأنباء كثير من أنداد هؤلاء الاقطاب لما وسع الوقت قليلا من كثير وما هي والله ممن يريد أن يحيط علما بها ببعيد فما خلت منها خزائنكم ولا اكلتها كمنسأة سليمان مكامنكم ولكنكم عنها راغبون وبها مستهزؤن ومن يضلل الله فما له من هاد

وأما نبيكم فما احاط بكنه اوصافه الشريفة الواصفون وما تمكن من أدراك حقيقة ذاته المقدسة العارفون ولله در ابن عربي حيث يقول واصفا له

في صلواته عليه بعد كلام قد اتينا به فيما سبق نقطة البسملة الجامعة لما يكون وكان . ولفظة الأمر الجوالة بدوائر الاكوان . سر الهوية التي في كل شئ سارية . وعن كل شئ مجردة وعارية . امين الله على خزائن الفواضل ومستودعها ومقسمها على حسب القوابل . وموزعها كلمة الاسم الاعظم . فاتحة الكنز المطلسم . الى ان قال الطود الاشم الذي لم يزحزحه التجلي عن مقام التمكين . والبحر الخضم الذي لم تعكره جيف الغفلات عن صفاء اليقين الي آخر ما جاء به من القول الذي لا يعقله الا العالمون وما كان ابن عربي ولا كنت داخلا في حوزة قول القائل (كل فتاة بابيها معجبه) كما عليه سفهاء الامم الآخرين ولكنها لفتة متبصر أرشدته اشارات التوفيق والهداية وأوقفته عبارات التحقيق من بوادر الحق على البداية والنهاية . وان كل عاقل ليعلم علم اليقين أن لام القسم من قوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) قد أحاطت بكل وصف من الاوصاف الكمالية (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

شكا موسى قومه لربه عند ما تعاصوا عن القتال فعذبهم بالتيه أربعين سنة وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد قاومه المشركون (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) الى غير ذلك من التكريمات الحنانية والتعطفات الرحموتيه التي لم ينلها غيره ولم يحظ بها سواه ومن أراد استقصاء ذلك فعليه بكتاب الشفا للقاضي عياض وكتاب الشمائل وما شاكلهما فما من أعمي الا ويجد قائدا . كلما اقام مسترشدا . وما ضر أهل هذا الزمن الا التعاصي والتغاضي فكانوا كبغال قوية منها ما هو شموس ومنها ما هو جموح فكأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة والله بما يعملون محيط

ألا ان العاقل المنصف لو تفقد أحوال الرسل وتعليماتهم وأعمالهم ومزايا حركاتهم وسكناتهم لعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان علي حال كمال فوق طاقة البشر . ولعلم ان الذين عابوه من سفهاء المسيحيين لا ميزان لهم في افكار العقلاء . ولا منزلة لهم بين الفضلاء . لانهم لو قارنوا بين قول الله تعالى لموسى (وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا) وقوله تعالى لداود على لسان الخصمين المسخرين لعتابه (وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) وبين المرأة التي ظلقها زوجها بارادته واختياره لبغضها له ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم علي محبة لانها كانت قرشية لما وجد بين الاحوال نسبة ولما شهد لهؤلاء السفهاء بغير الجنون وهوس الخبال فلو أنه صح أن القليل من الهفوات البشرية التي لا تصدر عن غلظة طبع ولا قسوة قلب ولا عن مقصد سيئ يخرج الآتي به من دائرة النبوة لمحا الله اسم موسى عليه السلام من دفاتر الانبياء وكذلك داود كما وردت به التوراة ولأوقف سير المسيح الذي أعرض عن أمه وأنكرها عندما قيل له في مجلس الوعظ ان أمك ومن معها في انتظارك لان هذا مخالف لامر الله سبحانه وتعالى الصادر في شأن بر الوالدين فأين هذا العمل من عمل الرجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذي سألته أمه ان يسقيها فلما جاءها بالماء وجدها نائمة فوقف عند رجليها حتى اصبح خوف ان تتيقظ ظمانة فلا تجده وما جئت بهذه المقارنة تحقيرا لقدر المسيح الامجد ولا اعابة لعمله لانه ربما كان ذا مقصد لا ندريه ولا يحيط بأسراره امثالنا ولكني جئت بها لاظهر لهؤلاء السفهاء ان اعمال الرسل لا ينبغي للجاهل الخوض فيها ولا اعابتها بحال من الاحوال وما كان حال من يفتري

على الله الكذب في حق الرسل ويقوم بينه وبينهم بالنميمة التي لا تصدر الا عن فسوق وكفران وخبث طوية الا كحال احمق جريء فاقد العقل والادب نقل له ان بعض خاصة الملك جني ذنبا وعاتبه الملك عليه وعفا عنه فبادر ذلك الاحمق الى مصارع حتفه ومواقف خذلانه بالخوض في عرض ذلك المقرب واغراء الخدم بازدرائه فتعجب الملك من جرئة ذلك الاحمق السفيه وامر ان يكون تحت المراقبة حتي يأتي اليوم الذي تعاقب فيه المجرمون

ثم قال تالله لولا ان الجزاء من جنس العمل لما جوزي رسول الله صلى الله عليه وسلم على عفافه وكتمان محبته وصبره ورجوعه الى ربه بقوله سبحان مقلب القلوب بالتمكن مما احبها بالامر العالي القرآني الذي لم يعارضه في انفاذه معارض ولا يتتبعه فيه متتبع بأقل انتقاد الا القوم الخاطئون الضالون كعجائز النساء اللاتي لا حرفة لهن الا اعابة اعمال العالمين لما يتوهمنه من انهن بذلك يكبرن في اعين جهلة النساء

ثم قال ألا فانظروا بعين التأمل في احوال الرسل كيف كانت مع أممهم اذ كانوا لا ينظرون لهم الا بعين الازدراء والاحتقار كما يشهد بذلك قول موسي عليه السلام لقومه فيما حكاه الله عنه اذ قال (يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم) ثم أعقب الله ذلك بقوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين) وكذلك كان حال عيسى مع قومه كما يشهد بذلك الانجيل واما هذا الجليل الذي تجمل جماله بالجلال فقد كان من أمره مع قومه ان قال لهم (لا تفعلوا بي كما تفعل الاعاجم بملوكهم ان أنا الا ابن امرأة كانت تأكل القديد) ولقد وصف حاله

معهم الامام البوصيري بمثل قوله

كأنه وهو فرد في جلالته ٭ في عسكر حين تلقاه وفي حشم

ولقد علم الله سبحانه وتعالى قومه الادب معه بقوله (يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) وبقوله (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتي تخرج اليهم لكان خيرا لهم) الى غير ذلك من الآداب الكمالية التي اختصت بها هذه الامة المكرمة

ولقد كان من تواضعه وأدبه صلي الله عليه وسلم معربه أن كان اذا صافحه مصافح من الفقراء لا يتجاذبه يده حتى يكون ذلك المصافح هو البادي بالانصراف عملا بقوله تعالى في سورة الكهف التي زعم القوم أنها من خرافات العجائز (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطًا) ولقد كان من أدبه الكامل ونزاهة اخلاقه أن قالوا له حينما أثر الحصير في جنبه الشريف هلا اتخذنا لك وطأً فقال أفلا اكون عبدا شكورا ولقد بينا المعنى المشار اليه بهذه الكلمة الشريفة في كتاب نشر الاسرار البشرية فلا حاجة لايضاحه الآن ولو اننا أردنا ايراد آدابه صلي الله عليه وسلم واحصاء مكارم اخلاقه لأعيانا ذلك اذ لا طاقة لامثالنا بالاحاطة بتلك الآداب الكمالية ولقد قسمت مزاياه الادبية على أتقياء أمته كل علي مقدار قابليته واستعداده فكانوا لها لوحًا محفوظًا حفظها الله بهم من الضياع ولا تزال

محفوظة حتى تقوم الساعة لانها هي القرآن ولذلك أثني الله عليه بقوله (وانك لعلى خلق عظيم) وقال له ولأمته أليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) وما كان اكمال الدين الا تنوير البصائر وانقطاع الوحي عن التنزيل وما كان اتمام النعمة الا بيان الاخلاق الكمالية التى جاء النبي صلى الله عليه وسلم لتتميمها واما الاسلام فما هو الا الدين الذي ضربنا له المثل في مثبت العقل والدين ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

ثم قال وانا لنلتمس لهؤلاء الضلال عذرا في جهلهم مقدار ما أوتي هذا النبي الكريم من انواع الكرامات الاحسانية والمواهب الصمدانية والعلوم اللدنية لأنهم قوم يجهلون ولكننا لانجد لكم عذرا في شهود محافلهم وعدم الاعراض عنهم اذا خاضوا في آيات الله مع قول الله سبحانه وتعالى لنبيه (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) اذًا فما هي الضرورة التي تلجئكم الى مجالسة هؤلاء الفساق والاصغاء لخزعبلاتهم فوالله لانجد لحالكم معهم شبهًا الا حال جهلة نساء القرى اللاتي تأتيهن المرأة المحتالة من نساء الاغجار فتنادي بينهن بقولها (نبين زين ونضمر زين) فيترامين عليها ظانات انها تعلم الغيب وتخبر عما في الضمائر فتناجي الواحدة منهن وقد قبضت على كفها بقولها أضمر لك ضمير تقعي في البير قولي ان شاء الله فتقول كما لقنتها لجهلها وغباوة فهمها فهكذا هو حالكم مع هؤلاء المحتالين الاغوياء وانه والله لحال سيء لا ينبغي أن يتلبس به المؤمنون سيما وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) ثم قال

انى لاضحك والاحشاء باكية * من لهو قومي ومن تهويل اعدائي
اذكروني بأنثى البوم اذ نهضت * تريد قنص خيال النسر في الماء
فقابلتها قطاة وهي قائلة * هل صح صيد لعميا بنت عمياء
وهل لمثلك والاضواء تؤلمها * أن تحسن الصيد أو تسطو بظلماء
فهل تخيلت أن النسر الجاه * كسر الجناح الى وكر من الماء
حتي هممت به ياشر خائنة * هامت على وجهها تهيام حمقاء
أو ان قوته بالسقم قد وهنت * فليس يقوى على ادراك عرجاء
هلا رفعت لفوق الفوق طرفك كي * يبدو لك النسر في انحاء علياء
هلا خجلت وجند الطير ما وصفوا * من أفرختك بوصف غير شوهاء
أليس هذا مليك الطير يحذره * أولوا الجناحين من صقر لعنقاء
فلم تزل أم حرب في غوايتها * حتي دهاها دوي الدال والياء (١)
من ضارب زاجرات الطير تفزعه * فليس يبقي على الداني ولا النائي
وهذه حال قوم لا خلاق لهم * قد حاولوا هدم مجد الطاء والهاء
مثلتها للذي بالذوق يفقه ما * أبهمته باشاراتي وايمائي
وادهشني من ملاهيكم وغفلتكم * عما أسر حليف الشين والراء
فياذوي السقم قد جئنا نعالجكم * بالمشتهى من فكاهات كحلواء
فما زها كم سوى تشخيص ذي مرض * أضحى يداوي عضال الداء بالداء
فأسأل الله ان يجلي بصائركم * بنور مشرق شمس الميم والحاء
وان يقيض للبوم الرماة وان * يرمي بها من مساويها بأسواء

(١) يشير الى مايمثل به الصبيان عمل الآلة النارية القتالة اذا ما تشابهوا بالمتحاربين ومدوا عصيهم الى الهوا قائلين دي هاهيا

ثم اعرض ذلك الخطيب بوجهه عن القوم اعراض المار علي ذات الرائحة الكريهة وقد عارضته في طريقه قائلا اين هؤلاء الضلال واين حقارة قدرهم وغباوة جهلهم من عظمة جلال مقدار محمد صلى الله عليه وسلم الذي لم يضارعه مخلوق في كمال مزاياه وعظم جاهه وارتفاع مجده كلا ان القوم لفي ضلال مبين

كل ذلك والقوم باهتون خاشعة ابصارهم لانتظار عودة اقباله فما لبث ان اقبل بوجهه قائلا

(يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) ان الذين صادموكم ليصدوكم عن دينكم ما كان حالهم معكم الا كحال كاذب محتال نصاب حاول فتنة كريم ذي مال وعيال عاش في اهله مسرورا بماله وولده متمتعا بنعمته وداره التي ورثها عن سلفه الذين كانوا اهل وجاهة وجاه عريض فكان من حسد ذلك الخائن وحقده وخبث طويته ان قال له ياهذا هل أدلك على أب اوجه من ابيك واوسع منه جاها ونعمة فلو انك انتميت اليه مجرد انتماء لكان لك اكبر نفعا وارفع مجدا فقال له ياهذا وكيف يكون ذلك وما نفعني من قبل مجرد انتمائي لسلفي بل الذي أعلمه اني ما احرزت ما تراه من النعم الا بعد مشاق الخدمة وحسن الاخلاص والعمل بكل وصاياهم فقال له ان الخطب لهين وان مجرد الانتساب لهذا الاب ليجعلك في أرقى درجات النعيم فأطعني والا كنت من النادمين. وقد كان ذلك المحسود المنصوح غبي الفهم فاسد التصور لا يفقه خبايا خدع المحتالين فأوشك أن يميل الى فتنة ذلك المحتال وخدعة ذلك الغرور المغرور فناداه أخ له ياهذا هل وصل بك العته والغباوة الى حد تكون فيه حليف الضياع صريع

الافتتان مغلوب الغرور مكبلا بقيود الشقاء فاقد التمييز فاسد التصور لاتحسن التصرف في حالك اذًا يجب على كل عاقل أن يحجر عليك فقال وكيف ذلك قال لان أباك الذي يريد هذا الضال منك أن تقطع انتسابك اليه ما كان جاهلا بحال ذلك الأب الذي يذكره لك هذا الكذاب المضل ولا بحال أبنائه الذين أشبعوه عقوقا وهم لايشعرون ولقد تبرأ منهم فلا تركن الى خزعبلات هذا الكذوب فانه مفتون وان أطعته كنت قد ألقيت بنفسك في مهواة الهوان وفقدت مابين يديك وأصبحت صفر اليدين مذموما مدحورا وخسرت خسرانا مبينا ثم قال

اذا أنت للاعداء ألقيت مسمعا * وكنت غبي الفهم غير بصير
رجعت من الخذلان والخزي والبلا * ومعظم انواع الاذى بكثير
فما خدعة الاعداء الا حبالة * لايجاد أخطار وفقد نصير
ومن لم يحاذر من عدو مخادع * قوي احتيال مفسد وغرور
غدا مضغة للماضغين وان عسى * يكون اسير الغم بعد يسير
ومن سره أنس ابتسامة ذئبه * فما احتل الاموحشات قبور

ثم قال أيها الناس من كان منكم في ريب مما قررناه فليلق على مسامعنا ماحاك في صدره لنذود عن قلبه رائد الشك. وظلمة الشرك. ان الشرك لظلم عظيم

واذا برجل قام من بين القوم وقد تزيا بزي سكان البلاد المغربية الذين اتخذوا ثيابا من صوف أبيض لها فوق اكتاف اللابسين قطعة مجوفة مستديرة قد نسجت من ذلك الصوف على هيأة التاج قائلا وهو يلوي الى لغة اهل الغرب لسانه ليظن السامعون أنه مسلم مغربي الاصل وقد تنصر

أيها الخطيب الواعظ لقد اطلت الوعظ على غير طائل وألقيت الينا مالا تقبله القلوب الواعية ولا تميل اليه العواطف لانه بعيد عن الصواب

فأدهش القوم قوله وقاموا على أقدامهم صارخين في وجهه بالزجر العنيف وهموا أن يبطشوا به فأشار الخطيب اليهم ان يكفوا أذاهم عنه وان يجلس كل قائم مكانه فجلسوا داهشين وقد أخجل الرجل حالهم وأخافه ماشاهده منهم من حماس الحمية. وغلظة الغيرة الدينية. وهاله قيامهم على قدم واجتماعهم على كلمة واحدة فلما رأى الخطيب عليه علامة الخزي والخوف لاطفه باللين والتعطف قائلا

ياهذا لايهولنك مارأيته من اجتماع الجماعة على مقابلتك بمؤلمات الزجر العنيف فانهم ماسمعوا منا ما حاد عن طريق الصواب ولا مايضاد الكلمة التي ضرب الله لها في القرآن المثل بقوله (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تأتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم) وما كان ما كان منك من ازدراء ما اهديناه الى مسمعك الا لامر يعلمه الله فسكن روعك والق على قلبك ملحفة الاطمئنان وروح فؤادك بمروحة الهدو والسكون لينطلق لسانك بما اكنه صدرك ولتخرج ما اخبأته في طوايا سريرتك من العقائد التي هي مصادر الاعمال الدينية من كل عامل ولا تخف من القوم بأسا ولا رهقا

فاستحضر ذلك الرجل المغربي من عقله ماغاب في فيافي الذهول وأودية الدهشة التي فاجأته من حيث لم تكن في حسبانه. ثم تهيأ لاستخراج مقذوفات قريحته بمنطلق لسانه. فقال

ايها الخطيب اني كنت مسلما صالحا ثم ان ابي وامي كانا مسلمين وطالما كنت اذكر الله في الجلوات والخلوات وفوق السقف من كثير من المساجد المشهورة بالبركة بين المسلمين وكنت كلما ازددت ذكرا ازددت ميلا للشرور ثم استعملت كثيرا من الرياضات لعلي اصل الى نيل ماتلهج به الالسن من كرامات الاولياء فما شممت رائحة قبول ولا توسمت علامة وصول . حتي جاوزت سن الاربعين وانا كثير العمل طويل الامل . الى ان طرق قلبي طارق القنوط واليأس من نيل مارجوته مع بقائي على تلك الحالة فأطلت البحث في الاديان فما وجدت دينا اقرب للفوز والنجاة ودخول ملكوت الرب غير دين المسيح الذي وصفه قومه بأنه الاله الممجد الذي هو الآن عن يمين ابيه فبادرت بالتنصر ووافيت البطرك متعمدا وها انا الآن من اكبر المسيحيين وهذا هو الصليب في عنقي وصورة المسيح في جيبي اسجد لها كلما رأيتها الى ان أراه بعد الموت فيتعطف علي ويحسن مثواي ويحمل عني الخطايا ويجعلني عند أبيه من المرضيين

فعند ذلك تبسم الخطيب ضاحكا وقلب كفيه متعجبا وحوقل واستعاذ ورفع يديه الى السماء قائلا اللهم انت عياذي فبك اعوذ وانت غياثي فبك استغيث وانت ملاذي فبك ألوذ يامن ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له اعناق الفراعنة اعوذ بك من خزيك ومكرك . وكشف سترك . ونسيان ذكرك . والانصراف عن شكرك . انافي كنفك ليلي ونهاري ونومي وقراري . وظعني واسفاري . وحياتي ومماتي ذكرك شعاري . وثناؤك دثاري . لااله الا انت تعظيما لاسمك وتنزيها لسبحات وجهك سبحانك

سبحانك سبحانك . ما اعظم شانك سبحانك سبحانك سبحانك . ما اعز سلطانك . سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك (والله المستعان على ماتصفون)

ثم قال ياهذا لقد استحكم الجهل في جميع معالم ادراكاتك كما تحكم في فؤادك الشيطان حتى لم تجد لنفسك من ضيق الحبال والفتنة مخرجا وقد اصبحت وامسيت فاقد الشعور والاحساس حتى جهلت ما انت عليه من سوء الحال وخيبة المآل وصرت على حال كحال القائل ولله دره فقد كان اعلم منك بنفسه

دهشت لطول الصد حتي كأنني * تعاطيت مايطغى لمطعمه العقل
وحرت فلا ادري الى اين مذهبي * وكيف يطيب العيش ان عدم الوصل
وقد ضاق بي رحب الزمان واصبحت * تحاكي فلاة الارض مايحفر النمل
ولست اري الا العذول مسامرا * ولا قرب الا من رقيب له جعل
فوافيت قصرا قد تزيا مزخرفا * بزي قصور الخلد ليس له قفل
فلما ولجت الباب وامتد ناظري * لقيعان ذاك القصر من حيث لاتخلو
بصرت بقوم كالبغال تتابعوا * الى مامن الاعشاب ليس له مثل
فطأطأت رأسي كالبهائم راتعا * كما رتع الاقوام يقدمهم عجل
واصبحت استدعي الجياع لمرتعي * ومن لمرير العيش ألجأه الجهل

ثم قال يا هذا لقد علمنا ما ألجأك الى الفرار مما اعتنقه العقلاء ان كنت من الصادقين وسنوقفك على سيئات أحوالك بواضح البيان . وساطع الحجة والبرهان . ولكننا نحب أن نعلم مانلته من الخير وما حويته من المزايا بعد ما كان منك من هجر هذا الدين القويم و ما واصلته من العبادات على الطريقة المسيحية فكن على نفسك من الشاهدين ولا تكتم الشهادة

ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله على كل شيء شهيد

فقال انما نعمر الكنائس في أوقات الصلاة ونجيب الناقوش ونتعبد بمزامير داود ونسجد للصليب والمصلوب ونتلوا الانجيل فندخل ملكوت الرب

فقال له الرجل ومن أي باب من أبواب الملكوت دخلت ان كنت صادقا فبهت الرجل هنيهة ثم رجع الى حسه قائلا ان ملكوت الرب لا أبواب له فقال وما علامة دخولك ذلك الملكوت الذي كثيرا ما نسمع سفهاء كم يذكرونه ويرغبون الناس في الدخول فيه وما برهانك على صدق دعواك ان كنت من الذين يزعمون أنهم دخلوه

فقال كما يقول السفهاء والاغبياء منهم ان هذا الامر لا يليق التصريح بحاله ولم يكن في امكان الداخلين فيه التعبير عما يشاهدونه عن آياته

فقال له ألا هل من حال يظهر على أولئك الداخلين من احوال الصالحين ويتميزون به عن غيرهم او علامة يعرفون بها بين الناس فقال المفتون لا فانها اسرار باطنية لا تكشف أستارها فناداه يا هذا ان أصحاب الاسرار هم الذين يأتون بالأنباء الغيبية ويطلعون على ما في قلوب الذين معهم وربما حذروهم او بشروهم ببعض المغيبات التي تأتي بها الحوادث الدهرية كما كان عيسي عليه السلام وكثير من اولياء امة محمد صلي الله عليه وسلم فهل فيكم من يكون حاله هكذا فقال ذلك الاحمق ان هذا لا يكون ولم نسمع به فقال له اذا فما هو الملكوت الذي تدعون الناس الى الدخول فيه فهل تنادون في الناس بالترغيب في شيء ما علمتموه ولا دخلتموه وما له عندكم من باب ولا علامة ولا حال يتميز به الداخل فيه عن غيره ان هذا لهو الضلال البعيد

فقال الرجل انما ندعوا الامم الي اصلاح مستقبلهم في الآخرة ولا

نريد بالملكوت الا ملكوت الرب الذي جلس فيه ابنه عن يمينه ونقول ان من آمن بألوهيته وتلا انجيله كان معه في ذلك الملكوت في كنف أبيه فضحك الرجل طويلا استهزاء واستخفافا به وخجل المتكلم خجلا شديدا حتى كاد ان يفر هاربا فلاطفه الرجل وقال له يا هذا ما هو الأمر الذي به تحققت فضل الدين المسيحي وما هي الحال التي صيرتك فارا من دين الاسلام

فقال لاني ما وجدت في ذلك الدين خيرا . فقال له وأي خير تريد هل أردت خير الدنيا أم خير الآخرة أما خير الدنيا فطرقه معلومة عند أهل الدنيا وأما خير الآخرة فقد تحققنا جهلك به من حالك الذي سألناك عنه ان كنت في جوابك من الصادقين فما رأينا من هو أجهل منك بشؤون نفسه وما هي عليه من الغباوة والبله والتهيام الذى لا يحاكيه الا حال الدابة الجموح التي تفلتت من قائدها فصارت تغدو حيث لا تعلم الى أين تذهب

فقال المفتون وكيف ذلك فقال له يا هذا . ان الاديان لا يرغب فيها الراغبون الا لاصلاح أمرين ونوال أمر ثالث ضربت فيه اعناق الطالبين وفنيت في طلبه همم الراغبين وماتت في سبيله نفوس المتشوقين. أما الامران الذان لا يصلح حال الانسان الا بصلاحهما فهما أمر الدنيا والآخرة فأما أمر الدنيا فما هو الا الآداب الكمالية التي اذا تأدب بها الانسان حسنت معاملته للخالق والمخلوقين وتتبع الاوامر الشرعية وتجنب المناهي طائعا مختارا وبذلك يطيب عيشه ويبتهج في خلافته الدنيوية كل علي قدر ما آتاه الله من الطيبات التي استخلفه فيها من مال وعياله

حتى عوالم احساساته الذاتية فيكون محبوبا لنفسه وغيره ومرضيا عند ربه

وأما أمر الآخرة فما هو الا الاخلاص في تناول تلك الاحكام وفي التخلق بتلك الآداب بحيث لا يتحقق بحال من الاحوال ولا يأتي بعمل من الاعمال ولا يتفوه بقول من الاقوال الا ويكون مراده منه مرضاة الله سبحانه وتعالى واتباع أوامره لارضاء المخلوقين والتزين في أعينهم ومتى صح له ذلك المطلب الاهم كان قد فاز بشرف الدنيا وكرامة الآخرة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهذا هو الصراط الذي سلكه النبيون ومن ورثهم من العلماء العاملين وما اتخذ الله من ولي جاهل ولو اتخذه لعلمه بمعنى انه يرشده الى مناهج الرشد بلا واسطة وكان ذلك على الله يسيرا

وأما الامر الثالث الذي هو المطلب الاهم والمقصد الاعلى فذلك أمر لا يتوجه الى وجهته الا الوجهاء الذين اسلموا وجوههم للذي فطر السموات والارض واغتسلوا من كل درن يصيب القلوب وليس لذلك الاغتسال حقيقة الا الحقيقة التي طلبها الامام ابن مشيش من الامام أبي الحسن الشاذلي حينما جاءه ليسلك طريق القوم على يديه وما كان ذلك منه الا بعد أن تلقاها عن عشرة من الشيوخ وما فتح الله له بشيء على ايديهم فلما خامره اليأس وحاول قلبه القنوط مر ذات يوم بسنور يتصيد فرآه يطلب فارا فيفر منه الى جحره فيتركه ويطلب آخر حتى أعيته الحيلة فأمسك بنفسه على جحر واحد مدة طويلة واذا به قد نال ماطلب فقام أبو الحسن من وقته قاصدا خلوة ابن مشيش سيدي عبدالسلام رضي الله تعالى عنه فلما وافاه علم مطلبه فقال له قم فاغتسل فقام أبو الحسن

واغتسل بالماء فلما أتاه قال له ما اغتسلت يا أبا الحسن الى ثلاث مرات فأدرك أبو الحسن الامر المقصود فتجرد من علمه وعمله وحاله وجلس بين يديه كأنه مولود من حينه فأوصاه بما أوصاه به مما لا تسعه أفهام الحاضرين ومن أراد أن يعلم كيف تكون وصايا العارفين فليبحث عن هذه الوصية بالسؤال من أكابر الشاذلية عنها لعلهم أن يطلعوه على اسرارها وما حوت من الآداب الكمالية ومن لم يغتسل ذلك الاغتسال لا ينال من هذا المطلب منالا

ولا قدرة لانسان على ان يتطهر بهذا الاغتسال الا اذا صبت عليه مياه الرحمة وامطره الله شآبيب الاحسان. وهطلت عليه هواطل الرضوان كما أشار الى ذلك سيدي علي وفا رضي الله عنه في مناجاته اذ قال من يحبك سبحانك سار. ومن تحببه طار. ومن أبقيته بعد الفنا. نال غاية المنى وذهب عنه العنا. ياغنى فقر الطالبين. ويا أنيس وحشة المنفردين. الى آخر ماقال. وقد قال قبل هذا في موضع آخر. المنا تجليت بوصف الألوهية فتولهت العقول وانفطرت القلوب وهامت الارواح وحارت الاسرار وذلت النفوس كل عزيز لسلطان عزك ذليل وكل جبار متكبر لعظمة عظمتك حقير من ناديته اليك أقبل عليك ومن حجبته عنك حرمته منك ومن فتحت له باب الوصال لبس خلعة الكمال ومن لم يسبق له منك المحبة لا ينال من وصلك حبة فاجعلنا سيدي ممن حكمت له السابقة بسعادة العناية في الازل وأغنيته بك عن كل علم وعمل يامولاي ياواحد يامولاي ياداائم ياعلي ياحكيم

وهذا المطلب النفيس هو الذي أشار اليه الامام البكري في ورد

السحر بقوله . الهي ضربت أعناق الطالبين دون الوصول الى ساحات حضراتك العلية . وتلذذوا بذلك فطابوا بعيشتهم المرضيه . واليه الاشارة بقول ابن الفارض رضي الله تعالى عنه

اذا أنعمت نعم علي بنظرة ٭ فلاأسعدت سعدي ولاأجملت جمل

وبقول القائل رحمه الله

نظرت فلم أنظر سواك أحبه ٭ ولولاك ماطاب الهوى للذي يهوى

وقليلا ما يهتدي سالك الى معالم مغاني ذلك الحمي الاعز الاحمي الا بسماع صدا اصوات أنين صرعاه . او رنين المترنمين بالاغاني ممن تمتعوا بشهي مشربه ولذيذ مرعاه . وهذه مآثرهم الغراء ينادي لسان حالها المنكر عليهم بمعنى قول القائل

وان كنت تنكر وصلا جرى ٭ وتزعم أن الرشا ما وصل

فما أثر المسك في راحتي ٭ وهذا فمي فيه طعم العسل

ثم قال يا هذا فأي المطالب طلبت في بادىء امرك ان كنت صادقا وما أظنك الا من الكاذبين لانك لو طلبت اصلاح دنياك او آخرتك لما وجدت دينا قويما يرشدك الى ما تريد . ويوصلك الى اكمل مقام من مقامات العبيد . اقرب مسلكا ولا اوضح دلالة من الدين الذي ألقينا على المسامع بعض آدابه الكمالية ودرر اشاراته البهيه وان كان المطلب الذي اشرنا اليه هو الذي كان مرمي سهام اغراضك فما صدك عنه وحجبه عنك الا مزمنات أمراضك لانه مطلب لا ينال بالهمم . ولا بأن يكون لطالبه في العلم بالمعلومات اسبق قدم وما كان حالكم في دعوى دخول الملكوت بالاسباب التي ذكرتها وذكرها كثير من سفهائكم في مسطراتهم الزيغية الا

كحال الفلاسفة الذين يزعمون ان الانسان لا يزال يتتبع العلم بالمعلومات حتى يقابل ربه وجها لوجه فيكون كأنه هو يعلم ما يعلم ويعمل ما يعمل وما جاؤا على ذلك ببرهان قولي ولا عملي ومعنى البرهان القولي ان يأتي مدعي هذه الدعوى بقول قائل من أكابرهم المتقدمين يدعي فيه انه قابل ربه وجها لوجه وعلم ما علم وعمل كعمله كما عمل عيسى مثلا الذي كان يحيي الموت باذن ربه . وأما البرهان العملي فمعناه أن يأتي المدعي بدليل قوي على دعواه التي ادعاها بأن يقول ان ابن سينا مثلا الذي سموه الشيخ الاكبر عمل أعمالا كاعمال الرسل أو أعمال الاولياء الذين اكرمهم الله بتابعتهم رسله فأجرى على أيديهم ما أنكره القوم الفاسقون فاذا كان لا هذا ولا ذاك وما كان علمهم الا مقترحات ظنية تحتمل الصدق والكذب كما يقولون مثلا ان الارض تدور بسرعة لا تماثل لانها لشدة سرعتها لا ترمي ما عليها فلو ان للقوم عقولا لعلموا أن هذا الدوران الذي تكون سرعته كما يقولون لا يكون دويه الا أشد من دوي الصواعق اذ لو دار الهواء وحده بما يماثل سرعة ذلك الدوران لملاء الآفاق دويا كما هو مشاهد ومعلوم من هبوب عواصف الرياح . ولو أنها هي التي تدور لما تمكن السحاب من ايصال الماء الى قطعة منها يستدعي حالها استمطار الغيث ولو أنهم زعموا أن الارض والماء والهواء والسحاب على حال واحد في الدوران لكانوا أولى بسكنى البامارستان ممن سكنوه فما كانت دعواهم التي ادعوها في مقابلة العبد ربه وجها لوجه بالترقي في الاحاطة بالمعلومات الا دعوى مجنون لا يعقل وما هي الا أشبه شيء بدعواكم الكاذبة الباطلة . اذ الحق الذي ترضاه العقول وتقبله الافهام ما هو الا ما عليه أهل الايمان وأعني

بهم الراسخين في العلم منهم اذ قالوا ان الانسان اذ أدركته العناية ، وقومه توفيق الهداية . لا تكون له همة الا أن يعمل على تطهير قلبه من الشواغل الكونية ويؤدي ما عليه للخالق والمخلوقين من الحقوق والآداب و ينتظر ما يفرغ في ذلك الاناء مما قسم له في سابقة التقسيم الازلي من الانوار التي هي العلوم اللدنية وكلما ازداد في التطهير والتحلي تزايد في الادراك والتحلي بما يحليه الله به من الاسرار والانوار التي يقف على حقائقها المطالع لمؤلفاتهم اذ يذكروا فيها مبادي الفتوحات وكيف يكاشف المريد السالك بالمنبيات الملكوتيه والاسرار الكونية بتعليم الله له كما علم آدم الاسماء وذلك لأنهم أقوام يعتقدون كل الاعتقاد أن الله سبحانه وتعالى هو الموجود الحق وان ما سواه باطل ولولا انه كساه حلة الوجود لما ظهرت عليه طلاوة الحق مع كونه باطلا كما يشهد بذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سمعناه من كثير ان اصدق كلمة قالها لبيد

الا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

ولله در القائل حيث أتبعه بقوله

وكل أناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

من مرثية رثي بها الناظم فقيدا من علماء الازهر الشريف كان في زمن مشيخة الامام الباجوري يقال له الشيخ منصور كساب كان رحمه الله على علم وتقوى وكان بارا بوالدته حتى قيل انه قبل موته بقليل من الدقائق الساعاتية جاءته أمه بتميمة لتعلقها عليه وأخرى لتبخره بها فقال لها ضعي النار والورقة وانتظريني خارج الباب حتى أتبخر فلما خرجت ولم يقم وعادت لتنظر ما يصنع أسرع بالقيام الى البخور خوف غضبها وهو

في سكرات الموت فما أعجب ما يعمل المتقون وما أقوم ما يتمسك به المتدينون والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

ولما كان القوم على هذا الاعتقاد المخالف لمعتقدات الفلاسفة ثبت في قلوبهم ان الله سبحانه وتعالى أقرب لعبده من حبل الوريد وما احتجب الانسان عنه الا بما هو عليه من الحجب البشرية ألا وهي أغراضه وشهواته التي شغلته عن مطالعة ما يراه المبصرون الذين فتح الله أسماعهم وأبصارهم ولا يكون ذلك الفتح الا لعناية ولا تكون العناية الا عن محبة ولا تكون المحبة الا بعد انقياد وتسليم ولا يكون الانقياد والتسليم الا عن علم ولا يكون العلم الا عن كثرة المواجهة ولا تكون مواجهة بين من هو كلا شيء وبين من لا يشبهه شيء الا من الوجهة التي قدر مواقيتها الحق سبحانه وتعالى على ألسنة الرسل وفي الكتب المنزلة ولا تصح بغيرها للعبد مواجهة لربه فان المواجهة لا تكون الا بين الاجرام وأما مواجهة العبد ربه من الوجهة التي قررها الشرع وسماها الصلاة فما هي الا تجرد مشتغل عن شواغله الحسية والمعنوية والتفاته لمطلوب هو منه قاب قوسين او أدنى لو كان مبصرا ولا يكون لذلك القرب الشديد ظهور في مظاهره الاعلى مقادير الاستعدادات والقوابل التي عليها المتجهون ومتى استدامت تلك المواجهة حصلت المعرفة التي كانت الشواغل مانعة لقلوب المشتغلين عن التحلي بها ولا تزال تلك المعرفة تزداد حتى يرى العارف نفسه (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده) ويكون اذ ذاك قد تحقق بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم (من عرف نفسه عرف ربه) وهنالك تفتح له أبواب الملكوت التي تزعمون انكم دخلتموها

كاذبين واذ ذاك يعمل الله معه أعمالا كالاعمال التي جاء بها عيسى باذن الله عند مقتضيات الاحوال ان كان الله سبحانه وتعالى جعله مظهراً لأي عمل يريد امضاءه على يديه ولا يكون حاله في ذلك العمل الا كحال عصا موسى وجلد بقرة قومه بدليل قوله تعالى لرسوله ومن كان معه (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وبدليل قوله لعيسى عليه السلام (تكلم الناس في المهد باذني واذ تبرئ الاكمه والابرص وتحيي الموتى باذني) اذ ليس المعنى أن الله قال له اذهب لتحيي الموتى فذهب فأحياها اتباعاً لذلك الاذن (كلا) ولكن الاذن الالهي هو العامل ولا معنى للاذن الا الكلمة التي أشار الحق تبارك وتعالى اليها بقوله (انما أمرنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) فكان الجهل بهذه الحقائق كلها هو الداء المهلك لارباب الدعاوي من كل من الطائفتين أعني طائفة الفلاسفة وطائفة المبشرين ولولا أن الزمن زمن أقوال بلا عمل وعلم بلا حقيقة ومعرفة بلا تصور واطلاع بلا تبصر ومشدقة بغير تحقق ودعاوي بلا برهان وتقليد بلا متابعة واعتراف بلا وفاء واقرار بلا تقرب لخجل القوم من أقوالهم ولسخر العقلاء أولوا البصائر من أعمالهم ولواجههم المحققون بما واجه به قومه موسى اذ قال لهم فيما حكاه الله عنه (انكم قوم تجهلون)

ثم قال ياهذا أرأيت ان كان من الملوك ملك عاقل عادل شديد الزكاء والفطنة محسن للسياسة هل ينبغي له أن يولي مناصب مملكته غير أهلها او يعطي عطاء لمن لا يستحقه حتى وان مكث على بابه زمناً طويلا وهل يقابله بغير الطرد ألا ترى ان كسرى أنو شروان لما جاءه القيصر متنكراً ليعلم ما عليه قاعدة ملكه ثم ما زال يتقرب بالوسائل اليه حتى

كان من خواص احبابه وكان لاحد خدماء كسرى الادنياء ولد زكي نشأ تلميذا وأدرك كثيرا من الفنون واشتهر بالمعارف فتوسل والده الى كسرى بصاحبه الذي كان عنده بمنزلة فوق منازل كل خواصه أن يجعل ولده واليا او يرفع منزلته عنده فقال له كسرى سترى ما يكون من امره في الصباح ثم امر بعض اعوانه بتعليق ذلك الرجل الذي هو والد التلميذ بمكان يمر عليه ذلك الشفيع فلما اصبح وجده معلقاً فرابه امره وسأل كسرى في ذلك فقال له انه لم يكن لفساد مملكة القيصر سبب الا تولية المناصب غير اهلها ومثلك لا يرضى ان يكون سبباً لفساد ملكي واذا كان هذا حال ملوك الدنيا فكيف بشؤن مدبر الكائنات الذي قال في كتابه العزيز (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر مايشاء) فلو ان الله سبحانه وتعالى علم في مثل ابن سينا قابلية لتلقي الاسرار الملكوتية بلا تكبر ولا تفاخر ولا متابعة هواء لجعله نبياً واطلعه على خبايا اسراره التي اطلع عليها النبيون او ولياً من ذوي الكرامات ولكنه ما كلفه الا بما يطيقه وكذلك حال كل مخلوق حتى البهائم والوحوش فقد اعطى كل شئ خلقه فلو انك ذو تصور لم يلحقه فساد لنظرت الى انواع الحيوانات التي اوجد الله في كل نوع منها مايدافع به عن نفسه المضار وما يستجلب به المنفعة على اختلاف تلك الانواع من طيور ووحوش وانعام حتى عالم البحار وعلمت انه هو المعطي لكل مخلوق حق قابليته واستعداداته الباطنية والظاهرية لاسيما الانسان الذي هو محط نظره من خلقه ولا تضع حكمته العلية شيئاً في غير موضعه فلو ان مثلك عبدت الله سبحانه وتعالى الف سنة بما عبده به النبيون ووقفت على اعتابه دهرا طويلا تطلب غير ما تقتضيه

قابليتك واستعدادك ماوجدت مجيبا . ولا حصلت غير نصيبك نصيبا

وما اظنك كنت طامعاً الا في مالا مطمع فيه لامثالك فان كثيرا من الجهلاء قد استعملوا الرياضات . واكثروا العبادات . واداموا الذكر بكثير من انواعه واتخذوا المساجد بيوتا وربما قضوا غالب لياليهم كما قررناه سابقاً فوق سقف المساجد وماحصلوا لفساد اغراضهم وشؤم قوابلهم غير التعب واستحكام الشك في قلوبهم فعدلوا عما كانوا فيه من شؤن العبودية الى ماتخيرته اهواؤهم وارشدهم اليه مهرة المغوين فأصبحوا في طغيانهم يعمهون لأنهم ما التفتوا الى ماقاله اكابر العارفين من ان الكرامة هي الاستقامة فلو ان الله اعطي وليّاً من اوليائه حسن الاستقامة على الطريق المستقيم الذى هو الآداب الكمالية واعطى لآخر ما يكون على ايدي الاولياء من خوارق العادات ولم يكن كامل الآداب لكان المستقيم هو الذي خصه الله بكرامته فلو انك رزقت الاستقامة في احوالك واعمالك لعلمت مزية الدين ولما تراميت ترامي الذباب على ما اصبح سبباً لهلاكك وكذلك كان حال كل محروم من الرحمة والرضوان والله لايهدي القوم الظالمين

ثم قال له يا هذا قد تبينا حالك من مقالك وما كان لنا أن نتجارى على تكذيبك بلا برهان فما علينا الآن الا أن نسألك عما تستأنسه الآن من نفسك فان وجدت في قلبك ميلا للدين القويم استتبناك ولقناك الشهادتين وعلمناك كيف يكون السلوك وان كنت مازلت ترى من نفسك التعاصي وتشم من قلبك رائحة الاصرار عل ما أنت عليه فاذهب الى سبيلك فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باستبعاد الناقة التي قيل لها يا ملعونة فقال

جنبوها الركب فانه لايصحبنا ملعون وقد استطلعنا مما سمعناه منك أنك مطرود من رحمة الله فلا تمكث غير ما مكثت والا أهناك فخرج المفتون خائفا يترقب وقد اتخذ من الخزي والخجل غطاء ووطاء والله محيط بالكافرين

ثم التفت ذلك الخطيب الى الملاء من قومه قائلا أيها الاخوان اني غير مكذب مقالة هذا الضال المفتون لعلمي أن قدرة الله صالحة لكل عمل اذ القادر على هداية الكافر لا يعجزه اضلال المؤمن بحكم سابقة الازل عليه موافقه للقوابل والاستعدادات من كل منهما فقد يعق الولد أباه بعد ما كان من أعز الاحباب لديه لعوارض تستجلبها الاستعدادات البشرية

ولكني علمت مما شاهدته بالامس أن هؤلاء الذين استهوتهم الشياطين وصاروا في هذا الزمان نساء ابليس قد اتخذوا من طرق الحيل في الاغواء والتضليل كل طريق يظنون أنها تساعدهم على مقاصدهم وكان من تلك الطرق أنهم كثيرا مايلبسون هذه الملابس في حفلات جدلهم ثم يجلسون حيث يراهم الحاضرون فاذا قام خطيبهم ليضل الناس ووجد في القوم مقاوما معارضا استنصر باخوانه الذين تزيوا بزي المغاربة مستشهدا بهم على صدق ما يقول وصحته فيومون برؤسهم ايماء المصدق ليتوهم الشهداء أنهم مؤمنون تحققوا الحق واتبعوه وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون

ثم اني تحققت صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله (من أسر سريرة ألبسه الله رداءها) مما سمعته بالامس فقد كنت بعد العشاء الاخيرة اتفقد بعض الاصدقاء في زاوية من زوايا المتعبدين واذا بسائل

يسأل صاحبا له قائلا يا أخي اني أرى في مجامع القوم الاسافل الذين يدعون أنهم مبشرون أناسا كالمغاربة كلما عاب هؤلاء السفهاء دين الاسلام بعيب صادقوهم على ما يقولون

فقال له صاحبه يا هذا افأنت الى الآن لم تحط علما بأحوال هؤلاء القوم الذين لعن الله أسلافهم على لسان داود وعيسى بن مريم كما اخبر بذلك القرآن وكثيرا ما جاءت الآيات القرآنية بلعنهم وذكر معايبهم والتصريح بكفرهم ونهى الله النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يفتح لهم أبواب المماراة والجدل بقوله في سورة الكهف (فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا) لانهم كانوا اذا أرادوا أن يجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاؤا بالمنافقين منهم ليشهدوا لمحاورتهم له حتى اذا استفتاهم في الامر الذي وقع فيه الجدل أجابوه بما به تقوم حجة المبطلين من أصحابهم وما كان ذلك منهم الا خدعة ومكرا كما قال تعالى (يخادعون الله وهو خادعهم) فكان ذلك الحال في كل كافر منهم خليقة غريزية من طريق الوراثة والتقليد حتى استفحل هذا الداء في هؤلاء القوم الذين مقتهم الله من حيث لا يشعرون وأخذ بنواصيهم الى مصارع الانتقام ومواقع الغضب عن ميل منهم اليها وتراض لان دواعي تلك المصارع هي التي توافق قوابلهم واستعداداتهم فقاموا على قدم وساق يخدعون العوام و يتخذون طرق التحايل في اغوائهم ليضلوهم كما ضلوا ويهلكوهم كما هلكوا ولكن الله سبحانه وتعالى تأبى رحمته أن يهلك العوام البسطاء بما أهلك به هؤلاء الاشقياء فان آثار رحمة الله سبحانه وتعالى ما زالت ظاهرة في أحوال هذه الامة وأعمالهم وما زالت فراسة الايمان في قلوبهم فترى أبسط العوام اذا رأى أمهر مبشر تزيا بأي

زي تفرس فيه أنه ممقوت وانه من القوم الضالين . ولولا ان الخجل يحول بينه وبينه لمسكن نعله من تلك الناصية الكاذبة الخاطئة والله لا يحب كل كفار أثيم

ثم جلس ذلك الخطيب ليريح قلبه وقالبه من عناء الوقوف ومعاناة الحدة الغضبية التي تفاجئه كلما سمع بما يقول هؤلاء الضلال وما يتخذونه من طريق التحايل والمخادعة ثم امر القوم ان يتطهروا بالوضوء لاداء فريضة ذلك الوقت الحاضر وكان هو الامام فما اتم الصلاة الا وذلك الرجل المطرود قد اقبل ومعه جماعة من المبشرين فجلسوا في مجالس المصلين التي اتخذوها قبل الصلاة ثم اختتم الخطيب صلاته وحمد الله واثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفع صوته بالدعا مستقبلا يدعو بدعوات صالحات منها . اللهم انا ندرأ بك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم . اللهم عليك بهم فانهم لا يعجزونك ابابيل أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول . اللهم يا قائما فوق خلقه ويا حائلا بين المرء وقلبه حل بيني وبين الشيطان ونزغه وبين من لا طاقة لي به من خلقك اجمعين . اللهم اكفف عني السنتهم واغلل ايديهم وأرجلهم واربط على قلوبهم واجعل بيني وبينهم سدا من نور عظمتك وحجابا من قوتك وجندا من سلطانك انك حي قادر مقتدر قهار . اللهم اغش عني ابصار الاشرار والظلمة حتى لا ابالي بأبصارهم يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ

ثم قام فجلس مكانه من قبل وقال للقوم هل من حاجة فقام رئيسهم قائلا ان هذا وأشار بيده الى المطرود قد شهد محافلكم أياما وما من يوم

الا و يأتينا بأنبائكم فلا نستطيع ان نأتي لمقاومتكم او مناظرتكم حتى افتتح معكم باب الجدل وجاء يدعي انكم عندما علم القوم طويات أسراره كنت أنت المدافع عنه شرور الحاضرين و كففت عنه ألسنتهم وأيديهم ثم فاوضته الحديث وناصحته ولما لم يقبل قلت له امض الى حيث أتيت فلذلك جئنا لنجدد الجدل معك حتى نتبين الحق ونهتدي الى سواء السبيل

فقال الخطيب نعم ما فعلتم ان كنتم صادقين فقال رئيس القوم وهل يبغي من قام يدعو الى سبيل الرشاد غير الحق . قال الخطيب نعم ولكن الحق لا يتجلى في أمر واحد بصورتين ولا يوجد الا في جيب أحد المتجادلين ولكننا نرى ان كل معاند مصر يدعيه و يزعم أنه هو الذي مد موائده وملأ من شهي ذوقياته أوانيه فكيف اذ ذاك يكون بيننا الوفاق . ومن ذا الذي يحكم للسابق منا بالسبق في مضمار السباق . فقال الرجل أيها الخطيب انا لو أردنا التقاضي لتفقدنا القاضي والشهود . وأجلنا المناظرة الى أجل محدود . ولكننا لا نريد الا الرشاد والارشاد . ويكفي الشارد شروده ان اصبح محروماً من راحة المتابعة والانقياد . فاما أن تلقي واما ان نكون أول من ألقى (قال بل ألقوا) فقال ذلك الرئيس بأي سبب من الاسباب تنكرون ألوهية المسيح وبنوته وقد أثبتها الانجيل وصادقه القرآن على ذلك بقوله (وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) وكيف تكفرونا وما ادعينا أن الله واقع مريم فجاءت له بولد ولكنا نقول انه كان ذاتاً قديمة جوهرية فحلت في بطن مريم لتتزيا بزي البشر فتحمل خطاياهم أليس هذا بمعقول أما بلغ منكم التغالي في مدح أوليائكم أنكم تقولون ان الولي في قدرته أن يلبس جسد غيره فيتكلم فيه بما يريد فلماذا اذاً لم توافقونا

على ما اعتقدناه وتصادقونا على ان الله اتخذ من نفسه ذاتاً قديمة لتكون له ولداً وأباح لها ان تتزيا بزي البشر أليس هذا الاعتقاد معادلا لدعواكم فاما ان تبينوا لنا وجوه المخالفة بدليل قطعي وبرهان معقول واما ان تعترفوا بصحة اعتقاداتنا وحسن اعمالنا واستقامة احوالنا

فقال له الخطيب ياهذا ان مثلك الآن كمثل من مسك رأس رجل يريد ان يقيها من صدمات المقاتلين فان سلمت سلم الرجل كله وان أصيبت بمقتل من مقاتلها هلكت وهلك كل الرجل لان هذا الذي ذكرته هو رأس دينكم ومحور شريعتكم فما عليك الا ان تعيرنا سمعاً صاغياً . وقلباً واعياً . وميلا الى الرشاد . وتباعدا عن العناد . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

ثم قال ياهذا انما الحق الآن مستور ببراقع ظنونكم وتحت غياهب اوهامكم ولا يظهر الا اذا انجلت ظلمات شبه تلك الاوهام وانكشفت استار تلك الظنون ولا ينقلب الشك يقيناً الا اذا تحققنا منكم احد امرين فاما ان تكونوا معتقدين ما يعتقده العقلاء من ان الوجود الحق ما هو الا للموجود الاول الذي هو واجب الوجود لذاته الذي ما وجد موجود الا منه الذي ليس بمخلوق ولا يشابهه مخلوق واما انكم تعتقدون كما يعتقد سفهاء الفلاسفة الطبيعيين من ان الموجودات موجودة بطبعها وليس لها موجد بل هي كما زعموا قوى فعالة تفعل لا عن حكمة وتدبير ولكنما من اعمالها ما يكون طبيعياً ومنها ما يكون بحكم الصدف فان كنتم كهؤلاء السفهاء الضلال الذين ألهتهم زخرفة اقوال المتقدمين منهم عن الحق وأشغلتهم المعلومات التي اتبعوا فيها ظنونهم واهواءهم عن متابعة العارفين فما لنا الى

محاورتكم من حاجة (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) لان افراد هذه الطائفة هم أشد عباد الله عداوة لله ولرسله وهم الذين (بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار) واما ان كنتم من المتابعين لاهل الاعتقاد الاول فقد انقسمت طائفتهم الى فريقين فريق منهم يعتقد البعث والنشور وكل ماجاءت به الرسل من انباء الآخرة والفريق الآخر يكذب ذلك كما قال قائلهم

فموت ثم بعث ثم حشر * حديث خرافة يا ام عمر

فان كنتم الفريق الثاني فما عليكم من تكذيب النبيين او تصديقهم من شيء . ولا ضرر عليكم في اي اعتقاد تعتقدونه الآن اذ الكفار يدخلون النار بغير حساب وما لاحساب عليه لا ضرر على من يطيل العكوف عليه ولسنا نبحث الآن في حال من هذا حالهم

وان كنتم من المتدينين الذين تابعوا الرسل وآمنوا بما جاؤا به ويخافون الله واليوم الآخر فما علينا من بأس في ارشادكم الى ما يجب على كل عاقل اعتقاده فمن منكم آمن واهتدي فقد هدي الى صراط مستقيم ومن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا

فقال ذلك القسيس انا قوم نؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين الا نبيكم فما نحن له بمؤمنين

فقال الخطيب انما ندعوكم الآن لتوحيد الاله الاكبر ليس الا ومتى نبت في قلوبكم هذا الغرس ربما اثمر فيها من البركات مايجعلكم من الناجين والله على كل شيء قدير

ثم قال ياهذا ان الله سبحانه وتعالى لم يطالب امة من الامم على لسان رسول من الرسل بدين من الاديان الا وفي مقدمته التوحيد ولا معني له

الا اعتقاد ان الله احدي الذات وحداني الاسماء فرداني الصفات . فان قلنا ان ذات المسيح نشأت عن تلك الذات كان المسيح حادثا والحادث لا يكون الا مألوها لان الذي انشأه هو الذي يكون الهه لا أباه

وان قلنا انها ذات كانت في الازل واحدة ثم تجزأت الى جزئين جاز عليها أن تتجزأ الى اجزاء كثيرة وكان لكل جزء ان يدعي الالوهية التي أدعيتموها لعيسى وذلك ممنوع عقلا وشرعا وان قلتم ان ذات المسيح ذات منفعلة عن تلك الذات لاهي عينها ولا غيرها نقول لكم هكذا كانت كل الموجودات من أول موجود لآخر موجود ولذلك قيل ان الايجاد لا يتناهى لدوام بقاء الموجد واستحالة بقائه بغير ايجاد

ومن كان منكم ذا ريب في أمر عيسى عليه السلام فليتفكر كيف خلق الله المخلوقات مع كونها كانت عدما وكيف كان هو علة وجودها مع أنه كان هو الوجود المطلق الحق الذي لم يوجده موجد ولا موجود معه ثم يتبصر في قوله تعالى (خلق لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منه) وينظر فيما قالته التوراة من أن الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم واستحسن خلقه قال للأرض انبتي اشجاراً فكان الشجر الى آخر ما جاء في سفر التكوين .

ومتى تبين المتفكر أن وجود ذاتين قديمتين محال وأن تجزأ ذات واحدة الى اجزاء متفرقة محال علم علم اليقين أن المسيح مخلوق لخالق قديم لا ينبغي له أن يشابهه في شأن من شؤونه الذاتية حتى وان جاء في بعض أعماله بما يشابه أعمال خالقه لأن أعمال المخلوق ما هي الا أعمال الخالق كما عقله أولوا الالباب مما بيناه في كثير من المواضع الوعظية من أن قوى

كل مخلوق ما هي الا معارة أعارها له خالقه الى اجل معلوم ليكون بواسطتها ما أراده به ومنه وأنها كلها مكتسبة من المواد الخارجية التي لولاها لم تكن فلذلك ترى الحيوانات والنباتات دائمة الاحتياج لغيرها من الموجودات كما كان عيسى عليه السلام لو عقلتم ولكن الله لا يهدي من هو مسرف مرتاب

ثم اذا كان الامر كذلك فما هي الضرورة التي تدعوكم لأن تشركوا بالله ما ليس لكم به علم فهل جاء في التوراة أو الانجيل أن الله سبحانه وتعالى قال يا عبادي سأنزل الى الارض أو أنا نزلت في بطن مريم لأقيم فيما بينكم اياما ثم تصلبونني فيكون لكم في ذلك الفوز العظيم

أو جاء فيهما اني سألد لكم ولدا وألبسه ثوب البشرية لتصلبونه (كلا) والله ما كان ذلك أبدا ولكنكم لما أكثر المعربون للاناجيل من ذكر البنوة والأبوة ظننتم أنها بنوة حقيقية وما ذلك الا لجهلكم بمعناها لانها ان كانت بمعني التناسل فهي من المحالات التي لا يتصور العقل وقوعها بالنسبة الى الله اذ لا نسبة بين الله ومريم وابن مريم الذي زعمت امة كانوا في ذلك العهد أكثر الامم عددا أنه ابن يوسف النجار . وان كانت بمعنى الاصطفائية فليست بمنكورة عند العقلاء لأن هذا المعنى هو الذي عقله المتفقهون في الدين من أقوال الانجيل ومن عقل من الفاظ الاناجيل سواء الصادق منها والكاذب غير هذا المعني فهو ضال ومعتوه لا يفرق بين خاء الخمار وحاء الحمار (وما ربك بظلام للعبيد)

ثم قال اذا كان الله سبحانه وتعالى لم يكلفكم باعتقاد ألوهية المسيح ولم يتوعدكم على انكارها بنوع من انواع العقاب ولا وعدكم من الخير

بجزاء جزيل أو قليل على اعتقادها بل كثيرا ما صرح المسيح عليه السلام بأنه رسول الله وما جاءت آية لاثبات ألوهيته الا بعض اقوال متشابهة الالفاظ لا تتطرق معانيها الى اثبات الالوهية بحال من الاحوال ولا بقرينة من القرائن لاننا لو رأينا شبحا من الاشباح على بعد . ثم قال أحدنا هذا شبح حمار وقال الآخر ما هو الا شبح فرس وقال غيره بل شبح انسان فهل يكون أحدهم محقا الا اذا كان ذلك الشبح متصفا بأوصاف النوع الذي أشار اليه احدهم أنه منه

فهل يسوغ لنا أن نقول ان الجسد الذي يأكل ويشرب وينام ويحتاج لكل ما تحتاج اليه الاجساد من الضروريات يكون الها . وهل بعد قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يقال ان رب الملائكة سكن الارض وحكمت عليه أطوار البشرية انا اذا لفي ضلال مبين

ثم قال يا هذا وماذا عليكم أنه رسول الله وأنه رسول كريم فان كان ابن الله فما هو الا مرسول من عنده وقد آمنتم به وان كان كباقي الرسل كنتم على سلامة من ورطات هذه الشبهة المهلكة ولا حجة لله عليكم سواء كان هو الاله او ابنه لأنه تزيا بغير زيه ومن تزيا بغير زيه لا تبعة على من أنكره

ثم ماذا عليكم ان كان الخيال قد خامر مخيلاتكم واصبحتم مصرين على الوهيته لو انكم اعتقدتم انه قد صعد لذروة ملكه ومكث طويلا حتى علم من الناس الفسوق فارسل لهم رسولا من عنده اسمه محمد ليرشدهم الي الطريق القويم هل في ذلك من نقص يلحق رتبة الوهيته او سفه

يدنس اخلاقه اومن قبح في اعماله كلا والله لا يكون ذلك الا من كمال قدرته وعظم ربوبيته وشدة عنايته بخلقه ولا يكون المنكر عليه هذا العمل الا من الظالمين

ثم قال يا هذا ان القول الذي قارنت به دعوانا في الاولياء بدعواكم في المسيح بعيد عن صحة التصور وصدق المقارنة لأن ما ذكرناه بالنسبة للاولياء ما هو الا مفعول انفعالات نفسية تقوم به النفوس القوية التي تساعدها العناية الالهية على ذلك الانفعال من طريق سر القيومية الذي به وقف ارباب البصائر والانوار الذوقية علي معنى وحدة الوجود وما تلك الانفعالات الا احوال وقتيه لا دوام لها وما بينها وبين ما تدعونه في المسيح أدني مناسبة لانكم لو ادعيتم ان المسيح ذات قدسية انفعلت عن كلمة كن بلا أب لكنتم من الصادقين وكنا نحن وانتم في هذا الاعتقاد سواء وهكذا كان انفعال كل موجود انفعل عن هذه الكلمة الجوالة بدوائر الاكوان وكان الله بكل شيء محيطا

كل ذلك كان والقوم باهتون صاغون صامتون لا يرتد اليهم طرفهم الا لوقع ذباب . او ايماء اعجاب

ثم قال يا هذا تالله لو ان المجرم جاء يوم القيامة يتفقد كل نبي ويتملق بدعوى المحبة لكل رسول لينال شفاعته ما استطاع شافع ان يشفع له الا اذا كان في اعماله واحواله التي تشهد بها له وعليه صحفه وجوارحه بما يستدعي الشفاعة ولو ان مريم عليها السلام اشركت بالله كما اشركتم وزعمت ان لله ولدا كما زعمتم ما تمكن المسيح من انقاذها من بين المشركين واذا كان الامر كذلك فأي ضرورة تدعوكم للاشراك بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا

يا هذا اني لضارب لك مثلا على فرض ان عيسى ابن الله لتتصور خطأك وخطأ من معك من المجرمين

ارايت ان احببت ولي عهد لأحد الملوك وكان من ابنائه ثم عصيت ذلك الملك فيما امرك به من طاعة بعض الولاة الذين انتدبهم لاصلاح احوال الرعايا فهل تتصور انك اذا دعيت لمواقع العقاب تنجيك محبة ولده او يكون لذلك الولد ان يقول اني ابن الملك وهذا من احبابي فلا تعذبوه اذاً لبطل نفوذ اوامر الملك بمصادمة ولده لها واذاً لادعي كل معارض محبة ذلك الولد واصبح الملك اذ ذاك مقيد النفوذ برضا ولده وهذا أمر لا يكون في ملوك الدنيا فكيف برب الارباب وملك الملوك الذي (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) الذي ما ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا الا بعد عيسى بما فوق الخمسمائة عام وما جاء يدعو الى طريق غير التي دعا اليها عيسى وموسى ومن كانوا من عهد آدم الى عيسى من النبيين والمرسلين ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

ثم قال يا هذا هل تزعمون يا أمة المسيحيين بل يا معشر المبشرين أنكم يوم تبعثون يوم القيامة في موقف غير الموقف الذي تجتمع فيه الخلائق أم تظنون أن الزاني منكم او القاتل او السارق او مرتكب الكبائر كلها او بعضها لا يحاسب يوم القيامة لانه آمن بأن المسيح ابن الله أم تتوهمون كما زعمتم أن الآله الاعظم جل شأنه وتقدست أسماؤه حل في بطن مريم وتجسد بصورة بشرية كان اسم عيسى علما عليها ثم أسلم نفسه للصلب لينجيكم من الخطية فلذلك لا تعذبون أليست كل هذه الاعتقادات أوهاما خرافية تزري بحال معتقدها وتجعله ساقط المنزلة والاعتبار

ثم قال يا هذا ما هي النسبة التي بينكم و بين المسيح ان كان الهًا أو ابن آله كما تزعمون أو ابن يوسف النجار كما زعم اليهود أو مخلوقا لله خلقه من تراب كما خلق آدم و باقي المخلوقات البشرية كما يعتقده العقلاء . ألا هل من رابطة في الجنسية . أو معاهدة سرية . أو مودة أزلية . أو أبدية (كلا) والله لا هذا ولا ذاك وما كنتم يابني اسرائيل و ياأمة المسيحيين على اختلاف القبائل والعشائر منكم الا افرادا من افراد النوع الانساني الذي تناسل من أبي البشر آدم عليه السلام وما كانت مريم الا من ذلك النوع وما كان عيسى بن مريم الا منه وما جاء عليه السلام الا ليدعو الى الله ويعلم مكارم الاخلاق التي جاء الشيطان يدعو الى ضدها وما كان محتاجا لاضعاف اضعافكم أن يثبتوا ألوهيته ان كان الهًا ولا الى تلاوة انجيله وما جاء الانجيل الا للارشاد الى الطريق التي لا ينبغي للعقلاء أن يسلكوا سواها ولقد جاء القرآن بعده بما هو اوضح منه بيانا وأقوم تبيانا وجاء محمد صلى الله عليه وسلم متخلقا بما في كتابه الحكيم من الاخلاق ومرشدا الى اقوم طريق فأي داع يدعو العقلاء الى مخالفته مع موافقته لما جاء به النبيون من الآداب الكمالية التي هي منجاة كل سالك وما حملكم على أن تختلقوا له عيوبا تذكرونها فيما بينكم وتنشرونها في صحفكم التي حفظها الله عليكم فهل ذلك من مكارم الاخلاق التي جاء بها عيسى أم رهبانية ابتدعتموها أم تملق قدمتموه للمسيح بين أيديكم حتى تأتوه وهو على يمين ابيه كما تزعمون يوم القيامة فتقولون له اننا تركنا وصاياك هملا لأننا كنا في شغل بمحاربة رجل جاء بعدك يدعو الناس الى عبادة أبيك الذي انت عن يمينه و يقول انه هو الآله وحده وانك لست بآله ولا بابن آله . فلو أن عيسى

سألكم اذ ذاك بقوله هل دعا ذلك الرجل الى عبادة الاصنام هل دعا الى ارتكاب منكر هل انكر أني رسول من عند أبي هذا هل أمر الناس أن يكفروا بآله السموات والارض الى غير ذلك من كل سؤال مفحم فماذا يكون جوابكم اظنكم والله لا تجدون جوابا

أليس عملكم مع محمد صلى الله عليه وسلم هو عمل اليهود مع عيسى بعينه اذ رفضوا دينه وانكروا رسالته وكفروا بانجيله مع أنه طالما ناداهم بأني ما جئتكم الا لارشدكم الى الاخلاق التي ترضي فاطر السموات والارض ومع ما شاهدوه من الآيات الكبرى لم يزدادوا الا كفرا وطغيانا . ألم يكن حال اليهود مع موسى قبل الايمان به وحال فرعون وملائه كحال اشقياء الامم مع الرسل . هكذا والله هو حالكم مع محمد صلى الله عليه وسلم فقد أوضح الدين . وقوم قواعد اليقين . واسس بنيان دعوته تأسيسا حسنا قويما وشيد اركان شريعته بما يشاهده العقلاء ولكنكم ممن استحبوا العمي على الهدي واشتروا العذاب بالمغفرة فما اصبركم على النار . وانها لبئس القرار

ثم صرف عن القوم وجهه الى قومه الاول قائلا والله ان الحق لبين وان الدين القويم لواضح الانوار . متكامل الآداب والاسرار . وان هول القيامة لهائل وان الرقيب لحاضر وان الخطب والله لعظيم ولا نجاة الا لمتيقظ ومتحفظ متمسك بعروة الدين الوثقى . وماذا يضر أي مسيحي أو أي يهودي لو انه اتخذ طرق الاحتياط والتحفظ من خبال الاصرار ومهلكات التعصب فأصبح مصدقا برسالة هذا النبي الكريم الذي ما ترك فضيلة الا أرشد اليها ولا رذيلة الا نهى عنها ولو بمجرد تصديق قلبي وان لم يعمل بشريعته لانه اذ ذاك يكون قد اتخذ لنفسه بالايمان به وقاية من وطئة الانتقام والعذاب

الشديد اذا جيء به يوم القيامة وقيل له أليس هذا برسول وقد رأى محمد
صلي الله عليه وسلم يقدم أمته وهو كالعروس وما في القيامة من هو رافع
لواء الحمد غيره . ثم ان لم يكن رسولا لم يصله أدنى ضرر من الايمان
به لانه ما آمن الا برجل بلغت شهرة رسالته عنان السماء وتواتر نبأه
بأصدق نبأ واحسن تواتر وانه لمن المعلوم انه ماوجبت متابعة أمة لرسولها
مع طول المدة وفوات زمن رسالته بكثير الا لتأييد دعوته بصدق التواتر
والشهرة فماذا على العقلاء من الامم لو آمنوا به وصدقوا برسالته حتى
لا يكونوا كفارا مكذبين لله ورسوله مستحقين الخلود في النار بل يكونوا
عصاة ليس الا لترك اتباع شريعته والعمل بها بل ربما نفعهم التمسك
بدينهم الذي هم عليه ان احسنوا متابعة رسولهم أليس اذا كفرهم به
ضربا من ضروب الجنون وتعصبا كتعصب العامة المتوحشين الذين اذا
سمعوا صياحا هرولوا اليه بأسلحتهم حيث لم يخشوا عاقبة ذلك التعصب وما
علموا سببا لذلك الصياح ان هذا لهو الضلال البعيد

ثم قال تالله ان التعصب والعناد والاصرار الذي منع هؤلاء الضلال
عن الايمان بهذا النبي الكريم ولو بالقلب ان ظنوا في طلب النجاة عارا
ماهو الا عمل كعمل البغال التي تتعاصى عن السير الى منافعها وقد سيقت
لذلك وما كان ذلك التعصب والتعاصي من القوم الا بحكم سابقة القضاء
الازلي موافقة لقوابلهم واستعداداتهم ونفوذ الاقدار فيهم كما يساق الشقي
الى عمل من الاعمال المقوتة فيوقعه شقاوه في مخاليب القضاء فيقضى
عمره مسجونا نادما على عمله الذي لم يفده أدنى فائدة وكان الله على
كل شيء مقتدرا

واذا بالقوم قد تسللوا وراء رئيسهم وقد اسودت منهم الوجوه
وتنكست الرؤس وظهرت عليهم علامة الندم وما اختفوا بالجدران الا
وقد رفع ذلك الخطيب يده الى السماء مبتهلا ضارعا الى ربه قائلا بعد
ماقلب كفيه متعجبا (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من
لدنك رحمة انك انت الوهاب) اللهم احفظ عقولنا من الشبهات . ونفوسنا
من الشهوات . وأرواحنا من الكدورات . وقلوبنا من الغفلات . واسرارنا من
الظلمات . وقونا بمدد الملكوت على اعباء العباد والسلوك والرقي الى حضرات
قدسك وأنسك انك على كل شيء قدير

اللهم ربنا آتنا من عندك رحمة وعلمنا من لدنك علما نكشف به
ظلم الشبهات الملتبسة على الافكار بأفهام العقول المحجوبة عنك حتى
نستبين به طريق الرشد والهداية وارزقنا الحفظ والعصمة من كل رذيلة
تصد عن طلب حقك وحقيقتك في الحال والمآل وامنحنا منح القرب
والتقريب والكمال والتكميل والرشاد والارشاد والهدي والهداية وهب
لنا ودادك وارفادك انك لطيف خبير اللهم اني اسألك شوقا يوصلني اليك
ونورا يدلني عليك . وروحا قدسيا ينفث في روعي كل امر انعجم علي فهمه
أو عزب عني علمه . وايدني بروح منك واكنفني بنور من نورك أوضح
به طرق الرشاد للسالكين . وأبين به رتب الوصلة للقاصدين . وافتح بابا من
الافق الاعلى والافق المبين . وارفع رقيمي في عليين . وردني برداء اللطف
بعلم اليقين . فانك الطف اللطفا . وارحم الرحما . يارب الارباب . ويامجري
السحاب . ومنور الالباب . انك على ماتشاء قدير وكان ذلك على الله يسيرا
ثم قال ياأيها الاخوان . ان أعظم نعمة أنعم الله بها على الانسان . هي

نعمة العقل الذي هو بمعنى النور الذي يجعله الله له ليمشي به في الناس وما أوتي الانسان ذلك النور الا ليهتدي به الى طريق النجاة لانه محتاط بظلمات بعضها فوق بعض لا يتخلص من ورطاتها الا بذلك النور وان اشد ظلمة من الظلمات البشرية لظلمة الغرور والطغيان على علم لان ظلمة الجهل ربما أزالها العلم وظلمة الشهوات ربما أزالتها أضدادها مثل العفة الزهد وغير ذلك من الادوية التي يعالج بها الاطباء الروحانيون مرضاء الذنوب اذا تابوا واما ظلمة الغرور وطيش الطغيان فلا يزيلها الا عناية ربانية وهداية توفيقية بعد طويل تأديب وزجر عنيف وهذه الظلمة الحالكة هي التى أهلكت كثيرا من أهل الاطلاع من أبناء هذا الزمن الذين ظنوا أن للعقل سلطة على الدين حيث جهلوا كيف كانت منزلة العقل من الدين لانهم لو علموها لما اتبعوا أهواءهم وذلك لان الدين أمر سماوي سماه مؤسسه ميزانا في موضع وصراطا مستقيما في موضع آخر من القرآن وما كان ميزانا الا لانه هو الذي به توزن مقادير العباد عند ربهم فمن اراد أن يعلم منزلته عند ربه فلينظر منزلة ربه عنده ولا تستبين منزلة الرب عند العبد الا بالدين فمن كان شديد الخوف والحياء مستعظما مقام ربه بالطريق التي أشار الله اليها بقوله (فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) فذلك هو صاحب الميزان الذي تكون له عند الله منزلة بقدر ما لله عنده من المنزلة واما فاقد الحياء والخوف فلا منزلة له لانه ضيع ربه فأضاعه وقد قال الله تبارك وتعالى في بعض كتبه السماوية يابن آدم كما تكون لي أكون لك فلذلك سمي الدين ميزانا في مثل قوله تعالى (ووضع الميزان) في سورة الرحمن وما

كان صراطا مستقيما الا لانه موصل الى معالم القرب ومغانم الفوز والنجاة وما كان العقل بين الانسان وبين تلك التعليمات الدينية الا كجارحة يتناول بها المتناول حاجته فان كانت الجارحة قوية أحسنت التناول وتوصل بها المتناول الى مراده وان كانت غير قوية بددت ما تناولته وباء المتناول بها بالخيبة والحرمان هذه هي منزلة العقل من الدين والله على ما أقول وكيل

ولكن سفهاء هذا الزمن الذين كان من حكمتهم أن لا ينزلوا الاشياء منازلها توهموا ان للعقل سيطرة على الدين لجهلهم الفارق بين العقل والهوى فأطلقوا ألسنتهم بما تهوى افئدتهم وظنوها وصايا اصلاح وما كانت الا مجالب فساد وافساد زينها لهم الشيطان فأهلكوا بها كثيرا من الناس وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون

أيها الاخوان ان الدين والله لقويم لا اعوجاج فيه فانه هو هو من عهد ما أنزله الله على عباده الذين اصطفاهم غير انه يربو وينمو في القلوب كلما ربا ونما الايمان وحسن اليقين فيها وتزداد اغصانه وتحلوا ثماره بسقي الهداية وحراسة التوفيق والعناية وما ربا في زمن من الازمان ونما كنموه في قلوب هذه الامة العظمى وفي اخلاقهم لعناية الله سبحانه وتعالى بهم وبرسولهم فأصبحوا به في اعتدال قويم ولذلك قال قائلهم شعرا

عندي حدائق ود غرس نعمتكم * قد مسها عطش فليسق من غرسا
تداركوها وفي اغصانها رمق * فلن يعود اخضرار العود ان يبسا
ان الكريم اذا أنشا حدائقه * كانت أحق بأن تسقى وتنحرسا

وليس الاعوجاج الا في احوال المعوجين واخلاقهم وذلك لان الاتقياء

لا يطلبون العلم الا للعمل به في نفوسهم حتى اذاقوموها سعوا في اصلاح العامة . واما السفهاء لا يطلبون العلم الا لزخرفة القول وطلاقة اللسان فلذلك احاطت بكثير من فلا سفة هذا الزمن خطاياهم فضلوا وأضلوا من حيث لا يشعرون لانهم طلبوا العلم ليعلموا لا ليعلموا فكان علمهم كشجرة بلا ثمر والشجره الغير المثمرة لا بركة فيها فقاموا مع اعوجاج احوالهم يدعون الناس الى ما علموا وما علموا الا زخرفا من القول وزورا وما كان لهم من دين الا اتباع الظن وما تهوى الانفس فما كانت وصاياهم الا بالباطل الذي لم ينزل الله به عليهم من سلطان

وما مدح الله سبحانه وتعالى المؤمنين الا بأنهم تواصوا بالحق في مثل قوله (بسم الله الرحمن الرحيم والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ومن كان ذا عقل وتمييز يعرف به الفارق بين الدين الذي جاءت به الرسل وبين التمدن والحضارة التي تنادى بها سفهاء الخطباء الآن اذا امعن النظر قليلا علم الفرق البين بين مزايا الدين ورزايا التمدن التي اهلكت الامم وتركتهم في طغيانهم يعمهون

وذلك لان اهل النظر والاستدلال الآن الذين زعموا انهم هم المصلحون ما كانت دعوتهم اذا قاموا خطباء او نشروا على السنة الصحف مقالاتهم الا الى مسابقة الامم في اتقان الحرف والصنائع وزخرفة الاشياء التي يحتاج اليها الانسان ويا ليتهم دعوا الناس الى ذلك بالحكمة والموعظه الحسنة بأن كانوا يوجهون الخطاب الى كل ذي حرفة باتقان عمله بل قاموا قائلين ان اوربا واهلها اقوم منكم احوالا وأعمالا وما زالوا يستشهدون

على صدق زخارف اقوالهم وصحة خزعبلاتهم بشواهد منها ما هو معقول ومنها ما هو منقول حتى قلقلوا قلوب العامة عن مراكز اليقين الديني فأصبحوا مذبذبين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكانت تلك الدعوة من أكبر النزغات الشيطانية التي أخرجت التقوى من قلوب المتدينين فأصبحوا خاسرين

وهذا هو التمدن الذي تنادوا به وقد بينا معائبه ومصائبه من قبل وما أرسل الله الرسل ولا شرع الشرائع الا لينقذ أحبابه من وحلات الحضارة والتمدن ويسلك بهم طريق الاعتدال . وذلك لان الانسان اذا لم يكن غويا مغرورا طاغيا مملوكا لنفسه وشيطانه لا يحتاج في حياته القصيرة الا الى ثلاثة اشياء يحتاج اليها كل حيوان الى شيء يقيه الحر والبرد . وشيء يأويه . وشيء يطفئ حرارة شهواته التي منها تناول الماء والطعام وما من داء عضال يصيب الانسان من حيث لا يشعر الا وسببه التفريط أو الافراط في هذه الثلاث أو في طلبها فجاءت الكتب السماوية والتعليمات الالهية والوصايا النبوية لبيان طريق الاعتدال في ذلك فلو أن الانسان أقام تلك الوصايا لما تطرق اليه الهلاك بحال من الاحوال لا في دنياه ولا في آخرته كما يعلم ذلك علم اليقين من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . لان الانسان اذا لم يتغال في ملبسه وفي مطعمه وفي مسكنه كما تتغالى الاغنياء لا تطرق ساحته الهموم ولا يستفزه الاحتياج ولو أنه قنع بالقليل من الرزق ورضي بما قسم الله له من كل شيء لكان محبا لجيرانه راضيا عن اخوانه فارغ البال غير حاسد ولا محسود خاليا من الشح والحرص والطمع وجميع المهلكات الهوائية قادرا على اصلاح

دنياه وآخرته ولو أن القوم تمهدوا قواعد الدين وآدابه وألقوها الى العامة في مقالاتهم ومواعظهم لما أهلكتهم الملاهي ولما ترامو على الكبائر التي صيرتهم كالانعام لايخجلون ولا يخافون

ولقد كانت أحوال الامة المحمدية على أحسن حال حتى جاء الوقت الذي غير القوم فيه معالم الدين فجعل الله عاليهم سافلهم وألهاهم بملاهي الحضارة والتمدن التي كانت سببا في اراقة الدماء بين الامم وغرس شجر الشح والطمع في قلوب العامة واثارة نيران الحقد والحسد والبغضاء بين الاصدقاء والاشقاء الى غير ذلك مما جاءت المناهي الشرعية لاجل انقاذ المتدينين من شروره فأصبح سفهاؤكم وهم داعون اليه فكانت دعوتهم ودعوة الانبياء على طرفي نقيض وهذه هي المحاربة التي أشار الله تبارك وتعالى اليها بقوله (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض) لو وجدوا من يقيم حدود الله ويعمل بأوامره (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)

ثم قال ألا هل سمعتم بفيلسوف دعا في خطبته الى اقامة الصلاة التي هي وجهة المواجهة بين العبد وربه وميدان التقرب ومهبط الاسرار ومنبع الانوار في قلوب الخاشعين الذين هم على صلواتهم يحافظون وما كانت الصلاة الاعملا ذا حال يتميز به المصلي من باقي الحيوانات اذ لولاها لكان الانسان هو وباقي الحيوانات سواء لانه ما من حيوان الا وله علم بضرورياته وبالتحايل على جلب النافع ودفع الضار وما كان من الحيوانات ومن هو ذو قابلية للقرب واستعداد للتلقي الا الانسان وماجعل الله له من

وسيلة لهما الا الصلاة فمن تركها كان هو والانعام سواء وان تمشدق . أو تزندق . أو تذبذب (انهم الا كالانعام بل هم أضل)

ألا هل سمعتم بفيلسوف يأمر في خطابته بالصوم وما كان الا جنة يتقي بها الصائم حرارة شهواته القولية والفعلية التي تقوده الى عذاب جهنم طائعا مختارا لانه ما من قول قبيح ولا عمل سيء الا وله في النار درك كما انه لايكون عمل صالح ولا قول حسن الاوله درجة في الجنة ليجازى به عامله جزاء وفاقا كما هي قوانين العقوبات فيما بين الامم الآن

فعلم الله سبحانه وتعالى عبده كيف يستعين على نفسه وشيطانه وشهواته فكلفه أن يصوم لا كصوم العوام ولكن كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فظن السفهاء من خطباء فلاسفتكم أنه لا حاجة لمن لم يكن كثير الشهوات شديد اباء النفس الى الصوم لظنهم أن الصوم ما كان الا لردع النفوس عن ارتكاب الشهوات كما كان علم العوام وما ذلك الا لجهل مزايا الصوم الذي أشار الى بعضها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح ودعاؤه مستجاب وذنبه مغفور وعمله مضاعف فما كان نومه عبادة الا لانه تخلص من جميع الشواغل الا شغله بنفسه كيف حالها مع ربه فاذا نام على ذكر فكأنه مانام بل كان نومه خيرا له من يقظته لان النائم اذا نام على ذكر تصفو له المناجاة فاذا تيقظ وجد سرها وبركتها في حاله كما هو معلوم عند أرباب هذه المشاهد القدسية . وما كان صمته تسبيحا الا لانه على فكر حسن والمتفكر مسبح لا محالة واما استجابة دعائه فما هي الا من صفاء قلبه وحسن توجهه . ولما كانت مزية الصائم سرعة الاقلاع عن الذنب والتبري منه بقوله اني صائم كانت المغفرة أسبق اليه من الذنب

لأن معنى المغفرة الستر فيستر الله عنه الذنوب بالصوم فلا يرتكبها . واما مضاعفة العمل فلأن الصائم الحق لابد أن يكون مستصحباً في جميع اعماله الاخلاص والمحبة فيكون له أجر الاداء وأجر الاخلاص وليس المصلي المفطر كالمصلي الصائم ولا المتصدق الممتلئ طعاما كالمؤثر على نفسه فما أجمل وما ألطف وما أبدع تعليمات النبيين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

ألا هل سمعتم بفيلسوف أمر عباد الله بأن يذكروا ربهم ذكرا كثيرا كما أمرهم الله في كتابه العزيز وما كان لمحتاج دائم الفقر والاحتياج أن ينسى من هو المسؤل في جميع حاجاته . المحسن اليه في جميع أوقاته بجميع ما يتقلب فيه من النعم ولا يكون ذلك النسيان مع دوام الاحتياج وشدة الافتقار في كل نفس الا شدة لؤم وطغيان . وجهل وكفران . فهل لا يستدل العقلاء على لؤم اللؤما بهجر هذه الآداب الكمالية التي لا تصح للعبد وصلة مع ربه الابها الى غير ذلك من الوصايا التي جاء بها القرآن والاحاديث النبوية وانها لهي الحق الذي تواصى به المؤمنون وقد ذكره الله في السورة التى سبق ذكرها واما الصبر فما هو الا الصبر عن الشهوات وعلى الطاعات على اختلاف انواعها ولقد كانت هذه السورة الشريفة من جوامع الكلم التى قلت حروفها وكثرت مدلولاتها وكان الله على كل شيء مقتدرا

تالله ما سمع السامعون من خطباء هذا الزمن الذي طالت فيه السنة السفهاء الا نهيا عن زيارة الاولياء وتقبيحا لاعمال العوام الذين تقربوا الى الله بما ظنوه قربة كتعظيمهم مولد النبي صلى الله عليه وسلم باتخاذ

موكب يعملون فيه اعمالا مفرحة لو اننا عددناها من ضروب الشعوذة لما أحدثت في الدين ضررا بل ان العقلاء الذين أوتوا نصيبا من التمييز لا يشكون في انها من اقرب الوسائل لتثبيت العامة على الدين ومحبة الصالحين من اسلافهم وتعظيم قدر نبيهم فجاء أولئك السفهاء الضالون ينزعون الدين من قلوب العامة نزعا لظنهم أن اضلال الأمة وصدهم عن دينهم يقربهم الى ولاة أمورهم من الاجانب فقاموا على قدم وساق يعيبون الأمة والائمة وكل متدين الا من سلك طريق الزيغ والزندقة وأصبح من الجاحدين

ثم قال يا أيها النبهاء الافاضل لقد طالعت كثيرا من تواريخ الفلاسفة التي سطرت في صحيفة التمدن لمحررها حضرة ابراهيم بك رمزي فما جاءت بذكر ترجمة فيلسوف الا ووجدناه ميالا لبغض الدنيا شاكيا رذائلها ومؤلمات مشاق همومها وكثيرا منهم من كان كثير الهم شديد النكد دائم التضجر من أحوال الناس كأنما يحاول نزع الملك من يد موجده ليقوم بتدبيره ويأبي الله الا ما أراد والله لا يهدي القوم الفاسقين

ولقد جعل الله تبارك وتعالى في أخلاق كل مخلوق وأقواله وأعماله ما يكشف للمتبصر حقيقة ما عليه قابليته واستعداده فلو أن العقلاء من الناس تبصروا في أخلاق المؤمنين واعمالهم وأقوالهم وفي احوال الفلاسفة وأقوالهم وأعمالهم لتبين لهم الرشد من الغي ولكن اكثر الناس لا يعلمون

ايها الاحباب ما كان لسفهاء المبشرين من ركن يركنون اليه الا تمويهات الفلاسفة التي أضلت كثيرا من الناس عن دينهم وأوقفتهم على قارعة طريق الشك والارتياب لأنهم ما درسوا الدين ومن المعلوم ان الانسان اذا دخل بيتا

ولم يحط بما فيه علما ثم جاء متحايل مخادع ليخرجه من ذلك البيت بذكر شيء من العيوب لا يجد بدًا من الانقياد اليه واما اذا كان علي علم بقواعد البيت وقيعانه وجدرانه وأركانه وكان على يقين من أنه صالح لسكناه لا يزحزحه عنه مزحزح كائنا ما كان فهذا هو حال العامة مع سفهاء المبشرين والفلاسفة فلا تشهدوا محافلهم ولا تدخلوا منازلهم ولا تلقوا بأبنائكم في مخالب هؤلاء الاشرار فان قلوب الصبيان من التلامذة وغيرهم خالية من القواعد الشرعية والآداب الدينيـة وما وجد الصبي من ابنائكم تلميذا أو غـير تلميذ من يرشده الى معالم الدين وسبيل الرشـاد ولا من يبين له مزايا الاخلاق المحمدية ولا الوصايا النبوية ولا من يوقفـه على حقـائق الاسرار القرآنية ومن كان هـذا حاله من الصبيان متى صافاه ماكر من هؤلاء السفهاء خدعه وأمال قلبه الى أي طريق يريد سيما اذا كان معلما من معلمي المدارس التي ما أسست الا لتزيغ قلوب الصبيان عن دين الحق الي الدين الذي استوجب به أهله النار من حيث لا يشعرون

أيها الاحباب لا تلجئكم سفسطة الفلاسفة الى ازدراء الذكر وأنواع العبادات والى اعابة أعمال العامة التي ما قصدوا بها الا الخير والبر . ومن منكم أوقفته نفسه مواقف الانتقاد والاعتراض فليقابلها بالاعتراض عليها فيما يعلمه من أعمالها السيئة ولينتقد كل أحوالها انتقاد العارف الخبير ومن جهل نفسه فهو جهول ومن رضي عنها فهو أحمق ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم بمعنى أنهم افتتنوا بنفوسهم واحتجبوا بحسهم فتركهم الله في طغيانهم يعمهون فنسوا عيوب أنفسهم وأبصروا في الناس عيوبا وما هي بعيوب ولكن المعيوب يظنها عيوبا ولو اننا انتقدناه لأخجلناه ولكننا

أوكلناه الى الناقد البصير . ألا فاسألوا العائب لأعمال الأئمة الذين أسسوا قواعد الدين عن الذي جاء هو به من الاعمال الدينية هل جاء بدين غير الدين الذي أسسوه . واسألوا عائب أعمال أهل الله الذين يستجلبون قلوب العامة الى التوبة بما يعملونه عندهم من الاجتماع على مجالس الذكر وما يتخذونه فيها من المنعشات عما يأتي به بينه وبين ربه من العبادات في خـلواته أو جلواته فانكم ان سألتموه عن أحواله مع الله أو تفقدتم أعماله لن تجدوا الا أعمالا جاهلية . وأخلاقا شيطانية . وأحوالا بهيمية . ان كنتم تعقلون

فيا أيها الاخوان تفقدوا مناسك دينكم واطلبوها من آثار امناء اسلافكم لتكونوا على بينة من الدين فان الدين الحق هو القرآن ولن تجدوا للقرآن أهلا الا أولياء الله الذين تبينوا الحق واتبعوه . وتجنبوا الخاط ومن ابتدعوه . ولا تستميلنكم الفلاسفة بزخارف أقوالهم الى ترك الفرائض ولا يستهوينكم الشيطان فتقتدوا بسيآت اعمالهم . فانهم الفجار . وان مصيرهم والله الى النار . ان لم يتوبوا

أيها الاخوان اتقوا الله يجعل لكم من ظلمات هذه الفتن مخرجا وحافظوا علي الصلاة بآدابها تكتبوا عنده من الاوابين ولا تهجروا الفرائض الدينية فان هجرانها هلاك مؤبد ولا تفتتنوا بما انتم فيه من الملاهي فان لذة العمر كلها لا تساوي كربة من كروب يوم القيامة الا يتبصر المتبصر منكم فيما مضى من عمره كيف مضي حتي يعلم أن الآتي سـيفوت ولا يبقى له الا تبعات ما عمل وسيئات ما اقترف أما علمتم ان قرب المنايا يقطع طويل الآمال اما علمتم أن كل لذة استكملها المتلذذ لا تمكث معه الا قليلا من الزمن ويدركها الفوات وربما أورثه الافراط فيها داء عضالا . أو مرضا حزمنا . تالله لا يجد متلذذ لذة خيرا من لذة ذكر عن شهود . او انتعاش

تواجد يعقبه وجدان مشهود . تالله ماحوت الدنيا شيئاً انفع من الطاعه . ولا سلك سالك طريقا اسلم من متابعة الجماعه . فتعسا لمن قطع اسباب الوصلة بينه وبين ربه بالكبر أو ارتكاب المعاصي وويل لمن ينادى له يوم القيامة تقدم للحساب يا ايها العبد العاصي . تالله ان اصلاح الدين لا يفسد شيئاً من الدنيا . ولكن فساد الدين يفسد الدنيا والآخرة . تالله ان المؤمن اذا مات ليأسف على موته كثير من اهل القلوب السليمة محبة ورحمة وان كان غريبا واما غير المؤمن فلا يموت الا حزينا مهموما كئيبا . وربما فرح بموته ذووا قرابته . وشيعه بذكر عيوبه وتعداد ذنوبه اهل مودته . وذلك لأنه اسخط الله فأسخط الله عليه الاحباب . ولو انه اختاره لألهمه قبل الموت المتاب . فلا يغرنكم الامهال على هؤلاء السفهاء في ايامهم القلائل . فان الباقي والفائت عند القادر الحسيب كالحال الحاصل فقد شكا جبريل عليه السلام لربه حال فرعون وما فعله ببني اسرائيل . وقال الى متى يارب هذا الامهال وقد ادعي هذا الظالم الالوهية وفعل ما فعل . فقال له ربه ياجبريل مثلك من يخاف الفوت . وماعلينا الا ان نذكر بعض الوصايا التى تداولتها ألسنة السلف الصالح لعلكم تتذكرون

ذكر في زمن النبوة الاولى أن بعض من كان يوحى اليهم من المتقدمين فكر في أمر التكليف والابتلاء الذي ذكره الله في مثل قوله (ليبلوكم ايكم احسن عملا) ولم يتجه له وجه الحكمة في ذلك . فأخذ يناجي ربه في خلوته بسره ولسانه فقال يارب خلقتني ولم تستأمرني ثم تميتني بغير أن تستشيرني . وامرتني ونهيتني بل امرتني بما لا اعرفه ونهيتني عما اشتهيه وسلطت علي هوى مرديا . وشيطانا مغويا . وركبت في نفسي شهوات

مركوزة فيها . وجعلت بين يدي ونصب عيني دنيا مزينة مزخرفة ثم خوفتني وحذرتني وزجرتني بوعيد وتهديد ثم قلت استقم كما امرت ولا تتبع الهوى فتكون من الضالين . واحذر الشيطان أن يغويك والدنيا أن تغرك وتجنب شهواتك فانها ترديك واحذر آمالك وأمانيك فانها تلهيك وأنت يارب الذي سلطت علي الأمل والزمتني الاماني ثم قلت اطلب معيشتك من وجه حلال فانك مسؤل عنها ان لم تطلبها ومسؤل عنها ان طلبتها من غير وجهها ولا تنس الآخرة كما لم تنس نصيبك من الدنيا ولا تعرض عن الآخرة فتخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين فقد حصلت يارب بين أمور متضادة وقوى متضاربة وأحوال متقابلة فلا أدري كيف أعمل ولا أهتدي الى أي شيء اصنع وقد تحيرت في اموري وضلت عن حيلتي فأدركني يا ربي وخذ بيدي ودلني على سبيل النجاة والا هلكت . فأوحى الله تبارك وتعالى اليه يا عبدي انك بين أمرين اما أن تكون من اهل الدعوى فلا تسألني عن صلاح حالك بل استعمل تدبيرك وأسلك اي سبيل تريد وما علي الا اعانتك على ما تشتهي مما هو مقسوم لك

وان كنت من الضعفاء الذين أسلموا وجههم الي فاعلم أني ما امرتك بشيء تعاونني فيه ولا نهيتك عن شيء كان يضرني ان فعلته بل انما أمرتك لانك جهول ان لم أعلمك وضال ان لم أرشدك ولتعلم انك عبد لرب هو مربيك ومألوه لاله هو خالقك ورازقك ومنشيك ولتعلم أني انا حافظك وصاحبك أينما كنت ومعينك على ما كلفتك به وما انت الا محتاج الى معاونتي وهدايتي وارشادي وتوبتي عليك وتيسيري لك

الاسباب أسباب التوبة والحفظ والهداية والرشاد. فهل من وقت ترى
نفسك فيه غنيا عني كلا وعزتي وجلالي لاغنى لمخلوق عني طرفة عين واني
لأنا العليم الخبير الذي لاتخفى عليه خافية وما أعامل كل انسان الا بما
تقبله قابليته فمن جاء يدعي الربوبية لنفسه على نفسه أمددته بغرور
وطغيان وسلطت عليه الشيطان حتى يهلك نفسه بنفسه لأنه ماوجد الا
ليكون خصيما مبينا واما من أسلم وجهه الى أخذت بناصيته الى الخير وامسكت
بزمام قلبه وجوارحه عن كل رذيلة واشغلته بذكري حتى لا يشتغل عني
بغيري . فقال يارب ولم لم تجعل الناس على قابلية واستعداد واحد فيكون
الكل مستسلمين فقال ياعبد ان من الادب أن لا يسأل المجهول حكيما
عما لا يفقهه من أعمال الحكمة وليس للحكيم أن يجيب المجهول فيما سأل
عنه لان الجهلاء كثيرون واعمال الحكيم لاتتناهى فلو أني أعددت لكل
سائل جوابا عن كل امر مسؤول عنه لما تفرغت من أسئلة السائلين ولو انني
خيرت كل مخلوق قبل خلقه في أي رتبة يريد لفسد النظام واختلت
شؤون التدبير فلا تكن من الجاهلين . ياعبدي وعزتي وجلالي ماأرسلت
الرسل ولا أنزلت الكتب بالاوامر والنواهي والارشاد البين الا ليعلم
سليم القلب أنه لابد له مني حتى اذا ماتيقظ من رقدة الغفلة وسنة التلاهي علم
أنه مفتقر ومحتاج الي في جميع شؤنه وتصرفاته فعند ذلك لا ينساني
ولا يعرض عني ولا يتشاغل بغيري بل يكون ذاكرا لي في جميع احواله
ثم اعلم أني انا المرشد لكل سبيل والملهم لكل عمل والمالك لحواس كل
حيوان والقابض على أزمة القلوب فلا يتحرك ساكن الا اذا حركته
ولا يسكن متحرك الا اذا سكنته ولي ماسكن في الليل والنهار فاذا

تيقنت ذلك وتحققت بحقيقة ذلك اليقين تركت كل شيء وراءك واقبلت
الي وحدك كما يقبل المحب على حبيبه في غفلة الرقباء وتكون قد سبقت
لك سعادة العناية الازلية فاقربك مني واوصلك الى وارفع الحجب فيما
بيني وبينك وأجمل نعيمك ولذتك في ذكري فاستفزك لتناجيني
والناس نيام وافتح لك ابواب التذكار فتذكر سالف انعامي عليك
وقديم احساني اليك . وجميل آلائي لديك . اذ خلقتك ولم تك شيئا مذكورا
خلقا سويا في أحسن تقويم وجعلت لك سمعا يسمع آياتي وبصرا يرى
آثار قدرتي وفؤادا يعرف جليل عظمتي وجعلت لك حواسا دراكة
وقلبا زكيا وفهما ثاقبا وذهنا صافيا وفكرا لطيفا ولسانا فصيحا وعقلا
رصينا وبنية قائمة صحيحة وصورة حسنة وجوارح طائعة وأدوات كاملة
لو نقصك منها شيء ماقدر مخلوق على تكميله ثم ألهمتك الكلام والمقال
وجعلتك تفهم ماتسمع وتحسن التعبير بالنطق عما في ضميرك ولولا ذلك
لتعطلت أحوالك ثم عرفتك المنافع والمضار . وعلمتك كيفية التصرف في
الافعال . وألهمتك الصنائع والاعمال . وكشفت عنك الحجب لتنظر الى
ملكوتي وترى مجاري الليل والنهار والافلاك الدوارة . والكواكب السيارة
وعلمتك حساب الاوقات والازمان والشهور والاعوام بسير الشمس
والقمر كل ذلك بتقديري ولطف تدبيري وكم أجري لك الارزاق وانت
غافل لاتعلمها الا عند ما تكون بين يديك وقد سخرت لك كثيرا من
مخلوقاتي تتصرف فيها تصرف الملاك في املاكهم وانت لولاي لاتملك
منها شيئا وتتحكم فيها تحكم الارباب فلما رأيتك متعديا جائرا باغيا
خائنا ظلوما متجاوزا الحدود مائلا عن طريق الاعتدال عرفتك الحدود

والاحكام والمقياس والمقدار والعدل والانصاف والحق والصواب والخير والمعروف ونهيتك عن متابعة هواك وعرفتك أني اعلم بك منك وما ذلك الا لأصرف عنك اليم العذاب وشديد النقم وما عرضتك الا لما هو خير لك وأشرف وأفضل وأعز وأكرم . وانت مع ذلك تظن بي الظن السوء وربما غلبك هواك فجحدت جميع هذه النعم وتكبرت علي وتخيلت انك علي ماتشاء قدير وما كان ذلك الا لشدة لؤمك وخسة طبعك لانك مخلوق من الماء والطين

فقال يارب وكيف اهتدي الى سبيل الرشاد الذي تكون فيه نجاتي من متابعة الهوى والشيطان فقال ياعبدي . اذا تعذر عليك فعل شيء مما أمرتك به فالتجأ الى التجاء المضطرين وقل بقلبك ولسانك لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . واذا أصابتك مصيبة فاعلم انها مانزلت بك الا باذني ولا يهونها عليك الا أنا وان كانت كبيرة وانا ان شئت عظمتها عليك وان كانت صغيرة فقل انا لله وانا اليه راجعون فتكون قد ألقيت زمامك الي فعند ذلك اهونها عليك واجزيك على الصبر خيرا كثيرا . واذا زلت بك القدم في معصية فقل كما قال آدم وزوجته (ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) واذا دهمك أمر لاطاقة لك به وخفت شماتة الشامتين فقل كما قال عبدي يعقوب . انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله مالا تعلمون . واذا أخطأت خطيئة فقل كما قال موسى هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين واذا رأيت العصاة من عبادي فقل كما قال عيسى ابن مريم ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم . واذا خفت عواقب الامور وشممت من

نفسك رائحة الميل للشهوات فقل كما يقول الاخيار (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب)

فيا ايها الاخوان كونوا لمن سبقوكم بالايمان اخوانا ولا تكونوا لهم خوانا واعلموا ان الله سبحانه وتعالى ماجاءكم في القرآن بأنباء الرسل الا لتعلموا كيف كان حالهم مع الله فتتأدبوا بآدابهم لتستكملوا آداب المتأدبين فلذلك وصف الله السابقين من هذه الامة بأنهم خير أمة اخرجت للناس فمن احب منكم ان يكون من الخيار فليسلك مسالك الابرار ولن يسلك ذلك المسلك الا من صح ايمانه وثبت يقينه ولا يكون ثبات اليقين والايمان الا بترك الغرور والطغيان ومتي صفت اخلاق المرء من هاتين الخصلتين كان الى النجاة اقرب منه الى العطب لانه اذا لم يكن طاغيا مغرورا كان محسنا للمتابعة ومتى احسن متابعة السلف الصالح سلم من غوائل الشكوك والشبهات وتيقن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسل الا بوحي سماوي وما كان الا على اشرف حال كان عليه النبيون من قبله وعلم انه ما اجهد نفسه هو واصحابه ومن تابعوهم في حفظ القواعد الدينية الا ليسلكها من وراءهم وما تركوا شيئاً يفتتن به المفتون الا بينوه وما ترك القرآن سبيلا للمجادلين وأهل الجحود الا سدها في وجوههم فليعلم كل منكم انه هو المخاطب بكل مافي القرآن وانه هو المأمور بجميع اوامر الله وأنه هو الموجه اليه الخطاب فى النهي عن كل منهي عنه وانه هو المقصود باشارة قوله تعالى يا ايها الناس ويا ايها الذين آمنوا وانه هو المخاطب بكل توبيخ أو تهديد او زجر في القرآن على أي رذيلة يعلم من نفسه أنه مرتكبها لافرق في ذلك بين العالم والجاهل والأمير والحقير . فلو ان

العالم الذي علم مالم يعلمه غيره من اهل عصره.زنى أو سرق او اغتاب او اضمر للناس سوأ او اصبح نماما أو مرتكبا أي رذيلة لكان عند الله هو والجاهل الفاسق سواء لافارق بينهما ومتى خالط الشك في الله أو في رسله وكتبه واليوم الآخر قلبا كان كقلب أي كافر من الكفار الذين لعنهم الله واصمهم وأعمي أبصارهم . ومتي تشاغل الانسان عند ذكر ربه وتغافل عن التخلق بآداب العبودية كان لاهيا وكان من اسوأ العبيد حالا حتى وان كان شغله بطلب علم او اصلاح أحوال قوم اوأي مصلحة دنيوية لان كل شاغل للقلب عن ذكر الله يعد لاهيا من الملاهي لان طالب العلم مثلا اذا لم يكن عابدا كان كمن يجمع المال ولا ينتفع به وكمن يهيئ الغذاء للآكلين ثم لا يأكل وكان طلبه العلم مجرد حرفة لاتتميز عن باقي الحرف فكيف اذا حال من تلهيه دنياه أو شهواته أو شقشقته او زندقته عن ربه ان هذا لهو الخسران المبين

أيها الاخوان لقد قال الله تبارك وتعالي (فاتقوا الله ما استطعتم) فظن السفهاء انه أمر تخفيف وليس كذلك اذ المقصود ان الانسان يبذل مجهوده في تقوى الله حتى لا يكون في قوته فوق ماجاء به فلو اننا ائتمرنا بهذا الامر لكان فيه الكفاية لطالب الفوز والنجاة ولكنكم لا تأتون شيئا من اعمال التقوى الا على سبيل المجاملة كمن دعاه جاره لأمر لا رغبة له فيه ولا فائدة فيأتي به خوف العتاب علي عجل وربما أخره لحين الفراغ من جميع اعماله وما كان ذلك منكم الا لتمكن الجهل من قلوبكم فلو انكم على يقين من ان الله سبحانه وتعالى ما امركم بالعبادات ولا علمكم ما تعملونه فيها من آداب الدعاء والخشوع والتذكر باستحضار القلب وصرفه عن

كل الشواغل الا لتغنموا جزيل عطائه وتكونوا اهلا لقبول ما يلقيه اليكم من الاسرار العرفانية وانه لاحظ له في ذلك ولا فائدة ولكن الفوائد في جميع اعمال البر عائدة عليكم اذا أديتموها بأكمل حال على محبة وشوق ولكنكم عن فهم ذلك كله في شغل شغيل . أصبحتم به في حال وبيل . والله على كل شئ شهيد

يا قوم لقد أزف الوقت . وقرب المقت . وسيحال بينكم وبين ما تشتهون وقد اصبحتم في طغيانكم تعمهون . واصبحنا لا نرى منكم حالا من الاحوال الشريفة ولا خلقا من الاخلاق الكريمة نميزكم به عن الذين لا دين لهم فالي متي هذا الجهل المهلك وحتي متى هذا الفتون المقتل والى اين تذهبون وما بقى بينكم وبين جهنم الا خطوات يسيرة . وايام قصيره . تمضي على عجل كمضي الطيف في احلام المنام . وما انتم والله الا كما قال رسول الله نيام ألا فاتركوا الدنيا لاهلها ومعانقيها وذروا الملاهي لمضاجعها ومصطفيها والتمسوا لانفسكم مما انتم فيه من الفتون مخرجا تدركوا به نجاتكم . ولا تضيعوا فيما انتم عليه من التلاهي وغفلة الغرور حياتكم . فان الموت والله قريب لا يدفعه دافع . ولا يمنعه عن كل حي سوى الله مانع . وما بعد الموت الا شدة واهوال . واحمال والله على اهل الاوزار ثقال . وان احوالكم والله في الدنيا بالنسبة لاحوالكم في الآخرة لعلى طرفي نقيض فمن كان كثير الخوف من ربه في الدنيا كان كثير الامن في الآخرة ومن كان آمنا في دنياه كان في الآخرة من الخائفين ومن كان كثير البكاء من خشية الله في دنياه كان يوم القيامة بين اوليائه ضاحكا مستبشرا ومن كان مشتغلا بلذاته في الدنيا كان شديد الغم يوم القيامة وهكذا جميع الاحوال . على هذا المنوال

وما الله بغافل عما تعملون

أيها الاخوان مامن كبيرة مقتها الله ومقت فاعليها من الامم الماضية الا ارتكبتموها ومامن قبيحة الا استحسنتموها ولقد سبقت فواحش القول السنتكم وألسنة شبانكم بل واطفالكم ومابقي بينكم من قبيح يستقبح ولا من حسن يستحسن بل استحسنتم كل قبيح من الاقوال والاعمال والاحوال واستقبحتم منها كل حسن ولقد آثرتم ما يرضي الشيطان على ما يرضي الرحمن وما حالكم الآن الا كحال الانعام التي لا تستقبح القبيح ولا تستحسن الحسن فلا نسمع منكم ولا من ابنائكم الا قولا فظيعاً . ولا نرى الا عملا قبيحا مزعجاً مريعاً . فكنتم كالذين وصف الله حالهم بقوله (فطال عليهم الامد فقست قلوبهم فأصبحوا خاسرين)

ايها الاخوان تالله انكم لمسؤلون بين يدي الله عن ابنائكم الذين تسوقونهم الى الكفر زمرا اذ اسلمتموهم الى معلمين لا يعلمون ماهو الدين وربما كانوا من عباد الصليب الذين تطاولت آمالهم الى اضلال ابنائكم وقاموا يزينون لهم السجود للصلبان وللمسيح ويعلمونهم مبادئ دينهم الذي ماتميز به حالهم من حال عبدة الاصنام فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فليتق الله في نفسه وولده وليتدبر قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) وقوله (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) ألا قاتل الله محرري الجرائد الذين لا يمدحون الا من كان ماهرا في امر دنياه قاصرا عن اصلاح آخرته حتى اذا رثوا ميتا لا يذكرون له من المحاسن الا ماتوصل اليه بالسعي الدنيوي من المال والجاه والرياسة التي

مما افادته الا الوحشة الطرد وسوء الحساب وما ربك بظلام للعبيد

ان من كلام عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لقوله ان لكل سفر زادا لا محالة ولا يلاقي الانسان سفرا أطول من سفره من دنياه الى مقره الابدي ولا زاد لذلك السفر الا التقوى فكونوا كمن عاين ما أعده الله لعباده من الثواب والعقاب بروؤيا العين فلقد أقسم الله سبحانه وتعالى على صدق وعده ووعيده بكثير من الاقسام في مثل قوله (والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع . انه لقول فصل وماهو بالهزل) وقوله (والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق) وقوله (فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) الي كثير مما جاء به القرآن الحكيم (ومن اصدق من الله حديثاً) فلا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم فوالله ما أقصر أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه فلربما كانت بين الصباح والمساء خطفات المنايا فكم رأيتم ورأينا من كان بالدنيا مغروراً بالامس فأصبح تحت مواطئ النعال . أيها الناس انما تقرعين من وثق بالنجاة من عذاب الله . وانما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة . وانما انا فيكم كمن يداوي من كلما برئ من جرح جرح من ناحية اخرى تالله لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الارض لتشققت اما علمتم أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صائرون الى احديهما ألستم كل يوم تشيعون الى القبور غاديا ورائحا ثم تتركونه في ظلمات القبر غير موسد ولا ممهد وقد خلع الاسباب . وأحزن الاحباب . وسكن التراب . وواجه الحساب . مرتهنا بعمله فقيرا الى ما قدمه بين يديه قانطا مما تركه خلف ظهره وطالما اجهد نفسه

في تحصيله . وكثيرا ما فرح بكثيره بعد قليله . فاتقوا الله قبل نزول الموت . وقدموا الأنفسكم قبل حصول الفوت . ثم بكى وبكى الناس خوفا من الله وخجلا

وقد كانوا والله ابرارا مطهرين مما تدنست به قلوبكم . وتنجست بقذوراته أثوابكم . وما عنيت بالثياب الا الاحوال . ومتى خبث الحال ساء المآل . وخابت الآمال . وتراكمت الاهوال . واشتد الخوف في اليوم الذي تشيب فيه الاطفال (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) ثم رفع يده الى السماء قائلا

الهي وانت الله والملك الذي ... له الملك والآلاء والمنن الكبرى
ومن هو فوق الفوق لاتحت تحته ... ومن لمقام الانس بالمصطفي أسري
ويا من اذا ما قلت يا رب قال لي ... أنا الله فاعبدني أضاعف لك الأجرا
وسلني وأجمل أعطك السؤال كله ... وصاني فاني لا أود لك الهجرا
ويامن اذا أعرضت عنه جهالة ... يريني من الاقبال مايشرح الصدرا
ويا منزل الالطاف حذو قضائه ... اذ ما ابتلى عبدا اتاح له الصبرا
ويامن وسعت الكل عفوا ورحمة ... فترحم اهل الصد والود والأسرا
ويامن اذا العاصي يخاف فضيحة ... يناديه يا ستار لا تكشف السترا
فتخفيه عن عين الرقيب تلطفا ... وتنجيه حتى ان عصى مرة اخرى
ويا من يرى الخافي بكل سريرة ... وكان خفي السر في علمه جهرا
اليك الهي اليوم ارفع قصتي ... وأنت برفع النازلات بنا أحرى
بلينا بأقوام تطاول بغيهم ... أردنا بهم خيرا فراموا بنا الشرا
تزاحمنا ارذالهم في ديارنا ... وما أضمروا الا الخديعة والمكرا

تظاهر باغيهم بوصف مبشر ... فكانوا كمسرجاء يخترم اليسرا
وقد فوقوا للدين اسهم بغيهم ... وما استعظموا في الزيغ ذنبا ولا وزرا
فكانوا كنطاح تطاول قرنه ... لها عنه راعيه فما أهمل الغدرا
وما خجلوا والشرك شوه حالهم ... وأبدوا من الاشراك شيئا غدا نكرا
وهموا بتضليل العوام بزيغهم ... وما حاذروا منهم ملاما ولا زجرا
فجاسوا خلال القطر من كل قرية ... وما تركوا صغري البلاد ولا مصرا
وما دأبهم الا الضلال وهدمهم ... قواعد دين نوره يخجل البدرا
فيارب قابلهم بقارع سطوة ... وبطشة قهر تكشف السوء والضرا
ويسود منها وجه كل معارض ... لدين الذي أوليته الفتح والنصرا
فقد طال تذكيري لهم ونصيحتي ... وأنى لمن أضللته تنفع الذكرى
اقول لهم كفوا عن الزيغ واسلكوا ... سبيل الهدى لا تفتنكم العذرا
ولا تخجلوا عيسى بقبح افتتانكم ... فكم أرسل الرحمن من رسل تترى
وما كان الا واحدا من كثيرهم ... أتي بعدهم يستأنف الزجر والبشرى
توهمتموه الله جاء برجله ... ليفديكمو بالصلب يا فتنة الغبرا
وهذا هو الشرك العظيم وربما ... حرمتم به الرضوان والجنة الخضرا
فجاء سفيه القوم يا رب قائلا ... رويدك لا تلقى لمسمعنا السحرا
فنحن اناس لا نعادي صليبنا ... عبدناه في الدنيا ونرجوه للاخرى
فيارب لا تمهل على القوم انهم ... تمادوا على الطغيان واستعذبوا الكفرا
ويا بطشة الجبار حلي بحيهم ... ولا تتركي منهم ذراعا ولا شبرا
ويا غارة الرب الغيور تسلطي ... على كل زنديق عصى ربه جهرا
ولا تبق فينا فيلسوفا مبشرا ... فاني نذرت اليوم ان أهلكوا نذرا

اقوم بأبواب الكنائس داعيا　　على هيكل الصلبان أن يكسب الكسرا
لعل اناسا غرهم جهل قومهم　　يقولون هـذا يا أبانا بنا أدرى
فذرنا نسوم الرشد من سر هديه　　فسحقا لدين مـا علمنا له سرا
سوي اكلكم تلك الخميرة بيننا　　وتعميد أطفال وشربكم الخمرا
وتلك امور لا تنير بصائرا　　ولا تنقذ الجاني ان اكتسب الوزرا
وعار علينا ان نعيش بهائما　　على غير دين نجهل الصوم والفطرا
الا هل يفيد الصوم من ظل آكلا　　من العدس والبيصار ما لوث القدرا
ولم يتحاش الأكل في اليوم ساعة　　ولا ترك الكنياك صبحا ولا ظهرا
فيا ايها الآباء والقمص الذي　　بنا كل شيطان نحاذره اغري
تبصر ترى ان الديانة لم تكن　　على عهد عيسى كالتى بيننا تقرا
فما كان ذاك الصوم الا رياضة　　تهذب اخلاق الذي يحسن السيرا
وما دين عيسى غير دين محمد　　ولكنكم يا قوم حملتموا اصرا
فتوبوا الى الرحمن من شر زيغكم　　فما اهنأ الهدي القويم وما أمرا

ثم قال ايها الاخوان اني والله لحليف العزلة بغيض الاختلاط وما حملني على التردد الى ناديكم الا حب النصائح ولقد جئتنا بأوفي وسعنا من النصائح وهاهو أوان التخلق قد آن فمن اعترضه امر مريب في دينه فليوافنا في ديارنا ونسأل الله ان يجمعنا في الجنة ثم قام وقام القوم باكين فوعدهم التلاقي بعد ايام قلائل والله يحب المحسنين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿ وهذا السؤال العجيب . في الرد على اهل الصليب ﴾
(لناظمه حضرة الفاضل النحرير . الشيخ احمد علي المليجي الكتبي الشهير)



